تشيب إنجرام

الحب، الجنس، والعلاقات الدائمة







الحب، والجنس، والعلاقات الدائمة

تشيب إنجرام



الناشر: معهد تدريب القادة بالشرق الأوسط

إِسم الكتاب: **الحب والجنس والعلاقات الدائمة**

إِسم: المؤلف: **تشيب إنجرام**

رقم الإيداع:

أهــــــــدي

هذا الكتاب إلى ديف وبولي مارشال اللذين علماني بحياتهما وبكلماتهما كيفية إقامة العلاقات بحسب طريقة اللّٰه. أشكرك، يا ديف، من أجل تقديمك لنموذج النقاوة والنزاهة الشخصيين. أشكرك لأنك سمحت لي أن أشاهدك وأنت تواعد زوجتك، حتى بعد أن أنجبتما أربعة أولاد. وشكراً لك لأنك استمعت لصراعاتي بل وحينما شاركت معي بعضاً من صراعاتك الخاصة. إن زواجي وعائلتي جزء من ميراثك الروحي لأجل مجد اللّٰه.

الحـــب،
والجنـــس،
والعلاقات الدائمة

المحتويات

إقـــــرارات بالشكـــــــــــــر

حيث أن هذا الكتاب قد كُتب في وقت مؤلم من حياتنا، فإنني أكن عميق الامتنان للمرونة التي أظهرها نيل ويلسن في مساعدتي على كتابة وتحرير هذا المشروع، وتشجيع ومهارة أنيت كيبريوس التنظيمية، وصبر وتفهم فيكي كرمبتون، وإلهام زوجتي وتقديمها النموذج لهذه الحقائق، والملاحظات التي قدمها لي أولادي وصبرهم في الإصغاء ونقدهم لي في مواقف متعددة. وأخيراً، هناك كلمة تقدير خاصة للأشخاص الذين يعملون في دار بيكر بوك الذين أظهروا التزاماً بالتفوق والتزاماً بتوصيل هذه الرسالة إلى كل مجالات ثقافتنا.

مقـــــــدمة

هناك مواضيع قليلة في الحياة تثير نفس القدر من الشغف والاشتياق بداخلنا مثل رغبتنا في الحب، واهتمامنا بالجنس، وأمنيتنا في إقامة علاقات دائمة. بغض النظر عن خلفياتنا، أو عرقنا، أو قيمنا، أو مستوى ذكاءنا، أو خبرتنا، فإننا جميعاً نتوق إلى أن نُحَب. كل كائن حي على هذا الكوكب يشتهي أن يكون ذلك "الشخص العزيز" بالنسبة لشخص آخر. كما أن سر وقوة النشاط الجنسي البشري يجتذبنا، بطريقة مماثلة، كمغناطيس غير مرئي نحو عالم العلاقات.

ببساطة، نحن البشر كائنات تهتم بإقامة علاقات. فقد خلقنا الله لكي نُحَب ونُحِب. نحن نتوق إلى العلاقة الحميمة، والقبول، والإحساس بالأمان، والأهمية التي تسري فينا عندما نربط ذهننا، وقلبنا، وجسدنا بشخص من الجنس الآخر.

لو كنت تظن أنني أبالغ في وصف هذه الحالة، توقف إذن وفكِّر في رد فعلك الأول على عنوان هذا الكتاب. ما الذي جذب انتباهك؟ لا يهم إن كنت في السابعة عشر أم في السابعة والسبعين من العمر؛ فإن كلمات الحب؛ والجنس؛ والعلاقات الدائمة تثير استجابات فورية وقوية بداخل كل واحد منا. إن الصور التي تصوِّر ذلك الرجاء تجتذب أيضاً انتباهنا.

دعونا نواجه الأمر. فبعد الانتباه إلى ضروريات الحياة مثل الطعام، والملبس، والمأوى، يقضي معظمنا معظم ساعات صحونا في التفكير؛ أو السعي، أو حل المشاكل المتعلقة بهذه الناحية من الحياة. أعني، توقف للحظة وفكِّر في الأغاني التي نستمع إليها كل يوم، أغاني تقول هذه المعاني:

- "لا أستطيع العيش بدونك يا حبيبي"
- "لم أحصل على حب"

- "لو كان حبك خطأ، فإني لا أريد أن أكون على صواب"
- "أريد أن أمسك يدك"
- "ما علاقة الحب بذلك؟"

أضف إليها أية أغنية أخرى على قائمة أفضل أربعين أغنية حالياً.

يوماً بعد يوم، يغني الناس في جميع أنحاء الكرة الأرضية من كل جنسية ولغة، تعبيراً عن رغبتهم في الحب أو خيبة أملهم بسبب الحب.

تجوَّل في إحدى المكتبات المحلية، وراجع قسم الروايات الرومانسية أو مساعدة الذات، أو رف الموارد العلاقاتية. لاحظ كمية المجلدات التي تركز بطريقة أو بأخرى على الجنس، أو الحب العاطفي أو كيفية إقامة علاقة رائعة. أو في المرة القادمة التي تذهب فيها إلى شراء البقالة، أفحص المجلات اللامعة والزاهية الموجودة على الرفوف عند أماكن دفع النقود. هل وضعت أبداً مجلة كوزمو غلافاً بدون كلمة "جنس" عليه؟ من هم الموضوعة صورهم على أغلفة تلك المجلات؟ أليست تلك المطبوعات تمتلئ بصور عن علاقات المشاهير، أو شائعات عن الخيانات الزوجية، أو مَن مِن الأزواج قد انضم إلى قائمة المنفصلين؟ لماذا تزداد مبيعات هذه المجلات؟ سواء أعجبك الأمر أم لا، نحن نعيش في عالم يحتل فيه الحب، والجنس، والعلاقات المكانة الأولى في قلوب وأذهان جميعنا تقريباً.

لقد اكتشف العاملون في مجال الإعلان منذ زمن بعيد أن انشغالنا بالارتباط العاطفي والجنس يشكل طريقة رائعة لبيع البضاعة. فالإعلانات التي تقدم أثناء فترات الاستراحة ما بين اللعبات المذاعة على التليفزيون تستخدم الجنس لبيع البيرة أو السيارات أو تعرض مشاهد من علاقات غرامية وهم يحاولون إقناعنا بتغيير شركات النقل لمسافات طويلة، لكن الرسالة التحتية تظل كما هي – إن الطريق للسعادة والشبع في الحياة يكمن في الحب، والجنس، والعلاقات الدائمة.

لكن للأسف، على الرغم من كل الدعاية في المجلات والأفلام والحلقات الدراسية والكتب، فإن الناس في معظم الأحوال لا يبلون حسناً عندما يتعلق الأمر بهذه الناحية من حياتهم. فإن الطلاق والانفصال والجروح والأثقال وشريك الحياة السابق وإساءة المعاملة، تُعتبر جميعها كلمات شائعة جداً في مفردات علاقاتنا. فحتى في الزيجات التي مازالت مستمرة، غالباً ما يسود جو من التعاسة والإحباط. نحن نتوق إلى أن نُحِب كما نتوق إلى أن نُحَب، لكن يبدو أننا لا نعلم كيف نقوم بذلك جيداً. وبالنسبة لكل الكلام والانفتاح الذي يوجد بشأن الجنس اليوم، فإن النشاط الجنسي لا يزال يُصّنَف باعتباره إحدى النقاط المثيرة للنزاع في معظم العلاقات. إذ يتضح أنه كلما ازداد الجوع للحب الثابت والعلاقات الدائمة، كلما قلّت مدة استمرار الحياة الزوجية. ويمكننا أن نقول في محاولة لإعادة صياغة إحدى الأغنيات أن الحب ينتهي على ما يبدو قبل أن يكون قد بدأ.

ما هو الخطأ هنا إذن؟ هل من المقدَّر لنا جميعاً أن نكون محبَطين ونصبح جناة ونتاج العلاقات المختلة وظيفياً؟ أم أن هناك طريقة أفضل؟ هل يوجد في الواقع سر أو خطة أو مثال مختلف للحب الأصيل، والجنس الرائع، والعلاقة الثابتة؟

حسناً، على قدر ما يبدو ذلك صَلَفاً، فإن هذا الكتاب يعد بتقديم ذلك بالضبط. ليس لأنني ذكي بصفة خاصة أو أنني قد احتكرت السوق فيما يختص بهذه المسائل، بل لأن الإله الذي خلقك لكي تكون محبوباً، صنع الجنس لأجل استمتاعك ولديه خطة قابلة للفهم بشأن الكيفية التي تنجح بها العلاقات. الإله الذي صممك لكي تُحِب وتُحَب قد منحك أيضاً حكمة وتعليمات خاصة حتى تجعل ذلك ممكناً في حياتك اليومية. وهذا الكتاب يدور حول تلك الحكمة – كيف يمكنها أن تنجح معك.

قد تفكر في نفسك قائلاً، لكن لماذا أقرأ هذا الكتاب؟ أنا أعزب. أو أنا مطلَّق. أو حتى أنا أرمل. ليست لديَّ علاقة الآن فكيف يمكن لهذه الفصول أن تكون مفيدة بالنسبة لي؟ هذا الكتاب، في الواقع، مناسب جداً للعزاب والمطلَّقين والأرامل، كذلك أيضاً بالنسبة للمتزوجين. فبغض النظر عن علاقاتك الحالية، إذا لم تفهم العلاقات الرومانسية من منظور الله، فسوف يكون مصيرك حياة من الخيبة العنيفة والإحباط الشديد.

لو كنت في علاقة جادَّة لكنك لم تتزوج بعد، فإن هذا الكتاب سوف يساعدك على تقييم صحة العلاقة، وقوتها، ونواحي الاحتياج. سوف تتعلم كيف تعزز صفاتٍ في علاقتك تجعلها ليس فقط مثيرة بل أيضاً قادرة على الاستمرار لمدة طويلة. ألا تحب أن تصل إلى اللحظة التي تقول فيها، "أنا أتخذك ..... حتى يفصلنا الموت"، ويكون لديك خطة في الحقيقة لكيفية إنجاز ذلك بنجاح رغم الصعاب؟

لو كنت أعزب ولستَ في علاقة جادَة، فإن هذا الكتاب سوف يحميك من وجع القلب المستقبلي – ويضع بعض جروح الماضي وفق منظورها الصحيح. سوف يساعدك على تجنب المشاكل والعادات التي كثيراً ما تُغرق العلاقات. كما أنه سيظهر لك كيف تؤسس وتقود علاقتك المستقبلية حتى تبحر بثقة وهدف. سوف تتعلم أن تقيم علاقات بالطريقة التي قصدها الله.

في الواقع، ربما تكون القيمة العظمى لهذا الكتاب هي بالنسبة للأشخاص الذين لم يدخلوا بعد في علاقات. في مؤتمر عقد منذ فترة قصيرة في الغرب الأوسط بالولايات المتحدة، قمت بتدريس مادة هذا الكتاب إلى عدة مئات من الطلاب في سن الجامعة. وقد لخَّص أحد الطلبة ما سمعته من كثيرين، "معظم الوقت عندما يتحدث الناس عن العلاقات، تشعر أنك نوعاً ما "خارج الموضوع" لو لم تكن تواعد أحداً. غير أن هذه السلسلة كانت مختلفة. لست في علاقة الآن، لكن هذه المبادئ كانت مفيدة بشكل رائع بالنسبة لي كشخص أعزب يدرس ما هي نوعية العلاقة التي أريدها وكيف أريد أن أشرع فيها".

لو كنت متزوجاً، سوف يقدم لك هذا الكتاب فحصاً واقعياً لتوقعاتك. فإنه سوف يساعدك على توجيه طاقتك وتركيزك نحو سمات علاقتك مما يُنشئ فرحاً متزايداً وحميمية أكثر عمقاً. كما أنه سيساعدك على معالجة الاتجاهات والممارسات الموجودة في زواجك التي ربما تضع عوائق في العلاقات بينك وبين شريك حياتك. فكما شارك معي زوجان بصورة خاصة، "من المدهش كم تتحدث ثقافتنا كثيراً عن الجنس غير أننا تناقشنا حقاً أنا وزوجتي قليلاً عن تأثيره على علاقتنا". وقد فوجئنا عندما عقدنا مقارنة بين توقعاتهما حول الجنس تستند على الثقافة السائدة وبين منظور الله ووصفته لتعزيز العلاقة الجنسية الحميمة. فقد كانت الاختلافات بارزة!

لو كنت مطلَّقاً، فسوف تجد رجاءاً في هذه الصفحات. سوف يساعدك هذا الكتاب على اكتشاف المسار الخاطئ في زواجك وكيف تهيئ نفسك الآن لبناء علاقات صحية وإيجابية في المستقبل. لسوء الحظ، فإن الأشخاص الذين هم في شدة الاحتياج لعلاقات يميلون إلى الاستمرار في القيام بنفس الأشياء التي تدمر تلك العلاقات. فهم لم يسمعوا إطلاقاً أنه توجد حقاً طريقة أفضل. أحد الأشخاص من أستراليا قد طُلِّق عدة مرات سمع المادة الموجودة في هذا الكتاب على الإنترنت وكتب لي رسالة إليكترونية ممتنة قال فيها، **"**تشيب، لقد فهمت الأمر أخيراً. فإن الاستماع إليك وأنت تتحدث عن الحب، والجنس، والعلاقات الدائمة قد فتح عينَّي وأعطاني أملاً جديداً. فقد تعرفت على نفسي في شخصيات قصصك. والآن أرى كيف أنني قد هيأت علاقاتي السابقة للفشل التام. أشكرك على تصحيح فهمي. فقد كنت على وشك ارتكاب نفس الأخطاء مرة أخرى**!"**

إن استقبال رسائل، ومكالمات، وبريد إليكتروني من أشخاص من كل الفئات التي وصفتها للتو، قد أقنعني أنني أحتاج لاستكشاف كل الطرق الممكنة لإدخال هذه الحقائق التي يبرهن الوقت على صحتها إلى حياة الناس. يُعتبر الكتاب الذي تمسك به جزءاً من ذلك الجهد. وهو مصحوب بصلاتي لك لكي يُحِدث تغييراً وثورة في تفكيرك بشأن العلاقات عندما تقرأ هذه الفصول. إنني أسأل الله أن يمنحك البصيرة والفطنة لكي تنظر إلى العلاقات كما لم تفعل من قبل حتى تتمكن من اختبار السر المهيب للعلاقات الدائمة التي ترغب فيها بعمق.

وبالمناسبة، لو كنت بالفعل في علاقة زواج رائعة، فتهانينا**!** اقرأ هذا الكتاب باعتباره استثماراً شخصياً في أهم علاقة بشرية بالنسبة لك. لماذا؟ توجد ثلاثة أسباب. أولاً، إن الزيجات الرائعة تظل رائعة لو وجَّهنا الانتباه إلى المواضع الصحيحة. ثانياً، إن الزيجات الرائعة يمكنها أن تصبح حتى أفضل (ذلك أحد الأشياء التي تجعلها رائعة). ثالثاً، إن الزيجات الرائعة تستحق أن تُحاكى. بعد أن تقرأ هذا الكتاب، وفي المرة التالية التي يسألك فيها أحدهم، **"**ما هو سرّك؟ كيف تمتلك تلك العلاقة الرائعة؟**"** سوف يكون لديك شيء لكي تعطيه إياه ليقرأه.

هذا الكتاب إذن يناسبك، بغض النظر عمن تكون وأين أنت. آلاف الأشخاص سمعوا ما أنت على وشك أن تقرأه، وهؤلاء الذين طبقوا هذه الحقائق الخالدة قد اكتشفوا أنها ناجحة. كما أن الشهادات التي تأتينا في الأعداد الكبيرة من البريد الإليكتروني، والرسائل، والفاكسات من جمهور الراديو تؤكد على أنه يوجد حقاً رجاء للعلاقات! فإن الناس لديهم جوع لإيجاد بديل. لو كانت الطريقة التي يبني بها معظم الناس زيجاتهم تفشل، ألا يُعقل أن نبحث عن طريقة أخرى؟ إنني، بصراحة، أُفَضِّل ألا أقرأ أو أسمع المزيد عن تحطم الزيجات والعلاقات. بل أُفَضِّل بالأحرى أن أكون جزءاً من جعل الأمور أفضل. لقد رأيت ألماً بما فيه الكفاية في حياة الناس حتى أنه سيدوم معي لمدة طويلة. وقد بكيت مع الكثير جداً من الأشخاص المكسورين. كان من الممكن تجنب الكثير جداً من ذلك. يوجد رجاء! توجد طريقة أفضل لإيجاد الحب، والبقاء في الحب، والنمو في العلاقة الحميمة مدى الحياة.

إنني أشارك مادة هذه الفصول بكل ثقة. فأنا أعمل بالتاكيد، كما ستلاحظون، على تطبيق هذه الحقائق في زواجي. أنا وزوجتي لم نكن نعرف كيف نقيم علاقات، وقد تعلمنا بنعمة الله كيف يمكن للعلاقة أن تتحول من الانسياق التعيس إلى الفرح الحميم. أعدك أنك لو وثقت في هذه الطريقة ونفذتها للتفكير بشأن العلاقات وكيفية القيام بها، يمكن لعلاقتك أن تكون دائمة ومشبعة بعمق. هذه المبادئ تنجح ليس لأنها تنبع مني بل لأنها تنبع من الإله الذي صنعك. الحب، و الجنس والعلاقات الدائمة كانت جميعها خطة الله. لقد صنعك من أجل الدخول في علاقة. وقد خلق هذا الاشتياق للارتباط مع الآخرين لكي يكون جزءاً من حياتك. وحيث أنك موضوع محبته ومودته، فهو يريد أن يحقق هذه الاشتياقات بطرق تفوق أعظم أحلامك.

الفصل الأول ١

نموذج هوليوود لعلاقات دائمة ومُحبة



نموذج هوليوود لعلاقات دائمة ومُحبة



لو امتنعت عن قراءة المقدمة، توقف. لا تعبرها. من فضلك عُد مرة أخرى واقرأها الآن. فإن مقدمة هذا الكتاب تحدد الاتجاه العام وبؤرة التركيز لكل ما سنتحدث عنه. لن يساعدك هذا الفصل بالطريقة المرجوة ما لم تقرأ سريعاً المقدمة لكي تدرك إلى أين تنقاد ولماذا.

لقد أثرنا نقطة أن الحب، والجنس، والعلاقات الدائمة هم ضمن الرغبات الأكثر شغفاً لقلوب الناس. كما لاحظنا أيضاً أن معظم الناس لا يختبرون ببساطة الحب والعلاقة الجنسية الحميمة بالدرجة أو المدى اللذين يرغبونهما. فعلى الرغم من كل الأغاني التي تدور حول الحب، لا يبدو أن الناس يحصلون على الكثير منه. وعلى الرغم من كل الأفلام التي تمجِّد الجنس، يظل هو أكثر نقاط الإحباط شيوعاً، والشرارة التي تفجر الخلافات والصراعات في العلاقات. فإن المشاهد العاطفية الساخنة على الشاشة أو في الروايات الرومانسية نادراً ما تشبه العلاقات الواقعية التي يختبرها الناس. لكننا ذكرنا أنه يوجد رجاء. لقد أعطى الله تعليمات محددة عن كيفية تغذية حياتك العاطفية، وإيجاد شريك الحياة المناسب، وتطوير علاقة جنسية مشبعة بشكل متبادل تربط كلا الطرفين بشكل

قوي. فإن الله يعرف اشتياقات قلبك ويريد أن يعلّمك كيف تبني علاقة تصبح فعلياً أفضل وأعمق على مر العقود.

كيف حال حياتك العاطفية؟

دعني أطرح عليك بعض الأسئلة.

- كيف حال حياتك العاطفية؟
- أين هو الموضع الذي تشعر فيه بالإحباط؟
- ما الذي تبحث عنه لكنك لا تجده؟
- ما الذي يسير على ما يرام وما الذي ارتبكت فيه للغاية؟

اقضِ دقيقة للتفكير في هذه الأسئلة. انزع عنك وسائل الدفاع التي استخدمتها لكي تمنع ألم الماضي أو إحباطات الحاضر. اعمل جرداً سريعاً لشبكة علاقاتك. إن سبب التوقف الآن، قبل أن تواصل القراءة، ليس له أية علاقة بتأمل النفس السقيم. فإنني ببساطة أريدك أن تتوقف وتتأمل في علاقاتك. اغتنم هذه الفرصة لكي ترى بوضوح على قدر الإمكان، الوضع الحالي لحياتك العاطفية. أعرف أنني أطلب منك القيام بشيء ليس سهلاً. فأحياناً ما تبدأ أصعب صراعاتنا في ناحية حساسة مثل هذه عندما نحاول أن نفهم حقاً أين نقف فيما يتعلق بالآخرين. ربما يمكنني أن أقدم لك بعض العون في تفكيرك الشخصي.

لو أنني مررت بك في الشارع، فما هي النظرة التي كنت سأراها على وجهك وفي عينيك؟ هل كنت سأرى شخصاً خائفاً، أم شديد الاهتياج، أم غاضباً، أم حتى محبطاً؟ لو أنني راقبتك لبضع ساعات، فهل كنت سألاحظ افتقاراً للفرح، أم قناعة، أم سلاماً؟ هل كنت سأحس أنك تشعر كما لو أنك تتقدم في الحياة لكن لا يبدو أنك تصل إلى حيث تريد أن تذهب؟ هل كان سيعرض روتينك اليومي، ومحادثاتك الخاصة، ومداخل يومياتك، إشارات وفيرة عن اشتياقاتك للحب لكنك لم تجده بعد؟

هل أنت أحد هؤلاء الشباب (أو أنك تركت سن الشباب) الذين جُرحوا بشكل عميق؟ هل تجد نفسك تترنح في الحياة من جرَّاء ألم الماضي؟ لو كانت تلك هي حالتك، أرجوك لا تشعر بالخزي؛ أنت لستَ وحدك. ففي الواقع، ونتيجة لتقديم المشورة لمئات الأشخاص عبر السنين، فإنني لم أعد أندهش عندما يعترف أغلبيتهم أن سعيهم وراء الحب قد تركهم مجروحين وخائفين. هل أنت واحد منهم؟ إن معظمنا، للأسف، قد تربى في عائلات نادراً ما كان يُناقَش فيها الحب أو كانت مثالاً سيئاً عنه. كذلك فإن ما يزيد عن نصفنا قد تربّوا في بيوت شاهدوا فيها آباءهم يهتاجون، ويتعاركون، وينفصلون، ويُطلقون، ويتركونهم في حالة يُتْم عاطفي. والآن، على قدر ما نتوق للحب بشدة، فإننا نخاف جداً من أن يجلب مزيداً من الألم. كثيرون يعترفون لي بشكل خاص أنهم يتمزقون بين توقهم للحب وخوفهم من الخوف والرفض اللذين قد يأتي بهما. لو كنا قد تحدثنا بهدوء ونحن نتناول القهوة، هل كنت ستشارك نفس هذه المخاوف والجروح؟

أما بالنسبة لآخرين، فإن المسألة ليست إيجاد شخص نحبه؛ لكنها مسألة إحباط عنيف من نوعية العلاقة الحالية. ربما تجد نفسك في إحدى تلك الزيجات – تسيرون درب الحياة معاً لكنكم نادراً ما تسيرون متشابكي الأيدي أو تتحدثون أحدكم مع الآخر. ربما تكونين زوجة تنظر بانزعاج إلى زوجها وهو على ما يبدو يحدق في كل امرأة أخرى على الطريق. ربما تكونين قد قضيتِ سنيناً في انتظار أن يصبح زوجك شخصاً آخر. ربما تكون زوجاً كان يبحث سراً عن شيء أجدد، وأفضل، وأكثر إثارة في علاقتك. في هذا النوع من الأنماط العلاقاتية، ينقل كلا الطرفين استياءهما من الآخر. يبدو أنه لا أحد فيهما يرقى إلى توقعات الآخر. هل يبدو ذلك كله مألوفاً جداً لك؟ هل يصف ذلك علاقتك الآن؟ يمكنك أن تكون صادقاً. ليست لدي رغبة على الإطلاق في فتح جرح أو إحراجك، بل في مساعدتك على فهم نقطة بدايتك بوضوح حتى نتمكن من إحراز تقدم حقيقي معاً في الصفحات المقبلة.

أو ربما يكون ما وصفته إلى الآن لا يتفق مع حالتك على الإطلاق. ربما تكون مكتفياً إلى حد معقول بالعلاقة التي يبدو فيها كل شيء على ما يرام، على الأقل على السطح. فغالباً ما يفترض الناس أنك متزوج، لكن عندما يثيرون الموضوع، فإنك تقول، "لا، نعيش تحت سقف واحد ولكننا تقريباً منفصلان. وبالرغم من أن العلاقة تبدو على ما يرام الآن،

إلا أن النظر عن قرب يمكن أن يكشف بعض المخاوف الخفية التي لم تشاركها مع أحد قطَ. فإنك تحيا بإحساس عميق من الحيرة. وهو يظهر في تلك النظرات الحذرة لبعضكم بعضاً التي تحسب كم يتبقى من الوقت على الساعة قبل أن تنفذ المشاعر الجيدة. إنه السؤال المستمر الذي يُطرح في خلفية ذهنك: "لو كان حقاً يحبني، لماذا يتجنب الالتزام الخاص طويل المدى؟" إنه الخوف من أنه في أي يوم، وفي أية لحظة، يمكن للآخر أن ينسحب لأن لا أحد منكما قد إلتزم التزاماً دائماً نحو الآخر. الإحساس المفقود بالأمان واستمرارية العلاقة يخلق فراغاً تحت قدميك. فتُهدر طاقتك في محاولة إرضاء وتهدئة شريكك بسبب المخاوف المترسخة من أنه قد يجد يوماً ما شخصاً آخر أو قد يمل منك. وتلك المخاوف تزعج باستمرار حالتك العاطفية،إذ توجد بعض الأشياء التي لا تستطيع ببساطة أن تشاركها. وتظل بعض أسوار الدفاع الداخلية دائماً في مكانها، لأنه على الرغم من بعض المظاهر الإيجابية جداً لعلاقتك، فإن كليكما يعرف في أعماق قلبه أن العلاقة يمكن أن تنتهي في أي وقت. وفي معظم الحالات، تأخذ مثل تلك العلاقة مجراها، ثم يختار الاثنان إما أن يستمرا في الزواج أو ينفصلا. فهل يصف ذلك حالتك؟ هل توجد لديك مخاوف مُلِّحة عن أين ستمضي العلاقة وأين ستستقر؟ هل من الممكن أن تبدو هذه "التسوية السهلة للحياة" جيدة على المدى القصير، غير أنها تفشل في تقديم تربة خصبة للعلاقة الدائمة التي تتمناها سراً؟

بعض منكم الذين يقراون هذا الكتاب ليس لديهم احتياج للخوض في ملف علاقاتهم. فإن عالم علاقاتك وعواطفك هو جرح مفتوح ومؤلم. فإنك، في الواقع، لا تزال تحمل علامة الخاتم على إصبعك التي تُظهر انك كنت متزوجاً لكنك تمضي الآن وحيداً. لقد دخلت عالماً جديداً – عالم "العزّاب مرة أخرى". إنه أمر غريب، ومختلف، وغير مريح. فإنك تنظر إلى الآخرين، خائفاً من أن يلاحظوا مزيج اليأس والإحباط على وجهك. تحاول جاهداً أن تكتشف حقيقة الآخرين في حين أنك تحمي وتُخفي هويتك الحقيقية. لا تريد أن تكشف الكثير سريعاً جداً. فإنك لا زلت مجروحاً بسبب علاقتك المكسورة، إلا أنك منقاد باحتياجك إلى الحب لإيجاد شخص خاص يمكن أن تتعلق به وهو يتعلق بك.

أياً كان أولئك الأشخاص الذين تتطابق معهم أكثر، فربما تكون قد لاحظت على الأرجح أنهم يتشاركون في خاصية واحدة. فإنهم جميعاً يبحثون عن الحب بطريقة خاصة.

وبالرغم من أننا نادراً ما نفكر في الأمر بهذه الطريقة، فإن جميعنا تقريباً يتبع مجموعة معينة من القواعد غير المكتوبة ونصنع بعض الافتراضات عن العلاقات. لكن معظمنا لم يتساءل أبداً من أين نشأت هذه القواعد أو الافتراضات أو لماذا تستحق إتباعها. فإننا ننتقل من علاقة إلى علاقة وفي أحيان كثيرة من وجع قلب إلى وجع قلب مع بعض الافتراضات المسبقة المشتركة على نطاق واسع بشأن ماهية الحب، وكيفية إيجاده، وماذا نفعل عندما لا نمتلكه. لكن للأسف، فإن أفكارنا عن الحب وطرقنا لإيجاد حب حياتنا نادراً ما يتم فحصها أو تقييمها بعناية. إن القواعد الخاصة بالعلاقات هي جزء من ثقافتنا حتى أننا بالكاد نسأل أنفسنا هذه الأسئلة الهامة:

- "هل أنتهج طريقة ناجحة في البحث عن الحب؟"
- "هل أنتهج في تطوير هذه العلاقة طريقة تعزز الحميمية، والعمق، والصبر، والفرح؟"

إن معظمنا ببساطة يتبع القوانين ونحن نمضي في الحياة ناظرين، وساعين، ومجرِّبين في محاولاتنا لإيجاد الحب، والجنس، والعلاقات الدائمة.

ما سوف أشارك به في الفقرة التالية قد يكون أهم الأفكار التي تقرأها في هذا الكتاب. فسوف أقترح أن النموذج (مجموعة القواعد غير المكتوبة) الذي قبلناه عن الحب لا يفي بالغرض. سوف أفترض، في الواقع، أننا قد تعرضنا لغسيل مخ بشكل غير واعٍ حتى نؤمن ببعض المُسلَّمات الخاطئة عن الكيفية التي يتطور بها الحب، والجنس، والعلاقاتً الدائمة. لست أفترض أنه كانت توجد أية محاولات شريرة لتدمير حياتنا. لكنني أقول بالتأكيد إن هناك طريقة للتفكير في العلاقات قد تطورت في ثقافتنا، لو فُحصت، سوف تُثبت أنها غير قادرة على إنتاج نوعية العلاقات التي ننشدها.

ألم يحِن الوقت لإعادة تقييم نظرتنا عن الحب وكيفية نموه؟ ألا يبدو منطقياً مع كل هذا الكم من النتائج العرضية، والفوضى، والألم الناجمة عن العلاقات أن نتوقف، ونسأل أنفسنا "من أين حصلنا على أفكارنا عن كيفية نجاح العلاقات؟ هل يجوز أننا نحاول إيجاد شيء ليس له وجود، أم أننا نبحث عنه ببساطة في الأماكن الخاطئة وبالطرق الخاطئة؟"

من أين حَصُلت على معظم أفكارك عن الحب؟ ما هي مصادر معلوماتك عن الحب، أو الجنس، أو العلاقات الدائمة؟ قبل أن نتقدم إلى نقطة أخرى، دعونا نرجع مرة أخرى إلى نقطة البداية ونلقي نظرة أقرب على القواعد غير المكتوبة التي قبلناها بشكل غير واعٍ باعتبارها حقيقية. دعونا نفحص معاً من أين حصلنا على أفكارنا بشأن الحب.

من أين حصلنا على أفكارنا بشأن الحب؟

يمكنني بالتأكيد أن أتخيل عالماً ينمو فيه الأطفال وهم محاطون بأمثلة جيدة للعلاقات العاطفية. إذ يمكنني أن أرى آباء وأمهات يشاركون المودة بانفتاح، ويحافظون على الحب حياً، ويتحدثون مع أبنائهم عن كل مظاهر العلاقات. يمكنني أن أتصور اللحظات التي يقضيها الأب مع الابن والأم مع البنت حيث يشاركون تدريجياً أفكاراً تلائم سنهم عن الحب والنشاط الجنسي. لكن هل حدث لك شيء مماثل من قبل؟ هل جلس معك أبوك أو أمك وقالا، "تلك هي كيفية إقامة علاقة صحية مع الجنس الآخر؟" هل أخبرك من قبل أهل الثقة والحكمة من الكبار، "تلك هي حقاً ماهية الجنس" ما خلا التفاصيل الجسدية التي حصلت عليها في فصل الصحة بالصف التاسع؟ هل جلست من قبل في محادثة عائلية دافئة وإيجابية سمعت فيها، "لهذا السبب وبهذه الكيفية يمكن للجنس أن يكون جميلاً، وجيداً، ورائعاً، لكن كن حذراً، لأن تلك هي الكيفية التي يمكن أن يكون بها الجنس مشوّهاً ومدمراً"؟ هل أثار أهلك معك من قبل مناقشة بشأن كيفية تعزيز الحميمية في العلاقة من خلال التواصل، والالتزام، والأهداف المشتركة الواضحة؟

إن الإجابة بالنسبة لمعظمنا هي لا. لم يقدم لنا أحد إطلاقاً إرشادات موثوقاً فيها عن هذه النواحي الشخصية من حياتنا. لقد تعلّم معظمنا عن الحب، والجنس، والعلاقات من خلال ثقافتنا. ومن الحُزن أن معلمينا كانوا مراهقين أكبر سناً قد نشأوا هم أنفسهم في بيوت مختلة وظيفياً. لو لم يكن ذلك كافياً، فإن الإعلام أيضاً قد باع لنا فاتورة زائفة من البضائع فيما يتعلق بفكرة الحب، والجنس، والعلاقات بأكملها. فبعد الاستماع إلى آلاف الأغاني والحصول على جرعة يومية من التليفزيون، والأفلام، والروايات الرومانسية، امتلأت قلوبنا وأذهاننا بأفكار خاطئة عن ماهية الحب، والجنس، والعلاقات.

لقد غَرَسَت فينا هذه الأغنيات، والبرامج التليفزيونية، والأفلام، والكتب، وصفة محددة بشأن الكيفية التي يُفترض أن ينجح بها الحب، والجنس، والعلاقات. لقد أمضينا أنا وأنت ساعات غير قليلة في ترديد الأغنيات المشهورة، ومتابعة البرامج التليفزيونية، وتوقع التكملة التالية لبطل فيلمنا المُفَضَّل. وقد أصبحنا مع الوقت مقتنعين بشكل غير واعٍ أننا لو اتبعنا منهجاً بسيطاً، من أربع خطوات للعلاقات، فسوف ينجح معنا كما ينجح في الأفلام أو كما تقول الأغنية. والآن لا تسيئوا فهمي. أنا لا أقصد أن كل كُتَّاب الأغاني والأفلام والكتب قد اتفقوا معاً لكي يخرجوا بهذا المنهج الذي يتكون من أربع خطوات. لكن ما أقصده هو أنك لو قمت بتحليل الأغاني، والأفلام، والكتب التي تملأ حياتنا، فسوف ترى أنه تخرج منها مجموعة من الافتراضات الواضحة الثابتة بشأن العلاقات. سواء عن قصد أم لا، فإن هوليوود لديها صيغة للحب، والجنس، والعلاقات الدائمة. ومع ذلك، فحينما نفحص هذه الصيغة بعناية، قد نقرر أنه من الأفضل وصفها باعتبارها "نموذج هوليوود للجنس، والحب، والعلاقات الخاسرة". لو اعتقدت أنني أبالغ في تقدير الحالة، فاحتفظ في ذهنك بوجهة نظرك الخاصة عن الحب والجنس بينما أقدم لك نظرة عامة عن نموذج هوليوود. اسأل نفسك إن كانت هذه الصيغة لا تعدك في الواقع بأنك يمكن أن تُحب بعمق، وتحصل على الجنس الرائع، وتتمشى حتى غروب الشمس مع شخص آخر مدى الحياة لو أنك فعلت ببساطة ما يحدث في الأفلام.

نموذج هوليوود

دعونا نلقي نظرة على ما تقول عنه هوليوود إنه يصنع علاقات ناجحة. وقد حذفت الإضاءة، والمشاهد الدافئة، والسير على الشاطئ اليد في اليد، واللحظات بطيئة الحركة، وارتفاع وانخفاض موسيقى الخلفية. لقد اختصرت الموقف كله فقط إلى المضمون.

توجد أساساً أربع خطوات، وفقاً لهوليوود، تقود إلى علاقات عميقة، وحميمة، وحارة جداً سوف تدوم إلى الأبد.

الخطوة١: ابحث عن الشخص المناسب

ذلك صحيح. فإن المفتاح للحب هو إيجاد الشخص الخاص الذي خُلق خصيصاً لأجلك. إنها أو إنه بالخارج؛ وكل ما عليك أن تفعله هو أن تجدها. قُد سيارتك. تنزه. اذهب للمراقبة. فسوف تأتي اللحظة. هل تتذكر ذلك المشهد من فيلم " بينما كنتُ نائمة" While you were sleeping الذي تجد فيه ساندرا بولوك "الشخص المناسب" عندما يخطو إلى شباكها في مترو الأنفاق ويطلب تذكرة لكونيكتيكوت؟ ثم يسقط بلا حراك، وفي أثناء زيارتها له بالمستشفى يتصادف أنها تتقابل مع أخيه الذي تكتشف أنه هو "الشخص المناسب" الحقيقي لها. وفي فيلم "نوفمبر الجميل" Sweet November يحاول كيانو ريفز أن يغش في امتحان القيادة الخاص به، فيوقِع تشارليز ثيرون في مشكلة، ويجد بدلاً من ذلك حب حياته. أما جيمس بوند فإنه عادة ما يتقابل مع "الفتيات المناسبات" في أثناء محاولتهن قتله. كما أن جنيفر لوبيز تقابل شخصاً مناسباً عندما ينقذها من أن تُدهس في مقلب نفايات في أحد الأفلام، ثم تجد حب حياتها عندما تلعب دور الخادمة التي تنظف حجرته بالفندق في فيلمها التالي.

هل تفهم الصورة؟ سواء كانت أفلام ونجوم اليوم أم أفلام كلارك جابلس، أو كاري جرانتس، أو مارلين مونرو، أو راكيل ويلتش في الماضي، فإن الرسالة هي نفسها دائماً. إن إيجاد الشخص المناسب يَحدُث فحسب! وهو طائش، وعرضي، وأنت تجد نفسك عاجزاً في سياق ذلك. فإنك في النهاية سوف تقابل "الشخص المناسب" . عندما تتوقع ذلك، توقعه. فعند الزاوية التالية تماماً سوف تجد شخصاً أفضل جداً من أي شخص عرفته من قبل. إن الحب الحقيقي ساحر وغامض. والأمر كله يختص بإيجاد الشخص المناسب. لو كان الأمر ممكناً مع جي لو، يمكنه أيضاً أن يحدث لك. استمر في البحث فحسب.

الخطوة٢: انجذب نحو الحب

عندما تجد ذلك الشخص، سوف يفرقع شيئاً وسوف تعرف فحسب. لا أحد يعرف كيف، لكنك سوف تعرف فحسب. أمر ما بشأن الطريقة التي تمشي أو تتحدث بها. نظرة

أو حركة سريعة قد تكون كافية. ربما لا تعرف اسمها أو الكثير عنها، لكنك سوف تعرف أنك وقعت في الحب. ففي فيلم"بلا نوم في سياتل" Sleepless in Seattle لم يكن توم هانكس يحتاج سوى إلى أن يُسمع ابنه الصغير من خلال الراديو وهو يخبر البلد عن قصة حياة أبيه الحزينة، وسريعاً ما تعرف ميج رايان أنها تحب هذا الرجل. وعندما يتقابلان أخيراً ضد كل الاحتمالات على قمة مبنى الإمباير ستيت، فإن كل ما يتطلبه الأمر نظرة واحدة حتى يقع غريبان في الحب على الفور. هل كان السر في الموسيقى؟ أم الارتفاع؟ أم مجرد النص؟ أم، كما يقولون، هل هو فحسب ذلك السحر القديم الذي يُدعى الحب؟

في الأفلام يمكنك أن تقع في حب الغرباء وهذا هو الشيء الطبيعي. ففي نموذج هوليوود، يستند الحب على الكيمياء، وليس المعرفة أو الشخصية. وفقاً لمفهوم الحب الخاص بثقافة البوب التي نعيش فيها، يمكنك أن تغني، "مرحباً، أنا أحييك، ألن تخبرني عن اسمك؟". وسوف تتأكد بشكل جاد أنك واقع في الحب لأن مشاعرك ملتهبة كما أن النبضات الكهربائية سوف تتدفق في كل جسمك. لكن للأسف، فإن معامل ذكائك سوف ينخفض بنحو ثلاثين درجة على الفور. سوف تنفق مالاً لا تملكه. وسوف تقضي وقتاً في القيام بأشياء سخيفة. فإن هذه الخبرة المدهشة، المرغوبة جداً "للوقوع في الحب" تعادلها مشاعر فياضة تهمل المنطق، أو الخلفية، أو الاهتمامات المشتركة، أو التوافق. فالحب، كما تقول هوليوود، "يجعلك مجنوناً". سوف تقوم باختيارات يقول عنها كل من يعرفك، "ذلك أغبى شيء فعلته على الإطلاق". لكنك واقع في الحب. والحب هو كل ما يهم. وأنت تعرف ذلك لأن تلك المشاعر القوية، المفاجئة، الغامرة لابد أن تكون حقيقية. ويبدو أن الاختيار الوحيد الذي يجب أن يُتخذ هو القيام بالخطوة التالية.

الخطوة٣: ثبِّت أمالك وأحلامك للشبع المستقبلي على ذلك الشخص

الحب في الأفلام يرفض كل الاختيارات الأخرى. فإن العرائس والعرسان كثيراً ما يُتركون عند المذبح لأن رفقاء حياتهم المستقبليين قد قرروا أن يفروا مع شخص آخر قد "وقعوا في حبه" حقاً. فما أن تقع في الحب، في حالة هوليوود، حتى يكون كل وعد آخر قد أعطيته ملغياً وباطلاً. لا يمكنك أن تتمسك بأي التزام سابق. فإن الشخص الذي "تقع في حبه"

سوف يصبح هدف حياتك، ومستقبلك، وأحلامك، وإشباعك. فإنك تكون فجأة قد أدركت أنه هو وهو وحده الذي سيجعلك كاملاً. سوف يجعلك تاماً. سوف تكتسب الحياة معنى كما لم تفعل من قبل (فيما عدا المرات الأخرى التي وقعت فيها في الحب). سوف تجد نفسك، في الواقع، تعيش وتفكر في سطور أغنياتك المفضلة: "لست أعرف ماذا كنت سأفعل من دونك" و"لا يمكنني الاستمرار بدونك يا حبيبي". وتبدأ في الاعتقاد بأنك لن تستطيع العيش بدونه أو بدونها. وتعيش في أحلام يقظة مستمرة حول هذا الشخص، وتبدأ في كتابة نصوص رومانسية مثالية عن حياتكما المستقبلية معاً. وتتوقع تماماً أن هذا الشخص سوف يتمكن من تسديد أعمق اشتياقاتك واحتياجاتك ويفعل ما تتوقعه منه مائة بالمائة. وعلى الرغم من أننا جميعاً نعرف في أذهاننا أن ذلك مستحيل، إلا أننا عُلِّمنا بمهارة أن نؤسس سعادتنا المستقبلية على التوقع اللاواعي أن إيجاد الشخص المناسب سيحل كل مشاكلنا.

إن هوليوود تعادل بين الحب والافتتان. فإن هذه الفترة من الافتتان المكثف والمشاعر المشحونة يمكنها أن تدوم على أية حال من ستة أسابيع إلى ثمانية عشر شهراً. وعندما تبدأ المشاعر في الانحسار (كما تفعل دائماً)، فإننا نستنتج أن حبنا يموت. إذ يتضح أن الشريك المثالي لديه عيب أو عيبان. لا يمكن للمشاعر أن تسير وفقاً لتخيلنا. ويبدأ النزاع العلاقاتي يُظهر رأسه القبيح. ويتلف الاستياء تدريجياً تلك المشاعر التي كانت يوماً ما مبتهجة. فنبدأ، ونحن مخيَّبين ومحبطين، في تغيير بؤرة تركيزنا. فحينما تتلاشى المشاعر وتظهر المضايقات، نبدأ في إلقاء اللوم في مشاكلنا على عدم قدرة الشخص الآخر على أن يكون على المستوى.

تجهز هوليوود "خطة ب" مناسبة عندما يتداعى "الحب الحقيقي". فتتكاثر الكلاشيهات لكي تصف كم أننا "انسقنا بعيداً" أو "تنحينا عن الحب" أو كم كان جيداً في يوم من الأيام، لكنه "لم يعد نفس الشيء فيما بعد". فننقاد إلى أن نعتقد أن "التنحي عن الحب" هو خطر متوقع وطبيعي في العلاقات. فنكون إما اخترنا الشخص الخطأ أو أننا كنا مناسبين لبعضنا لموسم معين لكن هذا الموسم قد انقضى. فإن نقص محبتنا ليست له علاقة بنا؛ لكنه ببساطة نتيجة لاكتشافنا أنه لم يعد لدينا الشخص

المناسب في حياتنا. وحيث أن ذلك يحدث في كثير جداً من الأحيان، فإن نموذج هوليوود لديه خطوة رابعة قد أصبحت هي المعيار في الحياة الأمريكية.

الخطوة٤: لو حدث الفشل، كرر الخطوات ١، ٢، و٣

إن الخطوة الثالثة عادة ما تقود إلى الفشل في نهاية الأمر. عندما يحدث الانهيار في العلاقات، يقدم نموذج هوليوود حلاً سريعاً وغير مؤلم على ما يُفترض: خذ الخطوة ٤؛ ارجع للبداية مرة أخرى. كرر الخطوات ١، ٢، و٣. فقد حان الوقت مرة أخرى ل(١) إيجاد الشخص المناسب، (٢) الوقوع في الحب، و(٣) تثبيت آمالك وأحلامك على هذا الشخص الجديد المُحسَّن الذي وجدته. ربما ينجح الأمر هذه المرة. واصل فحسب إلى الشريك التالي، مكرراً الخطوات ١-٣.

ترى إذن أن تلك هي الفرضية وراء نموذج هوليوود: إن المفتاح للحب هو إيجاد الشخص المناسب. لو كانت علاقتك الحالية غير ناجحة، لو كان هذا الشخص لسبب ما لا يحقق أحلامك ورغباتك، لو لم تكن مبتهجاً، لابد إذن أنك مع الشخص الخاطئ. ربما كان يبدو الشخص المناسب في البداية، لكن حقيقة أن المشاعر قد ذبلت، يعني أنه لم يكن في الواقع الشخص المناسب لك. لذلك ابتعد عن هذا الشخص وابحث عن شخص جديد. عندما تفعل ذلك، كرر نفس الصيغة إلى أن تنجح فيها.

أنا أعلم أن ما شاركته يبدو فظاً ويتضمن ما هو أكثر من الهجوم القليل. لكن تظل الحقيقة هي أن الكتب، والأفلام، والأغاني، وبرامج التليفزيون التي أصبحت قاسماً مشتركاً في تفكيرنا ومفرداتنا تخبرني وتخبرك باستمرار أن الطريق للحب، والجنس، والعلاقات الدائمة يوجد من خلال الخطوات الأربع التي لخّصتها. قد يبدو الأمر قاسياً كما أنه يفجِّر بضع فقاعات رومانسية، لكن هذه الصيغة المكونة من الأربع خطوات والتي تخص هوليوود هي ما يؤمن به معظمنا الآن بشكل غير واعٍ بشأن الكيفية التي تنجح بها العلاقات. وهي الأساس الذي ننظر به إلى نشاطنا الجنسي. وهي الكيفية التي نقيِّم بها ما إذا كانت علاقتنا ناجحة أم لا. ولو كانت هذه الصيغة خاطئة أو مختلة وظيفياً، كما سأفترض، لابد

إذن لتفكيرنا الأساسي بشأن العلاقات أن يتغير لو أردنا أن نكتشف ونستمتع بنوعية الحب، والجنس، والعلاقات الدائمة التي قصدها الله لنا.

قبل أن تستنتج أنني كنت قاسياً جداً نوعاً ما مع نموذج هوليوود، دعونا نقوم باستعراض سريع للكيفية التي يعمل بها نموذج هوليوود في أمريكا اليوم.

بطاقة بيان عن نموذج هوليوود

أعرف أن ذلك سوف يهدد بعضاً من فرضياتنا القوية جداً بشأن الحب، لكن دعونا نلقي نظرة صريحة على معدل نجاح نموذج هوليوود. كيف ينتهي به الأمر في حياة هؤلاء الذين يختبرونه؟

إن تعداد الطلاق هو الفئة الزوجية الأسرع نمواً في الولايات المتحدة. فقد كان إجمالي عدد المطلّقين في عام ١٩٧٠ حوالي ٤و٣ مليون. وفي عام ١٩٩٦ (أي بعد ستة وعشرين عاماً) بلغ ٣و١٨ مليوناً. لو كنا نتحدث عن فيروس أو عدوى، لكان مركز الرقابة على الأمراض قد أطلق عليه وباءاً كارثياً. غير أن ذلك أخطر جداً من مجرد إخفاقات بائسة "لبالغين في سن الإدراك". إن صيغة هوليوود ليست فقط فاشلة بشكل مدهش، لكنها تتسبب أيضاً في ألم، ونتائج عرضية، وخسارة غير قابلين للقياس تقريباً.

من المحزن أننا لا ننكر فقط الوجود المتفشي للطلاق في مجتمعنا، لكننا نعمل جاهدين لكي نخفي الآثار المدمرة له. فإن ما نسمعه، على الرغم من العنف، والغضب، والكلام المر الذي يتردد في محاكم الطلاق، هو، "نحن لا زلنا أصدقاء؛ فقد كانت غلطة فحسب" أو "أن أبناءنا يعرفون أننا نحبهم ولا زلنا نهتم بأمر أحدنا الآخر (حتى لو لم نعد نطيق العيش معاً)". تلك هي الكيفية التي يُعالَج بها الطلاق في العلن. لكن لسوء الحظ، كلما علا صوتنا معلنين الطلاق "الودود" أو "بلا عيب"، كلما طال تسترنا على الأضرار. إن الأبحاث في الولايات المتحدة تشير إلى أن الألم، والنتائج العرضية، والضرر يتخطى الأطفال. فإن ثلث النساء يجدن أنفسهن بعد الطلاق يعشن عند أو تحت خط الفقر لبعض الوقت في حياتهن. كما أن العلاقات المكسورة بين الأنسباء والأصدقاء تؤثر على دوائر دائمة الاتساع وتستمر طوال الحياة.

منذ زمن ليس ببعيد، كتبت جوديث ولرستن مقالاً في **USA Weekend** بعنوان، "أطفال الطلاق، بعد خمسة وعشرين عاماً". وقد وصفت فيه دراسة بارزة جديدة تتبعت أطفال الطلاق لمدة خمسة وعشرين عاماً. وانتهت الدراسة إلى أن التأثير السلبي لانهيار العائلة يستمر تماماً إلى سن الرشد. وقد روى أحد هؤلاء الأطفال الكبار، "إن جزءاً مني دائماً ينتظر حدوث كارثة. أنا أحيا في فزع من أن تغيِّر خسارة فظيعة حياتي". ذلك هو ما يبدو عليه الطلاق بعد خمسة وعشرين عاماً فيما بين هؤلاء الذين يصدمهم أكثر.

ويواصل المقال في الاقتباس عن مافيس هيثيرنجتون، وهي باحثة في الطلاق وأستاذة حالية في علم النفس الزواجي بجامعة فيرجينيا، "على المدى القصير، يُعتبر الطلاق دائماً مزعجاً بالنسبة للأطفال". وقد سجلت على شرائط فيديو وفحصت بدقّة أعمال ألف وأربعمائة عائلة تعرضت للطلاق منذ بدايات السبعينات. وهي تحدد بدقّة فترة أزمة تتراوح بين عامين تقريباً فور الانفصال عندما يخلّ الكبار المنشغلون بحياتهم الخاصة، بواجباتهم الأبوية في نفس الوقت الذي يكون فيه أطفالهم مضطربين بسبب خسارتهم. أليس مدهشاً إذن أن تجد الناس لا يتعلقون بشيء في يومنا؟ هل يمكن أن يكون هذا هو السبب الذي لأجله يتزوج الرجال الآن في حوالي سن ٢٧ أو ٢٨ بدلاً من سن ٢٣ وتتزوج النساء في سن ٢٣ بدلاً من سن ٢٠؟ هل يدهشنا أن العيش معاً بدون زواج قد تضاعف أربع مرات؟ هل تسمع ما يقوله هذا الجيل بأفعالهم ويعترفون به أحياناً بكلماتهم؟

- "لست أدري إن كنت أؤمن بالزواج".
- "أقترب من شخص، ثم يحدث نفس الشيء دائماً. فإنني أخاف حتى الموت من التعهد بالتزام دائم".
- "لست أدري كيف يُفترض أن ينجح الزواج، لكني أعلم أنني كبرت في عائلة لم ينجح فيها الزواج".
- "يوجد لديَّ قضايا غير محلولة وألم عالق والكثير من الخوف بشأن العلاقات".
- "أريد الحميمية وأتوق إلى الارتباط بشخص آخر، غير أن قلبي قد تمزق ولم يساعدني أحد

في تحمل الألم. فقد قالوا إنني سوف أتغلب عليه. حسناً، أنا لم أتغلب عليه. وأنا خائف الآن من الدخول في علاقات جديدة".

• "النماذج التي شاهدتها لم تنجح، وقد أصبحت لديَّ مشاعر مختلطة بشأن أمي وأبي. فقد كنت أقضي يومين مع أحدهما وأسبوعين مع الآخر، الصيف في منزل وسنوات المدرسة في منزلٍ آخر. وقد ظلا يسألانني أن أختار من أريد أن أقيم معه. لماذا لم يستطيعا اختيار البقاء معاً؟"

ويستمر الألم بغير انقطاع.

إلا أن هوليوود تستمر في الترويج لنموذجها: ابحث عن الشخص المناسب، أحببه، ثم ضع آمالك وأحلامك عليه أو عليها. لو لم ينجح ذلك، فلا يهم الأمر كثيراً. ابحث عن شخص آخر فحسب. ففي الواقع، تروق الرسالة الموجودة في بعض الأفلام والأغاني لهؤلاء الذين لديهم علاقات بالفعل. فلو وجدت شخصاً آخر لكنك كنت لا تزال متزوجاً، قل، "لو أن حبي لك خاطئ، حسناً، فإنني لا أريد أن أكون محقاً". رغم ذلك فسوف تكتشف فلسفة مختبئة تحت الكلمات واللهجة الجذابة تعد بحب جديد لكنها لا تولِّد سوى الدمار. فإن ما يبدأ "بشعور صحيح جداً" ينتهي به الأمر إلى أن يكون خاطئاً جداً.

وما لم نسعَ عمداً إلى البحث عن بديل، فسوف ينتهي بنا الأمر ببساطة إلى إتباع الثقافة السائدة حولنا. هذه الثقافة مشبَّعة بنموذج هوليوود. فنحن نغني برفقة أغنيات هذا النموذج، ونقرأ عنها؛ ونشاهدها، وجميعنا تقريباً قد اقتنعنا بها عن غير وعي بنسبة أو بأخرى. إنني أجد نموذج هوليوود سائداً فيما بين المسيحيين المؤمنين بنفس القدر كما بين غير المؤمنين. والنتائج في النهاية كارثة على حد سواء. فإننا نستمر في القيام بنفس الشيء في علاقة بعد الأخرى، ولا يزال الأمر يتسبب في نفس النتائج المأساوية. إذا كنا لانقبل بنفس النتائج في نواحي أخرى من حياتنا، لماذا إذن نقبلها في أهم ناحية من حياتنا؟ فعلى سبيل المثال، لو أنك وضعت إبهامك على سطح صلب، وأمسكت بمطرقة، وضربت ظفر إبهامك بقوة، فسوف يؤذيك بشدة. لو لم تكن قد فعلت ذلك من قبل، قد تتساءل إن كان هناك ارتباط بين الألم والمطرقة التي ضربت إبهامك. وهكذا للتحقق من اكتشافك،

فإنك ترفع المطرقة وتهشم إبهامك مرة أخرى. وذلك على الأرجح يكون كافياً جداً لك لكي تصل إلى استنتاج دائم.

لكن عندما يتعلق الأمر بنموذج هوليوود، يبدو أننا نرفض الحس البديهي. يشبه الأمر أخذ مطرقة وتحطيم العلاقات الواحدة تلو الأخرى والقول، "أظن أنني نلت من الإصبع الخاطئ فحسب. دعوني أجرب إصبعاً آخر". وبذلك فإننا نجلب لأنفسنا مراراً وتكراراً ألماً غير قابلٍ للتصديق. هل تعلم بماذا يشعر الله عندما يتفكك زواج ما؟ هل تعلم بماذا يشعر الله عندما يتمزق الأبناء، عندما ينفصل آباؤهم وأمهاتهم؟ هل تعلم بماذا يشعر الله عندما يرى الألم، والرفض، والوحدة التي يختبرها الناس عقب العلاقات المكسورة؟ إن الله يبكي في تحنن. غير أن الله لا يقف ببساطة في موقف المتفرج؛ فهو يبتغي مد يد المساعدة. إنه يريد للناس أن يعرفوا أن لديه طريقة أفضل وخطة أفضل لهم ولعلاقاتهم. وبعيداً عن نموذج هوليوود الجذاب الذي يعد بالحب ويولِّد الألم، فإن الله لديه وصفة للحب، والجنس، والعلاقات الدائمة. لقد ابتكر الله خطة مُصممة خصيصاً لأجلك لكي تستمتع على أفضل وأعلى مستوى مع الجنس الآخر. إن نموذج هوليوود هو الخطة ب الرديئة. لكن الله لديه الخطة أ التي تنجح حقاً.

أين تقف إذن في حياتك العاطفية؟ إلى أي مدى اقتنعت بنموذج هوليوود بغير وعي في سعيك نحو الحب؟ هل أنت راضٍ عن نتائج الخطة ب الخاصة بصيغة هوليوود، أم أنك مستعد للخطة أ؟

على الرغم من أننا لن نتغاضى عن الخطة ب طوال بقية هذا الكتاب، فإن غايتنا هي التركيز على الخطة أ. أؤمن بكل قلبي أنك لو فهمت خطة الله الأصلية بشأن العلاقات وكانت لديك فكرة واضحة عن الكيفية التي يمكن أن تنجح بها تلك الخطة في حياتك، فإن الجاذبية السطحية للخطة ب الخاصة بهوليوود سوف تتبخر. إن النموذج الذي تقدمه هوليوود ركيك! إنه لا ينقذ! لقد حان الوقت للتوقف، والتقييم، ورسم طريق جديد نحو الحب الهادف، والجنس الحميم، والعلاقات الدائمة.

التقييم الشخصي

من فضلك خذ دقيقة، قبل أن تواصل قراءة هذا الكتاب، للتفكير في الأسئلة التالية. فقد صُممت لكي تسمح لك بإضفاء طابع شخصي على الحق الذي كنا ندرسه في هذا الفصل.

١. كيف تصف تأثيرات نموذج هوليوود على حياتك وعلاقاتك الخاصة؟

٢. أي خطوة في نموذج هوليوود قد تسببت في مجال الصراع الخفي الأخطر شأناً في حياتك؟ لماذا؟ فيما يلي الخطوات الأربعة مع التأثير الذي يُفترض أن تتسبب فيه كل منها:

١. ابحث عن الشخص المناسب. أنت دائماً "في حالة بحث".

٢. أنجذب نحو الحب. فإنك تجد نفسك منجذباً بشدة لأشخاص هم عملياً غرباء عنك.

٣. ثبِّت آمالك وأحلامك على ذلك الشخص. فإنك تقضي ساعات في التخيلات، فتتخيل حياة مثالية مع شخص أنت بالكاد تعرفه لكنك متأكد من أن لديه كل ما تحتاج إليه في شريك الحياة.

٤. ابدأ من جديد. يمكنك أن ترى نمطاً من الأحلام الفاشلة، أو حتى العلاقات الفاشلة التي تشير إلى أنك قد قبلت الافتراض بأن المشاكل، والصراعات، والمشاعر المتضائلة تعني

أنك لم تعد تمتلك الشخص المناسب في حياتك.

٣. ما الذي يسبب لك أكثر القلق أو الاستياء في حياتك العلاقاتية؟ اشرح. فيما يلي قائمة ببعض مجالات القلق المحتملة:

أ. نقص التوقعات – فإنك تريد علاقة عاطفية عميقة لكن لا يبدو أنك تتقابل مع شخص من النوع الذي يمكنه أن يشبع تلك الرغبة.

ب. نقص العمق في التواصل – فإن علاقتك الحالية سطحية، كما أن أوقات المشاركة الصادقة والعميقة نادرة أو غير موجودة.

ج . نقص الشغف – فإن التعبيرات الجنسية والعاطفية في علاقتك تبدو فاسدة، أو مملة، أو نادرة، أو غير موجودة.

د . نقص الالتزام – فإنك لا تسمع، أو تحس، أو تشعر بأن شريكك قد قدم التزاماً غير قابل للنقض للعلاقة معك. كما أن الغيرة، والمخاوف، وحالات عدم الأمان كثيراً ما تصف حياتك الفكرية الخاصة.

٤. كيف تصف مستوى اهتمامك لإيجاد بديل لنموذج هوليوود والحصول على مساعدة عملية ومحددة فيما تعرفت عليه باعتباره قلقك الأكبر في سؤال ٣؟

كانت القاعة مكتظة وكانت كفوف يدي يبللها العرق. فقد كان جالساً أمامي ما بين ثمانين إلى مائة شخص قد مرّوا مؤخراً بصدمة الطلاق. لم أكن أعرف معظمهم. وقد جاءوا من جميع أنحاء المنطقة ومن كل الخلفيات التي يمكن تصورها إلى برنامج التعافي من الطلاق. وقد اكتسب هذا البرنامج شهرة باعتباره المكان الذي تحصل فيه على مساعدة حقيقية عندما تتحطم علاقات الشخص. وقد جاء بعضهم بناء على توصية من أصدقائهم. بينما جاء آخرون بعد تشجيع أقوى نوعاً ما من قاضي محلي قد نصح هؤلاء الذين كانوا يعانون في قضايا الطلاق بمحكمته للحصول على المساعدة.

الفصل الثاني ٢

نموذجان للعلاقات الدائمة

٢

نموذجان للعلاقات الدائمة



كنت الراعي الأقدم للكنيسة التي كانوا يجتمعون فيها. و كانت مهمتي هي أن أتحدث أثناء جلسة الأسبوع السادس. ألقيت نظرة عاجلة على عنوان مذكراتي: "النمو عبر الطلاق". فقد قضى الأشخاص الذين كانوا ينظرون إليَّ الأسابيع الخمسة الأخيرة في العمل من خلال مشاعر الألم، والرفض، والذنب، والغضب، والفشل. كانوا قد بدأوا في التعامل مع الأمور الخاطئة في زواجهم والدور الذي ساهموا به مما أدى إلى الفشل. بل إنهم كانوا يصارعون، عند هذه النقطة، مع قضية الغفران – ولماذا كانت تُعتبر خطوة أولى صعبة، لكنها ضرورية في بناء حياة جديدة لأنفسهم. وقد استمعوا لمحاضرات، وعملوا واجبات، وشاركوا رحلتهم في مجموعات صغيرة. وعندما وقفت أمامهم، وجدت أنه من الصعب قراءة وجوههم. فقد قيل لهم إنني سوف أقدم لهم بعض المساعدة العملية جداً. عند النظر في عيونهم، اعتقدت أنه لم يبدُ عليهم أنهم توقعوا الأمر.

كنت أعرف ثلاث حقائق عن الذين يسمعونني . أولاً، كان معظمهم غير مؤمنين. ثانياً، كان جميعهم تقريباً قد اقتنعوا بنموذج هوليوود للحب، والجنس، والعلاقات الدائمة. فإن الكثيرين منهم قد عانوا من هذا النموذج أكثر من مرة واحدة. وثالثاً، إن آخر شيء كانوا

يرغبون في سماعه من أي خادم هو وعظ به إدانة لحياتهم الفوضوية.

وقد بدأت أشرح لهم أنني أفهم ألمهم وأنني جئت لمساعدتهم، وليس لوعظهم. وقد أوضحت أنني أؤمن أن الله وحده هو الذي يملك الحلول الحقيقية لمشاكلهم العلاقاتية، لكني حاولت أن أطمئنهم بأنني لن أكون لحوحاً أو أصدر أحكاماً في تعليقاتي. كان بإمكاني أن أرى أثناء هذه الكلمات التمهيدية عدم الارتياح في نظراتهم غير الثابتة والمتحدية. كما أن بعضهم قد تكاتفت أذرعهم بشكل متعمد في تصريح واضح بأنهم لم يصدقوا كلمة واحدة مما قلته عن "فهمي لألمهم". بل لقد بدا على البعض أنهم قد انحنوا في ترقب للرسالة القاسية والمُخجلة التي كانوا يوقنون أنني كنت سأدلي بها.

قمت بتقديم زوجتي، تريزا، وشاركنا قصتنا ببساطة مع المجموعة. وصفت لهم كيف أن كلينا قد تربَّى في بيت غير مؤمن. وقد تعلمنا كيفية إقامة العلاقات مثل معظم الناس، فقد تشبَّعنا بأفكار ثقافتنا والقواعد غير المكتوبة على طول الطريق. وعندما حاولنا أن نحيا خارج ذلك المخطط للعلاقات، لم يبدُ أن الأمر سينجح بالنسبة لكلينا. فقد واعدت الكثير من البنات طوال فترة الجامعة وحتى بداية العشرينات، باحثاً طوال الوقت عن "الشخص المناسب". لكنني تمكنت، بدلاً من ذلك، من تكديس الكثير من المتاعب والألم العاطفيين مع كل انفصال مُحْبط. أعلم أنني قد تسببت أيضاً في الكثير من الألم للآخرين. وقد اكتسبت الكثير من الخبرة عن كيَفية عدم إقامة العلاقات وقليلاً من الفهم عن كيفية إقامتها بالطريقة الصحيحة.

عند هذه النقطة، بدأت تريزا في سرد قصتها. وما أن بدأت تصف زواجها الأول حتى أدرك المستمعون أن هناك شيئاً غير عادي يجري. فقد أحسوا أننا لم نكن على وشك أن نحكي لهم قصة خرافية. كما أن نبرة صوت زوجتي كشفت لهم أنها قد اجتازت من قبل الطريق الذي كان مألوفاً جداً بالنسبة لهم. فقد أخبرتهم تريزا عن صراعات الزواج بعد الجامعة مباشرة، والراحة والفرح المؤقتين بعد الحمل بتوأم. ثم شاركت معهم الصدمة، والحيرة، والألم الناجِين عن تخلي زوجها عنها بشكل مفاجئ من أجل امرأة أخرى بعد فترة قصيرة من ولادة الأطفال. كما أنها استرجعت الرفض والإذلال الإضافيين عند اكتشافها أن

شريك حياتها كان خائناً لما يزيد عن عام. وقد نقل صوتها الجروح المتكررة التي نتجت عن الجهود غير الناجحة لعقد مصالحة بينهما. فقد غادر زوجها البلدة مع المرأة الأخرى وانتقل إلى ولاية مختلفة. وانتهى زواجها - محطماً إلى أجزاء ليس لها معنى. ماذا عن الجهود المبذولة لبناء الزواج وإنقاذه؟ ماذا عن الحب؟ ماذا عن الأطفال؟ كيف يمكن أن يكون هناك مثل هذا الخداع، وانعدام الوعي، والقسوة الباردة مقابل أي بادرة سلام أو تفهم؟

لم يكن الأشخاص الجالسون أمامها يحتاجون مزيداً من التفاصيل؛ فقد كانوا يعرفون جيداً مرحلة اليأس التي وصلت إليها. كانت قد ثبّتت آمالها، وأحلامها، ومستقبلها على شخص آخر أثبت أنه غير جدير بثقتها تماماً. وهنا تنكست الرؤوس وسالت الدموع بينما كانت تريزا تشارك بانفتاح عمق جرحها ومدى وحدتها وإحساسها بالرفض. عندما وصلت إلى هذه النقطة من قصتها، توقفت لبضع دقائق. كان بإمكاني أن أرى القاعة بأكملها من مكاني. في أثناء صمتها، بدأت الأسئلة تثور في عيون الجمهور، "ماذا حدث بعد ذلك؟" "أنتِ الآن هنا، كيف حدث ذلك؟" "كيف تغلبتِ على ما لا أظن أنني سأتغلب عليه أبداً؟" "كيف بقيتِ على قيد الحياة؟"

التقطت تريزا طرف روايتها دون أن تغير نبرتها. لقد قادها يأسها إلى أن تبحث عن الله. ووجدت نفسها في البداية تتساءل ببساطة إن كان حتى موجوداً. وروت بصراحة الألم الذي عانته في رحلتها وكيف أظهر المسيح نفسه لها بكنيسة في بلدة صغيرة بغرب فيرجينيا. لم تذكر أية تغييرات لحظية أو إصلاحات سريعة بل سلاماً ورجاءاً قويين أعطيا حياتها اتجاهاً جديداً. بينما كانت تكشف عن تجربتها، بدا أن هناك روحاً من الرجاء يتسلل تدريجياً إلى المجموعة. فحتى هؤلاء الذين أبدوا مقاومة واضحة في وقت سابق كانوا يتعلقون الآن بكل كلمة. فقد وصفت في هدوء كيف وجدت شخصاً ما كان ليتركها أبداً، ما كان ليخذلها أبداً، بل يحبها دائماً، ويؤكد لها وجود خطة رائعة لمستقبلها.

أظن أنها لاحظت أن الكثيرين كانوا ينظرون إليَّ، لذلك فقد أضافت بابتسامة، "كان ذلك حتى قبل أن أقابل تشيب بفترة". فضحكوا. وواصلت، "في أحلك وقت في حياتي، عندما لم يكن لديّ شيء لكي أرده في المقابل، ظهر يسوع في عالمي باعتباره مخلصاً

وصديقاً". وقد وَصَفَتْ الطرق التي بها أصبح الله شخصياً جداً ومُحباً جداً لها حتى أنه ملأ الفراغ الذي تركه زوجها، وأصبح هو أباً لأولادها. لقد غيَّر المسيح نظرتها لنفسها ونظرتها للعالم. وبدَّل الطريقة التي كانت تنظر بها إلى العلاقات. وبعد ذلك، قالت مرة أخرى بابتسامة، "ثم بعد أربعة أعوام، قادنا أنا وتشيب معاً".

بينما كانت تريزا تنهي حديثها وكنت أستعد للصعود على المنبر، كان باستطاعتي أن أقول إن جو القاعة قد اختلف على نحو كبير جداً. فقد تحوَّل المستمعون من مجموعة مرتابة وغير متجاوبة إلى مجموعة تأمل أن نكون قد قلنا الحقيقة. شاركنا، في الدقائق القليلة التالية، قليلاً عن الخمسة وعشرين عاماً التي مرت منذ تلك الأحداث. فأخبرناهم كيف أن هذين الولدين التوأم قد كبرا ليكونا شابين ممتازين وتقيين. ووصفنا حبنا الحيوي والعلاقة العميقة التي نمّيناها تدريجياً على الرغم من كل إرث الماضي. بينما كنا نتحدث، حدث تغيير آخر للجمهور. فقد مالوا نحونا في ترقُّب. وأصبحت القاعة الهادئة في حالة انفعال شديد حتى أنني لم أكن على يقين ما إذا كانوا يتنفسون أم لا. فقد كانت وجوههم وحركات أجسادهم على ما يبدو تصرخ، "أخبرانا كيف. كيف استطعتما أن تجيئا من مثل هذا الماضي المحطم والمختل وظيفياً ورغم ذلك وجدتما حقاً الحب الأصيل، والجنس الحميم، والعلاقة الدائمة؟"

في تلك اللحظة، أدركت أنهم كانوا مستعدين للسماع عن الاختلافات الجذرية بين نموذج هوليوود ووصفة الله للحب، والجنس، والعلاقات الدائمة. لكن بدلاً من استهلال المحاضرة بتوضيح المراحل الأربع لصيغة هوليوود، طرحت عليهم سؤالين بسيطين ومباشرين.

كيف يمكنكم إيجاد الحب الحقيقي؟

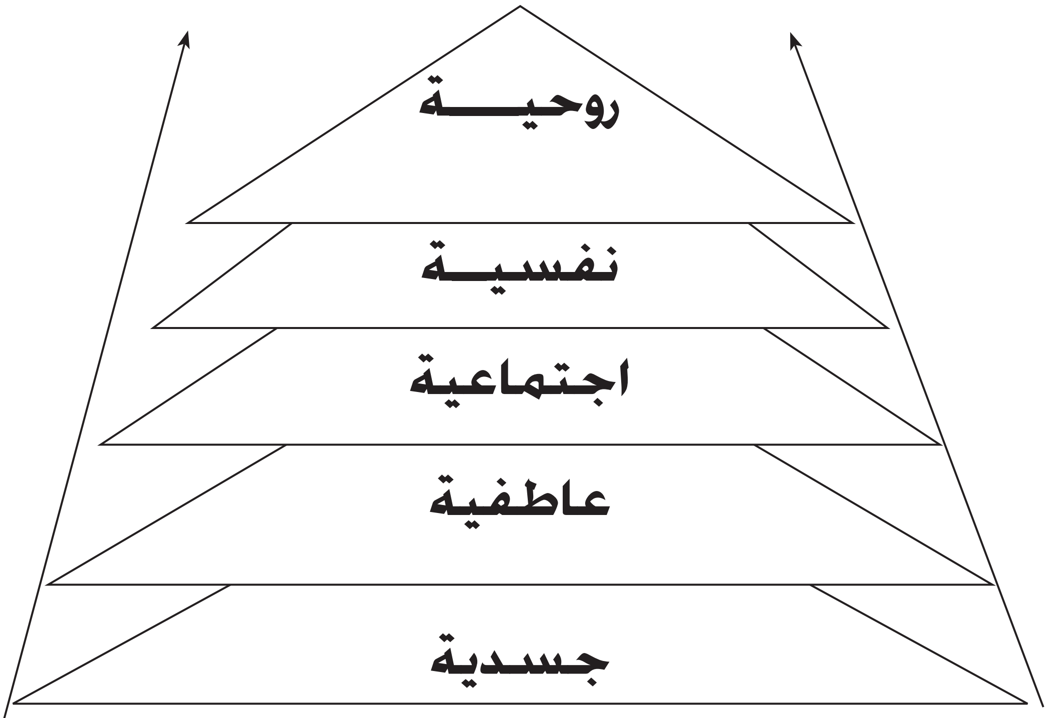
أين تعلمتم طريقتكم؟

أتمنى لو كان بإمكاني التقاط صورة للنظرات الخالية من التعبير التي كانت على وجوههم. لم تكن لديهم أدنى فكرة. لقد تعودت الآن على رؤية مثل هذه النظرات في كل

مرة أطرح فيها هذه الأسئلة على مجموعة ما. ربما تحمل أنت أيضاً نفس النظرة في هذه اللحظة.

كان من الواضح أنهم، مثل معظمنا، لم يفكروا على الإطلاق في الكيفية التي شرعوا بها فعلياً في إيجاد الحب. إنهم بالتأكيد لم يعرفوا، بطريقة مرتجلة، أين تعلّموه. وقد أثبتت حيرتهم ببساطة ما قلناه عن نموذج هوليوود في الفصل السابق: إنها مجموعة من القواعد غير المكتوبة التي تسللت إلى ثقافتنا وفكرنا إلى حد كبير لدرجة أننا لا نعرف من أين جاءت.

اتجهت إلى اللوحة البيضاء وبدأت في رسم التخطيط الذي تجدونه بأسفل. إن هذا الهرم يمثل نقطة البداية وتسلسل الخطوات التي نأخذها في السعي إلى علاقة عاطفية مع الجنس الآخر.



وبدون التلميح لنموذج هوليوود بالاسم حتى الآن، وصفت بشكلٍ صريح كيف تعلّم معظمنا بشكل غير واع أن يقيم علاقات. أنا على يقين أن المجموعة قد أخذت على حين غرة بانفتاحي "الصارخ"، لكِّن ما الحاجة للكلمات المتصنعة لو كانت تلك هي الكيفية التي تعلمنا أن نعمل بها جميعاً على أية حال؟

المرحلة الجسدية

عندما انتهيت من رسم التخطيط على اللوحة، وضعت إصبعي على قاعدة المثلث وبدأت أصف العملية. "تلك هي النقطة التي تعلمنا أن نبدأ منها – مع المرحلة الجسدية. وكتبت الكلمة ثم شرحت، "نحن ننظر إلى تلك الفتاة الجميلة أو ذلك القوام. يتعلق الأمر كله بالكيمياء أو الانجذاب. فإننا، كرجال، نلاحظ السترة الضيقة، والتنورة الملتصقة، وتعاريج الجسد. وهكذا يُختصر أساس طريقتنا لإيجاد الحب الحقيقي في الناحية الجسدية". أحسست أن الرجال كانوا يتتبعونني مائة بالمائة. ثم أضفت، "وبالرغم من أن النساء لم يُتهمن تماماً بمثل هذا المنظور الضيق في الماضي، إلا أن الأزمنة قد تغيرت. فقد تعدّى "عامل القوام" مجرد الذقن القوية، والعيون الحالمة، والبنية الجيدة إلى الجينز المُحكم التفصيل، واختبارات المؤخرة المُرضية التي تجريها الكثير من النساء اليوم". وقد أثبتت لغة الجسد لدى عدد من السيدات أنهن كن حقاً مهتمات بالمظهر الجسدي تماماً مثل أي رجل في القاعة.

واصلت، "لو تتطايرت الشرارات، فإننا نمضي قُدُماً. ولو لم تتطاير، نستمر في النظر. ففي ثقافتنا، يُعتبر كل من المظهر الجسدي والجاذبية الجنسية أساسيين. فإن اللقاءات أو المواعدات الأولى غالباً ما تتضمن التقبيل والتلامس الجسدي المقرَّب، وذلك كثيراً ما يؤدي إلى أن ينام معاً أشخاص غرباء فعلياً. ولو كانت التجربة إيجابية بالنسبة لكلا الطرفين، ينتقل الاثنان إلى المرحلة التالية وهي إقامة علاقة عاطفية". يبدو الأمر جيداً حتى الآن. فقد كنت أصف طريقة للنظر إلى الحياة عرفوا أنها تخصهم.

المرحلة العاطفية

بعد كتابة كلمة "عاطفية" على اللوحة، أردفت شارحاً أن المرحلة العاطفية تمثل بداية مشاعر الابتهاج المعروفة بالافتتان وغالباً ما تُسمى "الوقوع في الحب". إذ يبدأ كل

شخص في النظر إلى الآخر باعتباره بؤرة التركيز الوحيدة تقريباً في الحياة. ويتم التركيز في هذه العلاقة حول قضاء وقت معاً وتعبيرات الحب الجسدية. ونتيجة لكثافة المشاعر الإيجابية في هذه المرحلة، غالباً ما يتجنب الاثنان الحديث عن العلاقة نفسها. فهما يستمتعان بالعواطف كثيراً جداً حتى أنهما لا يتحدثان عن العلاقة وإلى أين هي متجهة. هذه المرحلة، المُعلَّقة بغير ثبات على الأساس الجسدي، تميل أيضاً إلى أن تمتلئ بالتقلبات المزاجية. إذ يمكن للغيرة المجنونة أن تتبع مباشرةَ الإعجاب الطائش. وحيث أن ما يُعرف فعلياً عن الشخص الآخر هو قليل جداً، فإن التصريحات التي يدلي بها أو الأفعال التي يقوم بها تُترجم وفقاً لخبرات واتجاهات الشخص الآخر.

كان باستطاعتي أن أرى لدى المستمعين أضواءاً ذهنية تظهر هنا وهناك. فهم لم يراجعوا إطلاقاً خبراتهم وهم يضعون هذا المنظور في أذهانهم. ثم واصلت، "بعض الأشخاص سريعاً ما يطورون دورة من الإنفصال والاتحاد في علاقتهم مما يخلق صعوبات خاصة عندما ينتقل الاثنان إلى المرحلة المتوقعة التالية من المنظومة – المرحلة الاجتماعية.

المرحلة الاجتماعية

وقد أشرت إلى تلك الفقرة من التخطيط وعلَّقت قائلاً، "هذه المرحلة التالية من تأسيس العلاقات وفقاً لشفرتنا غير المكتوبة تتضمن أن ينجذب الشركاء إلى الدوائر الاجتماعية الخاصة ببعضهم بعضاً. فيتقابلون مع عائلة وأصدقاء أحدهما الآخر".

همس شخص ما من الحاضرين بشكل غير مقصود وبصوت عالٍ بما فيه الكفاية حتى أن الجميع سمعوه، "آه، نعم". وعلى الفور عبرت موجة من الضحكِ الخافت القاعة. فقد تذكروا إشارات الخطر.

عندما قل الضحك، واصلت، "أنت محق. ففي هذا الوضع، يحصل الاثنان إما على موافقة ودية أو تحذيرات مريعة من الآخرين على حياتهما. وفي أحيان كثيرة تكون التحذيرات لتنبيههم، لكن عادةً ما يمضي الاثنان قُدماً بغض النظر عن نوعية الإشارات التي يتلقونها من الآخرين. ففي النهاية، لا يمكن لشيء أن يقدم دليلاً مؤكداً على "صحة" علاقتهما أكثر من الكيفية التي يشعران بها أحدهما نحو الآخر". كانوا يهزون رؤوسهم بالموافقة.

المرحلة النفسية

"لكن، عند هذا الوقت"، هكذا واصلت، "يبدأ الاثنان أيضاً في دخول مرحلة لا يستطيعان السيطرة عليها حقاً غير أنها تؤثر في العلاقة – وهي المرحلة النفسية". وقد شرحت أن ضغوط الحياة والتجارب المتنوعة التي تُحدثها السمات الجسدية، والعاطفية، والاجتماعية للعلاقة تخلق في هذه المرحلة بعض التساؤلات والاحتياجات في العلاقة. ويحين الوقت للحديث عن المستقبل واستكشاف شخصية وقيم الآخر بالتفصيل. وبغض النظر عن مدى العناية التي حرصا فيها على حماية صفاتهما وشخصياتهما في المراحل السابقة من العلاقة، فإن الوقت والقُرب يسمحان لهما من حين لآخر برؤية الآخر كشخص "حقيقي". وهكذا تبدأ العيوب والمشاكل المحتملة في الظهور على السطح. وتصبح الطبيعة الهشة للعلاقة واضحة. ولا تأخذ هذه العلاقة، المُعلَّقة على مثل هذا الطرف الصغير للانجذاب الجسدي، الكثير من الوقت حتى تنهار وتتفكك مع إمكانية حدوث كارثة تدفع الشريكان لكي يدرسا البدائل.

ولو استمرت الأمور وفقاً للنمط الطبيعي، فإن أحد الشريكين أو كليهما يبدأ في الحنين إلى حس من الاستمرارية والخصوصية في العلاقة. إن الانتقال للعيش معاً كفترة اختبار مُبهمة قد أصبح هو المعيار عملياً اليوم، غير أنه لا شيء يحل محل الرغبة في الزواج التي تنبع من الحنين الداخلي للأمان الناتج عن الانتماء معاً مدى الحياة. أعتقد أن شعبية حفلات الزفاف المسهبة، التي تتسبب في إفلاس الميزانية، والتي لا توفر أي نفقات، تثبت في النهاية أنها محاولة أخرى لإحداث ما يمكن أن يُنجز فقط من خلال التفكير الجيد والوقت بسرعة وبشكل مدهش. هذه الرغبة في الزواج والاحتفال بالحدث بواسطة كل البهارج المعتادة تقودنا إلى الخطوة الأخيرة في دورة العلاقة – وهي المرحلة الروحية.

عندما توجهت إلى اللوحة لكتابة عنوان تلك المرحلة الأخيرة في التعاقب النموذجي لتطور العلاقات، شعرت أنني قد استحوذت على انتباه المجموعة تماماً. فقد كان معظمهم يعبرون عن موافقتهم كلما كنا ننتقل من نقطة إلى أخرى. وكثيرون كانوا ينظرون إلى بعضهم بعضاً بعد أن أدركوا فجأة أن القاعة تمتلئ بأشخاص يمتلكون شيئاً مشتركاً

آخر بخلاف الطلاق – فإن معظمهم قد اتخذوا نفس الخطوات للوصول إلى هناك. هذا البؤس المشترك خلق حساً جديداً من المودة. فقد بدأوا يضحكون على بعض القصص التي حكيتها عن حياتي الخاصة والإدراك المتأخر الذي سلّط الكثير من الضوء على العيوب الداخلية لنموذج هوليوود. بل إن البعض منهم ذكروا أن بعضاً من هذه الأخطاء التي تحدثت عنها قد حدثت معهم وقالوا، "نعم، لقد حدث ذلك لي – لقد فعلت ذلك!"

المرحلة الروحية

كتبت كلمة "الروحية" في أعلى وأضعف جزء من التخطيط. وقلت، "عندما يصل الاثنان إلى المرحلة التي يتوقان فيها أن تدوم العلاقة، أو يصبحان خائفين بما فيه الكفاية من أن تنتهي لو لم يفعلا شيئاً لكي يمنحاها استقراراً طويل المدى، فإنهما يدخلان المرحلة التي سنسميها "الروحية". وأوضحت أنه حتى هؤلاء الذين لديهم خلفية دينية بسيطة ولا يدّعون أنهم يتبعون المسيح، يبدو أنهم يدركون فطرياً أنهم على وشك الاشتراك في لحظة مقدسة من نوع ما. فهم يريدون راعياً، أو قساً، لكي يصدّق على اتحادهما ويجعله رسمياً.. إذ تخلق الكنيسة الجميلة المزينة بالشموع والورود، والمراسم الممتلئة بالكلمات المهيبة المنطوقة أمام الأصدقاء والعائلة مظهراً دينياً خادعاً من المفترض أنه يعلن للعالم أن هذه العلاقة سوف تدوم إلى الأبد.

هز أفراد الجمهور رؤوسهم بكثير من الاهتمام. فقد قاسوا بشكل مختلف. لقد فهموا أنه تحت كل هذا الغلو في الكثير من حفلات الزفاف تختبئ الحقيقة المُرة وهي أن الاثنين الواقفين عند المذبح لديهما بالفعل مشكلة في علاقاتهما. وقد أدرك الكثيرون منهم أن حفلات زواجهم كانت جهوداً دفاعية أخيرة غير واعية لإنقاذ العلاقات التي كانت تحتضر بالفعل. إذ أنهم لم يتمكنوا من التعامل مع كل التعقيد الذي كان يسحق تدريجياً لحظة "الوقوع في الحب" الأولية الخالية من الهم.

أدركت أن الدقائق القليلة التالية كانت حاسمة. فقلت، "دعونا نواجه الأمر". فإن معظمنا قد حاول أن يجد الحب والجنس والعلاقات الدائمة عن طريق إتباع الخطوات التي وصفتها للتو. وكثيرون منا قد اكتشفوا أن هذا النموذج لا يصلح. فقد اقتنعنا تقريباً عن طريق وجع القلب والإحباط أن هذا النموذج لا يفي بما نريده.

"أدرك الآن أن البعض منكم قد حاول الهروب من هذا النظام عن طريق تجنبه بالكامل. فإنكم تريدون أن تنسحبوا من العالم حتى لا تتعرضوا للجرح مرة أخرى. وهكذا يكون موضوع أغنيتكم هو، "لن أقع في الحب مرة أخرى" أو "مع السلامة أيها الحب". ذلك أثار بعض الابتسامات والإيماءات الخجولة. "كثيرون آخرون قد حاولوا الإبقاء على جزء "الوقوع في الحب" وحذف كل الأشياء الأخرى". تركت هذه العبارة تغوص بداخلهم للحظة ثم سألت، "هل ينجح ذلك؟"

وهنا وَصَلَت إلى مسامعي سلسلة من الإجابات الفورية الهامسة. "لا!"

فواصلت، "حالما أبدأ في شرح البديل الحقيقي، أرجوكم فكروا في ذلك: ربما لا تكمن مشكلتنا في أجزاء العملية التي وصفناها للتو؛ ربما تتركز مشكلتنا في حقيقة أن هذه الأجزاء توجد لدينا بلا نظام تماماً.

اتجهت إلى لوحة بيضاء أخرى وكتبت بأعلاها، "نموذج هوليوود". ثم استدرت وواجهت الحاضرين مرة أخرى وقلت، "لقد أطلقت على ما أنا على وشك المشاركة به نموذج هوليوود لأنني أؤمن أن ما انتهينا إليه بشأن الطرق التي نلاحق بها الحب، والجنس، والعلاقات الدائمة قد شكّلها ودعّمها الإعلام بشكل واسع. طلبت منكم في وقت سابق أن تخبروني أين تعلمتم إقامة العلاقات بالطريقة التي تقومون بها. ومعظمكم لم يعرفوا بأمانة. أنا على وشك أن أقترح صيغة أثق أنها سوف تظهر لكم بالضبط أين تعلمتم بشأن الحب".

لخّصت لهم سريعاً نفس القواعد غير المكتوبة التي قرأتم عنها في الفصل الأول. وقلت، "هذه هي الصيغة التي نؤمن بشكل مطلق أنها سوف تقودنا إلى الحب، والجنس، والعلاقات الدائمة، لو أننا طبقناها فحسب في حياتنا".

١. ابحث عن الشخص المناسب.

٢. اسقط في الحب.

٣. ركّز كل آمالك وأحلامك على ذلك الشخص.

٤. لو حدث فشل، كرر الخطوات ١، ٢، و٣.

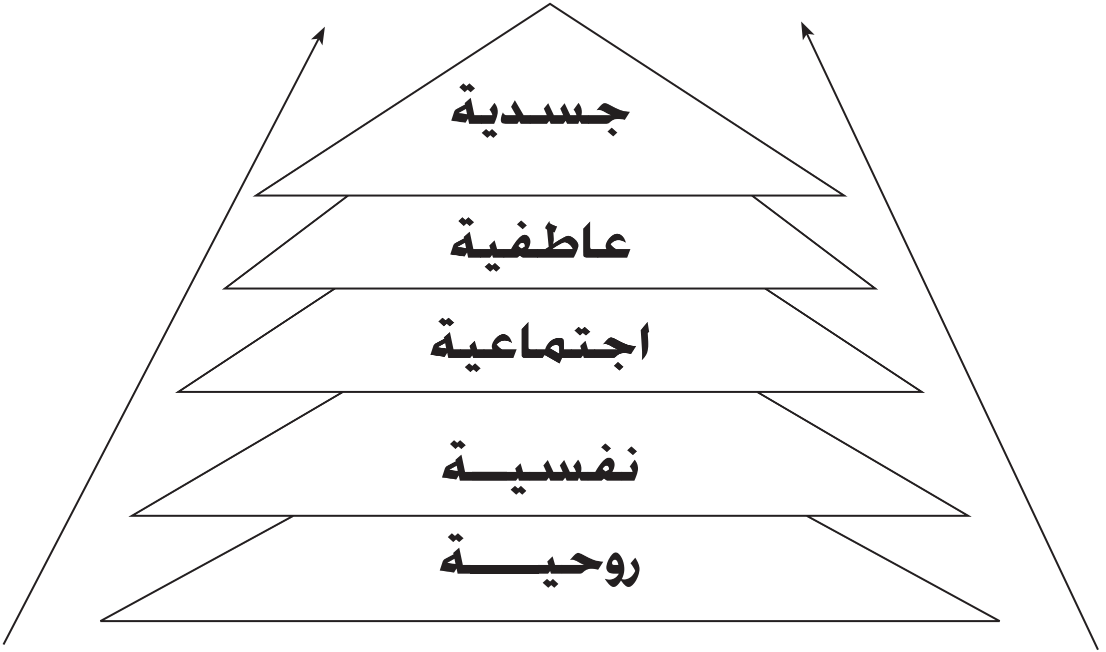
يمكنني أن أوكد بأنهم كانوا يتابعونني. كما أنني شعرت بألمهم ويأسهم المتنامين. فقد كان من السهل الآن قراءة وجوههم. كانت عيونهم وطريقة جلوسهم تخبرني، "نعم، تلك هي الطريقة التي فعلت بها الأمر على الدوام، وأنا أتفق على أنها لا تصلح. لكن لو كانت هناك طريقة مختلفة، طريقة أفضل، اخبرني الآن بها لأنني لن أستطيع على ما أظن الاستمرار في اجتياز تلك الدورة مرة أخرى!"

أصبحنا الآن ببساطة جماعة من الزملاء الرحالة المنكسرين الذين وصلوا إلى اتفاق مشترك. كفانا من صِيَغ الحب الصناعية البراقة التي تنشرها الشاشة الفضية. كان الحاضرون جاهزين الآن للتفكير بجدية في طريقة أفضل لإقامة العلاقات. كانوا منفتحين لسماع الوصفة الإلهية التي، لو اتُبعت بإخلاص، سوف تؤدي إلى النتائج العكسية بالضبط لما اختبروه بالفعل في سعيهم وراء الحب، والجنس، والعلاقات الدائمة.

وصفة الله للعلاقات الدائمة

انتقلت إلى اللوحة البيضاء الثالثة وكتبت بأعلاها، "وصفة الله للعلاقات الدائمة". ثم استدرت وتوجهت إلى حيث كانت تريزا جالسة في نهاية الصف الأول. لقد ضربت كلماتها السابقة الممتلئة بالرجاء على وتر لا زال المستمعون يتمنون أن يصدق معهم.

قلت وأنا أشير إلى اللوحة الثالثة بينما كانت يدي الأخرى تستند على كتف تريزا، "ما اكتشفناه أنا وتريزا، في وقت مبكّر من علاقتنا، أن الله قد أعطانا في الحقيقة ترتيباً مختلفاً لهذه الخطوات. إن الطريقة الأولى التي يمكنكم بها أن تروا ذلك هي عن طريق الإمساك بهذا التخطيط المثلثي الذي نسختموه منذ بضع دقائق ثم تعيدون ترتيبه. ها هو الدرس: إن وصفة الله للعلاقات هي العكس تماماً لنموذج هوليوود. إذ أن مكان البداية فيها مختلف، كما أنها تحتفظ ببؤرة تركيز مختلفة، وتتبع طريقاً مختلفاً. وصدقوني، فإنها تصل إلى نتائج مختلفة على نحو رائع!" رجعت إلى اللوحة الثالثة، ثم رسمت المثلث مرة أخرى كما ترونه بأسفل:



وشرحت، على مدى الثلاثين دقيقة التالية، طريقة ثورية لإيجاد، وتطوير، ودعم العلاقة الدائمة. وأخبرت المجموعة أن الله يرغب في ذلك بشدة لكل منا وأن التعاون مع قصده هو الطريقة الحقيقية الوحيدة لإيجاد ما كانوا يبحثون عنه طوال حياتهم. وذكَّرتهم مرة أخرى أن مشكلتنا لا تكمن في أجزاء الصيغة التي يتبعها معظمنا في تطوير العلاقات؛ لكن مشكلتنا تتلخص حقاً في حقيقة أن هذه الأجزاء هي بلا ترتيب تماماً لدينا.

تبدأ الطريقة الثورية بإثبات أن المكوِّن الروحي هو الأساس الوحيد الواسع والقوي بما فيه الكفاية لدعم باقي العلاقة. ويتضمن هذا المكوِّن الروحي فهماً واضحاً لوصفة الله بأكملها عن الحب، والجنس، والعلاقات الدائمة. كما أنني ذكَّرتهم عدة مرات (بعد المرة الثانية أو الثالثة، بدأوا يضحكون كل مرة أذكر فيها الأمر) أنني قد وعدتهم بألا أكون "لحوحاً" أو "وعظياً" معهم. إن المكان الذي يجب أن نبحث فيه عندما نريد أن نفهم ما يقوله الله بشأن أي شيء هو الكتاب المقدس. ثم سألتهم، "أتسمحون لي أن أقدم لكم ببساطة تصريحاً من الكتاب المقدس سوف يساعدنا على البدء في فهم وصفة الله؟" فأومأ عدد كافٍ منهم على الفور، وهكذا أكملت، "إن أفسس ٥: ١-٢ تقدم إحدى الملخصات الأكثر

وضوحاً للمنهج العلاقاتي الثوري الذي يريدنا الله أن نتبعه في حب الآخرين. هذه الكلمات تصف، بطرق أكثر مما يمكنني أن أقوله في الوقت المتاح الليلة، وصفة الله المُطبَّقة في حياة تريزا، وحياتي، وزواجنا، لكي تجعلهم مختلفين تماماً عما كان ماضينا المؤلم والمختل وظيفياً يستطيع أن يُحدثه بسهولة. أحب أن أطلق عليها **"وصفة"** لأن طريقة الله في إقامة العلاقات تتضمن الكثير من الشفاء وأيضاً الكثير من الصحة والأحاسيس الرائعة**!"**

أومأت الرؤوس بينما كانت هذه المجموعة من الرحّالة المجروحين، مؤمنين وغير مؤمنين على حد سواء، تنتظر سماع وصفة الله للعلاقات الدائمة. وما شاركته معهم، ومع كثيرين آخرين مثلهم، أود أن أشاركه معكم بدءاً من الفصل التالي.

قبل أن نواصل، على أية حال، أريدكم أن تقيِّموا حياتكم وتاريخ علاقتكم. اقضوا بضع دقائق لدراسة الأسئلة التالية.

التقييم الشخصي

١. ما هي المشاعر التي أُثيرت بداخلك عند قراءتك لهذا الفصل؟

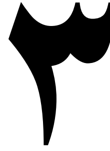
٢. أية علاقة من العلاقات السابقة وضَّحت واحدة أو أكثر من النقاط التي غطيناها وردت إلى ذهنك؟ كيف تشعر حيال هذه العلاقات حينما تفكر في تلك الحقبة من حياتك؟

٣. إلى أي مدى يعكس نموذج هوليوود الكيفية التي شرعت بها في إقامة علاقات؟

٤. إلى أي مدى كانت طريقتك ناجحة في تطوير ودعم علاقات صحية، طويلة المدى تتضمن كل نواحي الحميمية – الروحية، والعاطفية، والجسدية؟

الفصل الثالث ٣

وصفة اللّٰه للعلاقات الدائمة



وصفة الله للعلاقات الدائمة



ربما تتساءل، كما فعل البعض في مجموعة التعافي من الطلاق، ما إذا كانت هذه الحقائق من الكتاب المقدس تنطبق عليك. فقد كان الناس في مجموعة التعافي من الطلاق يحتاجون إلى من يقدِّم لهم رجاء بإمكانية تغيير حياتهم وعلاقاتهم إلى الأفضل. أريد أن أقدّم لكم هذا الرجاء. في الصفحة التالية، بعد موجز نموذج هوليوود، سوف تجدون المكونات الأربعة لوصفة الله من أجل العلاقات الدائمة التي شاركتها مع المجموعة في تلك الليلة. فعلى الرغم من أنكم قد لا تفهمون في أول الأمر الألفاظ التي أستخدمها، فإني أريدكم أن تروا التناقض بين الطريقتين.

لا تنزعجوا الآن لو كانت المقارنات محيّرة قليلاً. لا زلت أحتاج إلى شرح الخطوات في وصفة الله، كما فعلت بالضبط مع مخطط هوليوود. فإن إبقاء هذه الخطوات الأربع في الذهن ونحن نفحص كلمة الله سوف يساعدكم على تتبّع الاختلافات بين طريقة الله للحب ومسعى العالم للحب.

باستطاعتك أن تجد وصفة الله للعلاقات في كل الكتاب المقدس، لكني أعتقد أن الآيتين التاليتين تلخصان الأمر جيداً:

"فَكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِاللهِ كَأَوْلادٍ أَحِبَّاءَ، وَاسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضاً وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، قُرْبَاناً وَذَبِيحَةً لِلهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً"

(أفسس ٥: ١-٢)

عندما تقرأ هاتين الآيتين، هل تجد أي كلمات أو عبارات ترتبط بشكل واضح مع مكونات وصفة الله للعلاقات؟ ربما تكونوا قد لاحظتم أن هاتين الآيتين هما مصدر عبارة **"اسلك في الحب"**. أما الارتباطات الأخرى بين هاتين الآيتين وخطوات وصفة الله فهي ليست واضحة تماماً، لكني أعتقد أنكم ستدركونها ونحن نتابع كلامنا.

نموذج هوليوود للعلاقات	وصفة الله للعلاقات
١- **ابحث** عن الشخص المناسب.	١- **كن** أنت الشخص المناسب.
٢- **انجذب** نحو الحب.	٢- **اسلك** في الحب.
٣- **ثبِّت** آمالك وأحلامك على هذا الشخص من أجل الإشباع المستقبلي.	٣- **ثبِّت** آمالك وأحلامك على الله واسعَ إلى إرضائه من خلال هذه العلاقة.
٤- لو حدث **فشل**، كرر الخطوات ١، ٢، و٣.	٤- لو حدث **فشل**، كرر الخطوات ١، ٢، و٣.

سياق وصفة الله

تُعتبر هاتان الآيتان بياناً عملياً مفتاحياً لوصفة الله . لكن حتى نقدِّر ما تخبرانا به، فإننا نحتاج إلى معرفة ما الذي يأتي قبلهما. فإن رسالة أفسس تشرح لنا كيف نحيا الحياة الجديدة المعجزية في المسيح. تتحدث الإصحاحات الثلاثة الأولى عما يحدث عندما يأتي روح الله إلى قلب، وحياة، ونفس الكائن البشري. وهي تصف ما يحدث عندما ندرك احتياجنا إلى الله ونرجع إلى المسيح. وتشرح كيف أن موت المسيح قد دفع ثمناً كافياً لتصفية ديننا مع الله. وتذكرنا أنه عندما يأتي روح الله إلينا، فإننا نُفتدى ويُعفى عنا. ويوضع ماضينا خلفنا.

هذه الإصحاحات الأولى في أفسس تصف بالضبط ما حدث في حياتي وفي حياة تريزا. لقد غيرنا الله بالكامل وغيَّر نظرتنا للعلاقات. إن أفسس ١-٣ تقدم الوصفة الإلهية للتغييرات الشخصية جداً والشفاء الذي يريد الله أن يأتي به إلى حياتنا. ويعرض النصف الأول من الرسالة إلى أفسس أساسيات بشأن علاقتنا مع الله.

سوف ننظر في هذا الفصل تلك الأجزاء من وصفة الله التي تصف كل الآثار الإيجابية التي تحدث عندما يعمل الله فينا. في أثناء ذلك الوقت، لو كانت المفاهيم السابقة تثير فضولكم، فإني أوصيكم بقراءة ودراسة كتابي "معجزة تغيير الحياة"، الذي يشرح هذه العملية من التغيير الجذري التي يريد أن يُحدثها الله في حياتنا.

في وصفة الله للعلاقات، نبدأ بما يفعله هو في حياتنا الخاصة. عندما ينشئ الله علاقة شخصية معنا، فإن روحه يختمنا ويتبنانا في حياة جديدة تتمركز حول المسيح. وبعد أن يعلِّمنا بشأن ما نحصل عليه في هذه الحياة الجديدة في المسيح، يشرح لنا كاتب رسالة أفسس بعد ذلك كيف ينبغي علينا أن نتواصل مع بعضنا بعضاً بمحبة. لقد أمرنا بأن نستند على القوة الروحية التي لم نكن نمتلكها قبلاً عندما نتحدث، ونعمل، ونتواصل، وننمو في محبتنا لله ومحبتنا للآخرين.

الخطوات الأربع في وصفة الله

حتى نرى الخطوات الأربع في وصفة الله للحب، والجنس، والعلاقات الدائمة كما تُصوَّر هنا، افحصوا مرة أخرى الآيات عن قرب. لاحظوا أن هناك أمرين واضحين يوجزان جوهر طريقة الله في محبة الآخرين. فيما يلي توجد الآيات مرة أخرى مع بعض الملاحظات التي سأشرحها في سياق هذا الفصل.

"فَكُونُوا [إذن] مُتَمَثِّلِينَ بِاللهِ (كَأَوْلاَدٍ أَحِبَّاءَ)، ٢وَاسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ (كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضاً وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا،) {قُرْبَاناً} وَ{ذَبِيحَةً لِلهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً}."

(أفسس ٥: ١-٢)

لقد وضعت خطاً تحت عبارة كونوا متمثلين بالله واسلكوا في المحبة لأنهما هما الأمران. فإن كلمة كونوا تشير إلى الأمر بأن نصبح أو نظهر أننا نمتلك بعض الميزات الشخصية. فعندما يتعلق الأمر بوصفة الله للطريقة التي ينبغي علينا أنا وأنت أن نحيا ونحب بها، ليس هناك حقاً أي شك. إن الله يريدنا أن نكون نوعية معينة من الأشخاص – متمثلين به. ذلك هو الأمر الأول في هاتين الآيتين. وذلك يأتي بنا إلى الخطوة الأولى من وصفة الله للعلاقات الدائمة.

الخطوة ١: بدلاً من البحث عن الشخص المناسب، كن أنت الشخص المناسب

الأمر الأول في أفسس ٥ يخبرنا أن نكون متمثلين بالله عن طريق إظهار الطريقة التي يحبنا بها. فإن محبتنا للآخرين تنبع من إحساسنا بأننا محبوبون بشكل عميق. وبدلاً من البحث باستمرار عن الشخص المناسب، فإن الله يخبرنا بأن أكون أنا الشخص المناسب. بدلاً من البحث عن الحب، فإن الله يخبرنا أن ندرك أن الحب هو الذي وجدنا بالفعل! إن الله يحب بطريقة لا يستطيع أي شخص آخر أن يحب بها. وأفضل طريقة نبرهن بها على أننا فهمنا وقبلنا محبة الله هو أن نتمثل به على قدر المستطاع في الطريقة التي نعامل بها الآخرين.

ما الذي نبدو عليه إذن عندما نتمثل بالله؟ تجيب الآية الأخيرة من أفسس ٤ عن هذا السؤال.

"وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللهُ أَيْضاً فِي الْمَسِيحِ."

(أفسس ٤: ٣٢)

إن ألفاظاً مثل "إذن" أو "لكن" في الكتاب المقدس هي كلمات تساعد الأفكار على أن تنسجم معاً وتنساب. وهي تذكّرنا بأن ننظر على ما ذُكر قبل ذلك. وهي تعني أساساً في أفسس ٥، "على ضوء ما قيل من قبل، كونوا إذن متمثلين واسلكوا في المحبة". كما

أنها تعني أيضاً أن محتوى الآيات السابقة يتحكم في الأوامر التي نحن على وشك أن نأخذها. التمثل بالله في العلاقات يعني أننا يجب أن نكون عطوفين، وحنونين، وشفوقين، وذوي بصيرة، ومستعدين لأن نتسامح مع أخطاء الناس، وغفورين باستمرار. هذا يعني أننا نريد الخير لهم. نكون لطفاء نحوهم حتى عندما لا تُسدد احتياجاتنا أو عندما نكون في حالة غضب. ذلك عندما نعود مرة أخرى إلى النقطة الأولى ونسامحهم. نفكهم من الأسر. لماذا؟ هل لأننا نجوم بارزون أو عمالقة روحيون؟ نحن نغفر لأننا ندرك أنه يجب أن نمرر للآخرين ما أعطاه الله لنا. نحن الذين نلنا الغفران مجاناً يجب علينا، بدورنا، أن نغفر مجاناً. تلك هي الكيفية التي نتمثل بها بالله.

والآن، ما أن نميز الأمر (كونوا متمثلين بالله)، فإنه يكون في غاية الأهمية أن نبحث عن أية معلومات إضافية بشأن هذا الأمر يمكننا أن نجدها في الآيات. فإن ما يحفِّزنا على التمثل بالله يؤكّد ويُشرَح أكثر بعبارة، كأولاد أحباء. لقد وضعت تلك الكلمات بين قوسين للإشارة إلى أن العبارة تعمل باعتبارها معدِّلة للفعل. بكلمات أخرى، فإن الطريقة التي نمارس بها التمثل بالله سوف تتأثر أوتتعدَّل عن طريق فهمنا أننا أولاد الله المحبوبون جداً.

ترون إذن أن الله يحبكم ويحبني لكن ليس لأي شيء فعلناه إطلاقاً. إن الله يهتم بنا، ويُسر بنا، وهو يوجد لنا لأن تلك هي طبيعته. وكما تركز رومية ٨: ٣٢، "الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين - كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء؟" عندما يتحدث الكتاب المقدس عن المحبة، فهو يصف موقفاً تجاه الآخرين لا يمت في الواقع بصلة للكيمياء. إن كلمة الله لا تهمل أبداً المشاعر، لكنها تُعرِّف بوضوح المحبة باعتبارها تتعلق بالشخصية والفعل أكثر جداً من المشاعر. بكلمات أخرى، إن المحبة الأصيلة تجعلنا نفعل أشياءاً ليس لها علاقة بالضرورة بالمشاعر الجيدة. فقد سمح يسوع لنفسه، في النهاية، أن يُسمَّر على الصليب بدافع محبته لنا، وليس لأن ذلك كان يعطيه شعوراً جيداً. بإمكاننا أن نقضي عمراً بأكمله في اكتشاف الحقيقة وراء الفكر البسيط في ١ يوحنا ٤: ١٩: "نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً"

ومع ذلك، فإن مشكلتنا تكمن في أن المحبة ليست سهلة. أنا وأنت ببساطة ليس

لدينا القوة على الغفران دائماً وعلى أن نكون عطوفين باستمرار. فإن محبتنا، وقوتنا، وإرادتنا، وفهمنا لا يصلوا إلى هذا الحد. لن تكون لدينا القدرة على المحبة بهذه الطريقة ما لم نمتلئ جداً بمحبة الله للدرجة التي فيها ندرك أن أعمق احتياجاتنا قد سُدِّدت بالفعل، وأننا لم نعد نتوقع كائناً بشرياً آخر لكي "يكمِّلنا".

يمكن اختصار الأمر إلى ذلك. لن نتمكن أن نتمثل بالله في محبتنا للآخرين ما لم نعرف أننا مباركون، ذوو قيمة، وذوو أهمية – أي أننا محبوبون. إحساسنا بأننا محبوبون يجب ألا يعتمد على هذا الشخص المُعجب بنا أو ذلك الشخص الذي يفعل ما نتوقعه منه. أنا وأنت لسنا على ما يرام الآن. أما في المسيح، فإننا رائعون، ومهمون، وذوو قيمة، ومحبوبون جداً، وموضوع حنان الله اللانهائي وغير المشروط. هذا الإله الذي صنعنا ويحبنا يخبرنا أن نعيش ونحب بالطريقة التي يرانا ويحبنا بها. لهذا السبب فإن الفكرة القائلة إن الحصول على علاقة رائعة تحدُث بإيجاد الشخص المناسب تُعتبر كذبة. فالمفتاح لتطوير علاقة رائعة هو أن تصبح أنت الشخص المناسب.

وفقط عندما ندرك أن محبة الله لنا غير محدودة نجد لدينا الطاقة لأن نكون مانحين صادقين في العلاقة. لو لم يكن لدينا ذلك، ماذا نفعل إذن؟ نحاول أن نكون مقبولين. نحاول أن نصطنع الحب. نحاول أن نكسب المودة. نحاول أن نحتال حتى نحصل على ما نريد.

يبين ليس وليسلي باروت هذه النقطة بشكل مبدع في كتابهما العلاقات. فهما يدرّسان منهجاً في جامعة سياتل باسيفيك يُدعى العلاقات ١٠١. وهو فصل اختياري، فالجميع يسجلون أسماءهم في هذا المنهج. وهما يخبران الطلبة في اليوم الأول، "هذا الفصل هو مادة نجاح ورسوب. ليس ضرورياً أن تكتبوا ملاحظات. لكن إن أردتم ان تتعلموا عن العلاقات، ها هي عبارة واحدة نريدكم أن تكتبوها. وهي سوف تؤثر على كل العلاقات التي ستقيمونها. وعلى قدر ما تفهمون هذه العبارة وتطبقونها، فسوف تتغير كل علاقاتكم. أما لو لم تفهموا أو كنتم غير راغبين في تطبيق ما تقوله هذه العبارة، فسوف تكون علاقاتكم مختلة وظيفياً". وبعد أن استحوذوا على الاهتمام الشديد لمائتين وخمسين طالباً، أعلنوا التصريح التالي: "لو حاولتم أن تقيموا علاقة حميمة مع شخص ما قبل

أن تجتهدوا لكي تصبحوا شخصاً كاملاً وصحياً، فسوف تكون كل علاقة مجرد محاولة لإغلاق الثغرة التي في قلبكم والاحتياج إلى ما هو ليس لديكم. وسوف تنتهي تلك العلاقة بكارثة".

اسمحوا لي أن أعيد صياغة تصريح آل باروت. أي وقت تريدون أن تقيموا علاقة حميمة مع شخص ما قبل أن تترسخ هويتكم بالكامل في المسيح وتعرفوا وتشعروا بالأمان والقوة فيه، فإنكم بذلك تتوقعون من ذلك الشخص أن يفعل شيئاً لكم لا يستطيع أن يفعله. بكلمات أخرى، عندما تكون هويتك في المسيح، فإنك لا تحتاج للآخرين بنفس الطريقة. لن يكون عليك أن تمثّل، ولن يكون عليهم أن يفعلوا ما تتوقعه منهم حتى تُسدَّد احتياجاتك المطلقة.

فالعالم يقول، "ضع رجاءك على هذا الشخص لكي يفعل ما تتوقعه منه. اجعل هذا الشخص مركز وجودك". هذا لا يجدي نفعاً. فالمشكلة هي أن هذا الشخص ضعيف، وغير كامل، ومحتاج، مثلي ومثلك تماماً. هذا الشخص سوف يفسد الأمر، أليس كذلك؟ وذلك يتسبب في الجرح، ماذا نفعل إذن؟ نرد بالمثل، أو نحتال، أو نلوم. وحيث أن العالم يعلِّمنا أنه يجب أن نتوقع من الآخرين ما يمكن لله وحده أن يعطيه، فإننا لن نستطيع أن نقدِّر الروعة الحقيقية جداً (بالرغم من أنها محدودة) للحب البشري.

إن المفتاح للعلاقات الدائمة هو تطوير علاقة مع الله من خلال المسيح بحيث تشعر بالأمان الداخلي فيه. ذلك يسمح لك بأن تكون معطاءاً ومُحباً حقيقياً. لو لم تتوصل إلى ذلك (وبالمناسبة، فإن فهم هويتك في المسيح يتطلب بعض الجهد)، سوف تتعطل كل علاقاتك. كيف إذن تتوصل إلى ذلك؟ إن الإصحاحات الثلاثة الأولى توضح هذه العملية بلا لبس. حتى تنشئ هوية ثابتة في المسيح، فسوف تكون كل علاقة تقوم بها محاولة للحصول على شيء من ذلك الشخص لكي يجعلك تشعر أنك على ما يرام. البعض منا يحتال، والبعض سوف يصبح مولعاً وتابعاً بشكل زائد، لكننا جميعاً سنقيم علاقات مختلة وظيفياً.

الخطوة ٢: بدلاً من أن تقع في الحب، اسلك في الحب

لو رجعت مرة أخرى إلى أفسس ٥: ١-٢، فسوف ترى أنني قد أضفت أقواساً حول عبارة، كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا. هذه العبارة تشرح كيف يعمل الأمر بأن نسلك في الحب. السلوك في الحب يعني شيئاً أعمق جداً من مجرد التمشي طويلاً على الشاطئ أوالتجول في مركز التسوق ونحن نمسك بأيدي أحدنا الآخر. إن السلوك في الحب يعني، في الحقيقة، أن نحب الآخرين بنفس الطريقة التي أحبنا بها المسيح تماماً. كيف أحبنا المسيح؟ تمدنا العبارة بالإجابة: أسلم نفسه لأجلنا. ها هو إذن التطبيق الأكثر عمقاً: إن السلوك في الحب يتعلق بالالتزام المضحِّي.

إن التعريف التالي لما يعنيه أن نسلك في الحب يساعدني أنا شخصياً، وهو المفتاح لعلاقتي مع تريزا: السلوك في الحب يعني إعطاء الشخص الآخر ما يحتاجه أكثر عندما يكون أقل استحقاقاً له، لأن تلك هي الكيفية التي عاملك الله بها بالضبط. تلك هي ماهية الحب الأصيل. الحب هو إعطاء الآخر في العلاقة ما يحتاج إليه أكثر، وليس بالضرورة ما يريده الأكثر. مرات كثيرة في زواجي، ومع أولادي، وفي العلاقات الرائعة أعطيت الناس، بنعمة الله، ما كانوا يحتاجونه لكن ليس بالضرورة ما كانوا يريدونه. وعندما أعطيتهم ما كانوا حقاً يحتاجونه، أُصيبوا بالغضب. فقد كنت أقدم لأولادي تصحيحاً للخطأ الذي يعملونه ولم يكن ذلك يعجبهم طوال الوقت. وأخبرت أصدقائي بالحقيقة في الوقت الذي كانوا يتمنون أن أوافق فيه على كذبة كانوا يصدقونها، وقد انزعجوا مني. وقد كنت صادقاً مع تريزا في أوقات ربما كان عدم صدقي سيتفادى خلافاً، وذلك أحدث بعض الفترات المزعجة.

افهموا من فضلكم أن هذا المبدأ يشبه سيفاً ذي حدين. هناك أشخاص قد أعطوني ما كنت أحتاج إليه بدلاً مما كنت أريده وقد جُن جنوني عليهم. فقد كنت عاقداً العزم بشأن قرارات متنوعة مثل أي سيارة أو بيت نشتري؟ وكيف ننصح أولادنا بشأن الاختيارات الجامعية؟ ثم طَرَحَت عليَّ تريزا السؤال الوحيد الذي لم أكن أريد أن أسمعه لكني كنت محتاجاً للتفكير فيه. ولم يعجبني ذلك. كنت قد اتخذت بعض القرارات المتعجلة بشأن اتجاه كنيستنا، وقد تعرضت تلك القرارات للمساءلة من قِبَل أشخاص أعرف أنهم يهتمون

بأمري. وعلى الرغم من أن جزءاً مني كان يعرف أنهم طرحوا أسئلتهم بدافع من محبتهم لي، إلا أنني لم أستمتع بتعرضي لهذا التحدي. فقد جُرِحت وكان هناك بعض الخزي يتعدى مجرد الإحباط. لم تكن الحياة في تلك اللحظات وردية على الإطلاق. وبعد ذلك تَمَوتُ بعض الشيء. والآن أدركت أنهم كانوا يسددون احتياجاتي الحقيقية بينما كنت أريدهم أن يسددوا احتياجاتي السطحية.

الحب فعل مُضحِّي يتمركز حول الآخر ويقدم ما هو الأفضل للآخر. إن طريقة الله قاسية جداً على المشاعر، غير أنها صحية جداً للنفس. فإنها تصنع العجائب في العلاقات التي يجد فيها كل الأطراف هويتهم المطلقة في المسيح.

لهذا السبب فإن الخطوة الثانية في خطة الله للعلاقات تتضمن الحب الأصيل. لا تقعوا في الحب، هكذا يخبرنا الله، بل اسلكوا في الحب. الحب الأصيل ليس كتلة سلبية مهتزة من المشاعر؛ الحب الأصيل هو تخلي متعمد، ومقصود، وصادق، بل وحتى مؤلم عن حماية الذات من أجل مصلحة شخص آخر. السلوك في الحب تعني الحب المتمركز حول الآخر. فلسان حاله، "سوف أعطيك ما تحتاجه"، ثم يواصل عمله حتى ينجزه بدون احتيال، بدون تلاعب، بدون إعمال للقوة. ومن المثير بما فيه الكفاية أننا عندما نحب بهذه الطريقة، فإننا في الحقيقة نشعل نيران الرومانسية وتلك المشاعر الجيدة التي نتوق جميعاً إلى الاستمتاع بها. وعندما نأخذ عن وعي هاتين الخطوتين الأولتين في خطة الله، فإنهما يقوداننا إلى الخطوة ٣ مباشرة.

الخطوة ٣: بدلاً من تثبيت آمالك وأحلامك على شخص آخر، ثبِّت رجاءك على الله واسعَ إلى إرضائه من خلال هذه العلاقة

عندما يتصل الأمر بالزواج، كما قلنا، نجد أن نموذج هوليوود خاطئ ويشِّكل مأساة. ففي وصف هوليوود لحفل الزفاف، يقف الاثنان وجهاً لوجه أمام أصدقائهم المجتمعين. وغالباً ما يتم تصوير هذه المراسم في مواقع تشبه أماكن العبادة، ولو أنه نادراً ما يوجد أي اعتراف حقيقي بالله في الحدث. ويعلن الاثنان بشكل أساسي، "أنت أهم شخص في حياتي. أنت تكمِّلني. أنت شريك حياتي المثالي، والمحقق لكل أحلامي".

أما في حفل الزفاف الذي يكرم حضور اللّه ودوره، يواجه الاثنان أيضاً أحدهما الآخر مرحبين ببركة اللّه ومقرين تماماً أنهما يتوقعان أن يساعدهما اللّه على الوفاء بالوعود التي يقدمانها. لكن نظرتهما الواحد للآخر يمكن أن يُعبَّر عنها بهذه الطريقة، "أنت لست أهم شخص في حياتي – بل المسيح. ولأن المسيح هو أهم شخص في حياتي، فسوف أعاملك بطريقة أفضل مما كان يمكنني أن أعاملك لو كنت أهم شخص في حياتي. سوف يساعدني المسيح على أن أحبك أكثر مما كان يمكنني أن أحبك بقوتي وحدها".

في آياتنا الكتابية لم أتكلم عن تعبيّرَي "قرباناً وذبيحة" لأن هذين التعبيرين الصغيرين يتعلقان بالخدمة والولاء الناكر للذات. إن يسوع لم يفعل أمراً لكي يرضينا في المقام الأول؛ لكنه فعل أمراً كان يرضي اللّه. أعلم أن ما أوشك على التكلم به يبدو هرطوقياً، غير أن هدف العلاقات ليس الحرص على أن كل شيء يتم بطريقتنا أو يجعلنا سعداء. الهدف هو إرضاء اللّه. إن أفضل ما يمكن للعالم أن يمنحه كنموذج للزواج يتضمن شخصين يحاولان جاهدين لإرضاء أحدهما الآخر. أما وصفة اللّه فإنها تخلق إمكانية مثيرة يتعلم فيها الاثنان في الواقع أن يرضيا طرفاً ثالثاً – وهو اللّه – بالطريقة التي يستجيبان بها له ولأحدهما الآخر.

أريد أن أوضح هذه النقطة. عندما نسير في الاتجاه المعاكس ونجعل إشباعنا الشخصي هو هدف كل علاقة، لا ينجح الأمر أبداً. وعندئذ نفترض بشكل خاطئ أن المشكلة تكمن في الآخر، فنذهب للبحث عن شخص آخر. نحن نرى أشكالاً متطرفة من هذا السلوك تقدم في وقت الذروة بالتليفزيون في الكثير مما يُدعى عروضاً واقعية. كما أن تلك العروض تظهر أمنياتنا الأنانية وتثيرها. فكيف نكسر هذه الدورة المترسخة المتمركزة حول الذات في حياتنا؟ كيف نعالج هذه الرغبات النرجسية واحتياجنا الشخصي لكي نكون على المسرح المركزي؟ كيف نتوقف عن توقع أن العالم يدور حولنا؟

تتضمن الإجابة موقفاً مختلفاً تماماً. فبدلاً من محاولة اكتشاف ما هو الخطأ في الشخص الآخر، وبدلاً من توقعنا بشكل مستمر أن يتوافق الآخر مع احتياجاتنا، يجب علينا أن نسأل اللّه لكي يجعلنا الأشخاص الذين يريدنا أن نكونهم، وأن يساعدنا على أن نسلك

في الحب، حتى نقدم بشكل مُضحٍ ما يحتاجه الشخص الآخر. وهذا يعني، في حالتي، أنني لا يمكنني أن أثبِّت آمالي على ما إذا كانت زوجتي حنونة أم لا. إنه يعني قبول أن كل الأشياء لن تمضي على أفضل حال أو بالطريقة التي أريدها الآن طوال الوقت. هناك أوقات تكون فيها الحياة قاسية حقاً وليست مليئة بالمشاعر الطيبة على الإطلاق. أنا وأنت نحتاج أن نكون راغبين في تحمُّل الألم واجتياز الأوقات الصعبة. ترون إذن أنه على قدر ما نحيا بهذه الفكرة المُضللة التي تنظر إلى الآخر لتسديد كل توقعاتنا، فإننا نحكم على أنفسنا بالإحباط. إن العلاقات الرائعة تتضمن الصراع، والنزاع، والعمل على حل القضايا، وعدم مطالبة الشخص الآخر بأن ينجح حياتنا. وعندئذ تكون النتيجة الكثير من النمو الشخصي والصحة العلاقاتية.

إن الله يدعوك لحياة من الحب الواعي والمُضحي في علاقاتك. وسوف يكون هذا هو المسعى الأكثر تحدياً الذي تكون قد اتخذته على الإطلاق. لكن دعوني أضيف هذا الخبر الطيب. إن النتاج العرضي لطريقة الله للعلاقات هو ذلك النوع عينه من الحميمية، والحب، والجنس، والرفقة الدائمة التي طالما أردناها أنا وأنت.

وخشية أن ينتهي بنا الأمر إلى الاعتقاد بأننا قد حصلنا على خطة بسيطة، تعتمد على التوصيل بين النقاط، وخلق المعجزات، فإننا نحتاج أن نفهم أن وصفة الله للعلاقات، بالضبط مثل نموذج هوليوود، لديها أيضاً خطوة رابعة. لماذا؟ لأن الله يفهمنا بشكل مثالي.

الخطوة ٤: لو حدث فشل، كرر الخطوات ١، ٢، و٣

من المثير للاهتمام بما فيه الكفاية أن الخطوة الرابعة في كلٍ من نموذج هوليوود ووصفة الله متماثلتان لكنهما لبعض الأسباب مختلفان جذرياً. فكلا الخطوتين تعترفان بسمة حتمية للعلاقات البشرية – وهي الفشل. حتى لو كنا مقتنعين تماماً بحقيقة طريقة الله، هل تعتقدون أن بإمكاننا أن نتبع هذه الخطوات دون عيب منذ الآن فصاعداً؟ بالطبع كلا.

فعندما يتصل الأمر بالفشل في علاقة، لن يكون السؤال الحقيقي هو لو، بل متى.

لو كنت متزوجاً، فإن الشخص الذي قد يفشل ليس هو بالضرورة شريك حياتك. لو كنت رجلاً، فإن الشخص الذي تنظر إليه في المرآة عندما تحلق ذقنك هو المرشَّح الرئيسي للفشل. لو كنتِ امرأة، فإن الوجه الذي تشاهدينه في مرآة الزينة ربما يخص الشخص الذي يفشل. ربما تكون هناك أوقات تفكر فيها، "أشعر أن هذه العلاقة يائسة. إنني أشعر بخيبة أمل. أنا في حالة صراع حقيقي". إن وصفة الله لا تقول إنك لا يمكن أن تُصاب بتلك المشاعر من وقت لآخر. لكنها لن تسمح لك ببساطة أن تستنتج، "حسناً، ربما أكون قد ارتبطت بالشخص الخاطئ". لو لم يتم الاعتراض على هذه الشكوك الصغيرة وسحقها، فإنها تبدأ في تقويض التزامك. وبعد ذلك، متى عوملت بطريقة أفضل قليلاً من شخص آخر، فإنك تُجرب بعمل مقارنة، "إنه (أو أنها) يعاملني بالتأكيد أفضل من شريك حياتي!" وتبدأ في التفكير في أنها لطيفة حقاً أو أنه يفهمني جيداً – على خلاف زوجي أو زوجتي تماماً. فيلمع أمامك نموذج هوليوود دون حتى أن تدرك الأمر. وتجد نفسك فجأة في حالة بحث عن شخص جديد. هل هي خطة جيدة ومسلك جيد؟ كلا. فإن كل ما ستفعله هو تدمير بيتين، وإيذاء مجموعة من الأطفال مدى الحياة، والحصول على كل أنواع المشاكل، وسوف ينتهي بك الأمر بأثقال أكثر من ذي قبل. ربما تبدو هذه النتائج متطرفة، لكنها جميعاً مألوفة جداً لقطاع كبير من مجتمعنا اليوم.

هذا التسلسل من الأحداث لا يتعين أن يكون هو اختبارك أو نهاية المطاف بالنسبة لك. يمكنك بدلاً من ذلك أن تقضي على تلك الأكاذيب الصغيرة وهي لا تزال صغيرة. يمكنِك أن تنظري في المرآة وأنت تضعين زينتك أو تضع مرهم الحلاقة وتقول، "لدينا مشكلة في هذه العلاقة ولست مُشبعاً جداً الآن. في الواقع أنا غاضب بالتأكيد وكذلك زوجتي. كما أن النوم على هذه الأريكة متعب. والآن هل أنا الرجل (المرأة) الذي تريدني أن أكونه يا ربي يسوع؟ هل أسلك في حب؟ ماذا تريد أن تفعل فيَّ، سواء تغير شريك حياتي أم لم يتغير على الإطلاق، لكي أتمثل بك وأسلك في الحب لكي تكون هذه العلاقة حسب مسرتك؟"

هل ترى إلى أي مدى يُعتبر هذا الموقف مختلفاً؟ هل ترى كيف أن النظر في المرآة

ينقل تركيزك من ميلك الطبيعي للوم شريكك إلى ما يمكنك أن تفعله حتى تجعل الأمور تسير على نحو أفضل؟ إن حقيقة الأمر هي أن اللوم أو محاولة جعل شركاء حياتنا يتغيرون يحملان دائماً نتيجة عكسية على أية حال. وفي المقابل، إلى أي مدى نجد لدينا التحكم في تغيير الشخص الماثل في المرآة مائة بالمائة؟ إلى أي مدى نحمل مسئولية أفعالنا واختياراتنا مائة بالمائة. كم تربح علاقاتنا عندما نحاول أن نحتال على شركاء حياتنا، أو نحاول أن نغيِّرهم ليكونوا أشخاصاً من نوع آخر؟ ليس كثيراً. إذ تصبح تلك فترة من الفترات التي نواجه فيها فشلاً صريحاً وهادئاً. إن الخطوة ٤ من الوصفة تتولى الأمر. إن الله يخبرنا أن نبدأ من جديد خطوة ١ – أن تكون الشخص المناسب. يجب علينا أن نجعل من ذلك نقطة تركيزنا. فنقوم بالخطوات التالية: نتمثل بالله، نسلك في الحب، نثبِّت رجاءنا على الله، ونسعى إلى إرضائه في كل علاقة من علاقاتنا. ولو حدث فشل (وسوف يحدث)، نعود مرة أخرى إلى نقطة البداية ونكرر الخطوات ثانيةً.

ربما تفكر، "لابد لي أن أصلح علاقتي الخاصة مع الله حتى قبل أن أتمكن من معالجة الفوضى التي في حياتي". ابحث عن شخص يمكنه أن يساعدك في ذلك. لقد سمعت مراراً وتكراراً أشخاصاً يقولون بحزن، "أتمنى لو كنت قد عرفت شيئاً عن وصفة الله منذ عشرين عاماً". في حين قال آخرون، "لديَّ أطفال يحتاجون إلى أن يفهموا ذلك. فهم يعتقدون أنهم سيبلون في الحب أفضل مما فعلت، لكني الآن أعرف أنهم يتبعون نفس المخطط الذي يقود إلى طريق مسدود. أود أن أخبرهم أن باستطاعتهم حقاً أن يبلوا حسناً، لكن سيتحتم عليهم أن يقوموا بالأمر بشكل مختلف!" بالرغم من أننا، أنا وتريزا، لا نجد متعة خاصة في استرجاع بعض الأحداث الصعبة جداً في ماضينا،إلا أن الناس يمكنهم أن يستفيدوا حينما يكونون قادرين على فهم سبب انجراف قيم ثقافتنا لتصبح مجموعة من العلاقات المحطّمة وتُخلِّف قلوباً منكسرة. فاسترجاع الألم الذي كابدناه في حياتنا أمر نافع لنا.

لقد عرفت خلال سنوات كثيرة من التعليم في ورش التعافي من الطلاق مئات الأشخاص الذين يعانون من أزمات علاقاتية متنوعة. واستنتجت من هؤلاء الذين عانوا بالأكثر أن نموذج هوليوود يبدو أنه هو السائد على ثقافتنا. لو لم أكن مقتنعاً أن وصفة الله سوف تُثبت صحتها مهما حدث في ثقافتنا، لكنت قد أعلنت استسلامي. لكن عندما

أرى أبنائي يعيشون وفقاً لهذه الوصفة، يحققون نجاحاً في زيجاتهم وحياتهم، أدرك عندئذ أنني أساهم في أمر نافع. فهناك مئات من الزيجات قد أُنقذت عن طريق تأسيسها أو إعادة تأسيسها باستخدام وصفة الله، مما يعود بنا مرة أخرى إلى هذا الكتاب والسبب الذي أشارك لأجله هذه الرسالة معكم. أثق بأنكم ترون الاختلافات الجذرية بين نموذج هوليوود ووصفة الله للعلاقات عندما يختص الأمر بحياتك. إن تمييز تلك الاختلافات سوف يساعدك على تجنب الكثير من الأخطاء التي يقترفها الناس من حولك.

بضع كلمات تحذيرية

أعرف أن الأشخاص الذين سيقرأون هذه الصفحات سوف يشبهون بطرق كثيرة الجماهير في برنامجنا الخاص بالتعافي من الطلاق. إن ما سمعناه ورأيناه في جلساتنا يعكس ببساطة الثقافة الأوسع. فإن معدل الأنفصال وربما الطلاق بين المؤمنين وغير المؤمنين هو نفسه تقريباً. كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ لأننا جميعاً تشكّلنا بواسطة ثقافتنا. فقد تم غوايتنا وخداعنا بمظاهر كاذبة، وتم التأثير علينا بواسطة نموذج هوليوود.

نحن نشرع بشكل غير واعٍ في العلاقات بطريقة هوليوود. ونسلك في الماديات بطريقة وول ستريت. كما أننا ننظر إلى الأبوة وفقاً لأية تقنيات نعتقد أنها ستنجح أو نجدها موضة في تربية الأطفال. وبذلك نكون قد قسّمنا وقطّعنا حياتنا بحيث يعكس سلوكنا أننا نستمع إلى العالم أكثر من كلمة الله. ونكون قد بدّلنا وصفة الله بنموذج هوليوود. والنتيجة أننا نضمن لأنفسنا نتائج مؤلمة وكارثية. لا عجب أن معدل الانفصال هو نفسه تقريباً بين المؤمنين وغير المؤمنين. ومع ذلك، فإن ما أشرنا إليه ليس هو الإحصائيات الجديرة بالاعتبار فقط. فإن الأماكن التي درست فيها وصفة الله وفيما بين العائلات التي طبقت فيها وصفة الله، نرى نتائج رائعة! فيما بين هؤلاء الأزواج الذين يحضرون الكنيسة بانتظام (وليس مجرد مرة واحدة في الشهر)، والذين يُصلّون معاً بانتظام، ولدى كل منهم وقت تعبدي شخصي مع الله، نجد أن معدل الطلاق لا يتعدى أصابع اليد الخمسة. لماذا؟ لأنهم يتبعون قصد الله السماوي. هل توجد لديهم صراعات؟ بالقطع. لكن هل تعرفون ماذا يفعلون؟ إنهم يتمثلون بالله، ويغفرون، وهم عطوفون، وينظرون إلى قلوبهم، ويضعون احتياجات

الآخر قبل احتياجاتهم الخاصة بشكل مُضحٍ. إنهم يفعلون ذلك لمدة سنة، ثم خمس، وبعد ذلك عشر. ثم قد يجتازون خلال مواسم من الضغوط، ووجود الأطفال، والمشاكل المالية، لكن الله يقوم بعمل عظيم ويساعدهم على اجتياز المراحل الصعبة. يُعتبر الأمر صعباً جداً غير أنه جيد جداً. كما أن المكافأة، والإرث، والبركة أمور تضاف إلى الحميمية والفرح اللذين يختبرونهما معاً. ليست هناك مشاعر ملتهبة كل يوم. بل قد تكون بعض الأيام، في الواقع، كئيبة. إننا نعيش في عالم ساقط وهم متزوجون بشريك مناضل آخر مثلهم تماماً. وهم يدركون أنهم يحتاجون إلى الغفران المتواصل، وهم يعطونه ويتلقونه. في تلك الزيجات المتأسسة على وصفة الله، يشعر الأطفال بالأمان، والأمن، والثقة. فإن الأزواج الذين يتمثلون بالله في علاقتهم مع أحدهم الآخر يفعلون نفس الشيء مع أطفالهم. لذلك فإنهم يطوِّرون علاقة عائلية رائعة بالرغم من كل الصراعات والتحديات العادية. والأمر المثير هو أن الأطفال يتمكنون من رؤية كيف تبدو العلاقات الحقيقية عندما يشاهدون آباءهم. وهكذا فإنهم يتسلمون الشعلة ويصبحون الشخص المناسب في زيجاتهم، فيسلكون باستمرار ويفشلون من حين لآخر وهم يتبعون وصفة الله. لو بدا ذلك على أنه تفكير كئيب أو بديهيات روحية، فكِّروا مرة أخرى. لقد وَصَفْتُ للتو كيف بدت لي ولتريزا الخمسة وعشرون عاماً الماضية من حياتنا ، وما أراه الآن في أطفالنا البالغين. لقد أتينا من ماضي مختل وظيفياً واقترفنا الكثير من الأخطاء، غير أن مكافأة الله لنا كانت علاقة حميمة، ومثيرة، وما زالت رومانسية.

استنتاج

إن الله يبتغي لك ذلك. لا يتعين عليك أن تكون ضمن إحصائية مأساوية. لا يتعين عليك أن تكون خائفاً من الالتزام. توجد طريقة فوق طبيعية لإقامة العلاقات. سوف يستخدمها الله في حياتك وسوف تخلِّف وراءك إرثاً.

ينبغي علينا، كمؤمنين، أن نقيم العلاقات بطريقة الله. فإن الثمن يكون مرتفعاً جداً كما أن قلب الله ينكسر في أحيان كثيرة جداً عندما نقيم العلاقات بطريقة هوليوود.

ينبغي أن تختفي المقارنات التي تتم في ضمائرنا. يجب أن ننمي لدينا حساسيةً تحذرنا من المواقف التي يسعى فيها نموذج هوليوود إلى الإلحاح علينا. وكلما فهمنا ومارسنا بشكل أفضل وصفة الله للحب، والجنس، والعلاقات الدائمة، كلما أدركنا أكثر الأكاذيب والخيبة المطلقة لأي بديل.

أعلم أنه لا زالت هناك أسئلة كثيرة – ربما أكثر مما كانت عندما بدأنا هذا الكتاب. إن ما ينبغي أن نفعله حيال تلك المشاعر والانجذابات الغريبة يمثِّل صعوبة كبيرة في حياة الكثيرين. وهذا ما سنكتشفه في الفصل القادم.

التقييم الشخصي

١.إن الخطوة الأولى في وصفة الله للحب، والجنس، والعلاقات الدائمة تتضمن تحولاً من محاولة إيجاد الشخص المناسب إلى أن تكون أنت الشخص المناسب. كيف ستشرح ذلك لشخص لم يقرأ الكتاب بعد؟

٢.ما هو الفرق بين "الوقوع في الحب" و"السلوك في الحب"؟

٣.عندما يتعلق الأمر بعلاقة مع شخص آخر، ما الذي يعنيه أن "تثبِّت رجاءك على الله" بدلاً من أن تثبِّته على الشخص الآخر؟

٤.ما الذي تجده أكثر إقناعاً أو إثارة للفضول بشأن وصفة الله للحب، والجنس، والعلاقات الدائمة؟

٥.ما هي الخطوات العملية المحددة التي تحتاج أن تأخذها حتى تبدأ في إتباع وصفة الله لإقامة علاقات مع الجنس الآخر؟

قبل أن "تقع في الحب"



قبل أن "تقع في الحب"



إن الوقوع في الحب هو من الأمور الخادعة. لكننا لن ندع ذلك يوقفنا. ففي الواقع، منذ العصور القديمة وإلى الآن، كانت الظاهرة التي نطلق عليها "الوقوع في الحب" إحدى أكثر التجارب المنشودة من الجنس البشري. فنحن نريد أن نتعثر ونهبط إلى تلك الحفرة العميقة الساكنة، والتي لها جاذبية قوية. نرحب بهذه النوعية من البهجة العاطفية بالرغم من أنها غالباً ما تُسفر عن نتائج أكثر فقراً وأكثر أسفاً وأكثر إيلاماً في حياتنا. نعم، إن الوقوع في الحب هو من الأمور الخادعة.

كان لدى اليونانيين القدامى انطباع مثير عن الوقوع في الحب؛ فقد كانوا يشبِّهون بالإصابة بالجنون. إن الذي "وقع في الحب" يدرك أن اليونانيين كانوا على حق. فعندما ننجذب إلى علاقة مع الجنس الآخر، يبدو أن تلك الجاذبية يسيطر عليها نوع ما من القوة الغامضة والمجهولة التي تتجاوز منطقنا وتتسبب في عواطف غير مفهومة لكنها مستحيلة النكران. ونحن نحب تلك المشاعر. فهي مُسكرة ولا تُقاوم.

وتجذب الكاتبة الأمريكية ماريلين فرينش الانتباه إلى جوهر "الوقوع في الحب" عندما تكتب، "إنه سيطرة الوهم والتدمير الذاتي على العقل اللامع والمنطقي. فإنك تخسر نفسك، ولا تكون لديك السيطرة على نفسك، بل إنك لا تستطيع أن تفكر بشكل

مستقيم". إنها تصف حالة شاذة لكنها حقيقية ومألوفة لنا جميعاً. "فالوقوع في الحب" يتسبب في بعض من أروع وأقوى المشاعر التي يمكننا أن نختبرها، لكنه يشوه في نفس الوقت قدرتنا على التفكير بشكل واضح.

لقد ذهب الفيلسوف الألماني نيتشه إلى حد القول بأن، "الحب هو الحالة التي يرى فيها الإنسان الأشياء بشكل مختلف تماماً عما هي عليه". وتميل الأبحاث الحالية إلى تأييد ملاحظة نيتشه. كما استنتج خبراء العلاقات ليس وليسلي باروت بعد مقابلة آلاف الأشخاص وتقديم المشورة لهم ما يلي:"حقاً، إن البدايات الضبابية لا تشجع أفضل تفكير لدينا. كما أن المشاعر القوية غالباً ما تعيقنا عن إلقاء نظرة جذرية وموضوعية على أنفسنا، وعلى الشخص الذي نواعده، وعلى العلاقة التي نكوِّنها معاً". فلو أمعنّا النظر عبر القرون، أو قرأنا ببساطة أحدث الأبحاث، نجد أن أمراً واحداً يتضح مراراً كثيرة – وهو أن "الوقوع في الحب" هو حقاً من الأمور الخادعة.

على الرغم من كل مخاطره وعوائقه الظاهرة، فإن هذه الرغبة "للوقوع في الحب" تظل واحدة من أكثر المساعي العاطفية. لقد خُلقنا لكي نُحِب ونُحَب. لكن لماذا تكون تلك العملية من الارتباط مع الجنس الآخر معقدة بواسطة الكثير جداً من المخاطر العلاقاتية؟ كيف يمكن لأمر طبيعي جداً وجميل جداً أن يقودنا إلى مثل تلك العلاقات غير الصحية المملوءة بالألم، والإحباط، والاختلال الوظيفي؟ لماذا يُعتبر الوقوع في الحب من الأمور الخادعة إلى هذه الدرجة، وما الذي نحتاجه حتى نبحر بنجاح خلال هذه الرحلة العاطفية الرائعة مع كونها خطيرة؟

ما لا تستطيع أن تتحمل عدم معرفته

أود أن أشير إلى أن هناك إجابتين على الأسئلة السابقة. الإجابة الأولى تختص بقصور إدراكنا لمفهوم الحب بأكمله. فإن عدم قدرتنا على تعريف الحب ذاته بوضوح تجعل معرفتنا متى نكون حقاً "في حالة حب" شبه مستحيلة. فطالما بقي الحب سراً هلامياً في مكان ما بالخارج فإنك لا تتعرف عليه سوى بالاندفاعات العاطفية زائدة الشحنة، وسوف تكون دائماً تائهاً في محيط من الحيرة بدلاً من الإبحار إلى أرض صلبة. وإلى أن يتضح لك تماماً ما

الذي يعنيه حقاً أن تحب شخصاً آخر، فإنك لن تتيقن إطلاقاً إن كان ما تختبره حقيقياً أم أنه مجرد شيء شبيه بالهلوسة أو الإحساس العابر.

الإجابة الثانية تتعامل مع الحيرة واسعة الانتشار بشأن الفرق بين الحب والافتتان. المشاعر تشبه اللهب – فقد صُنعت لكي تَحرق بغض النظر عن المكان الذي تحرقه. عندما تبدأ شرارات العلاقات في التطاير، تكون هناك إشارة صغيرة فورية ما إذا كان ما هو على وشك الحدوث هو انفجار مدمر، أم فشل عاطفي، أم أنه اندلاع للهب سوف يدفئ العلاقة لسنوات طويلة آتية.

ومن المثير للاهتمام أنه قد أُجريت أبحاث هامة على الأشخاص الذين يختبرون ما نطلق عليه الافتتان. عندما نمر بهذه الخبرة التي يمكننا أن ندعوها الوقوع في الافتتان (أو الوقوع في الاهتمام الرومانسي)، تفرز مواد كيماوية في المخ تتسبب في الدوخة، والدوار، وطوفان من المشاعر التي لا نستطيع أن نشرحها. هناك بعض الأشخاص يثيرون تلك الاستجابة فينا. فنجد أنفسنا منجذبين إليهم على الفور. ولسوء الحظ، كثيراً ما أُطلِق على هذه الحالة الداخلية غير المتوقعة "الوقوع في الحب". هذه الاستجابة للانجذاب، التي يمكن أن نصفها أيضاً باعتبارها "تعلقاً مُسبَّباً كيميائياً" هي في الواقع افتتان. مَن منا لم يدخل إلى غرفة، ووقع بصره على شخص غريب تماماً، فشعر باندفاع لحظي وغير متوقع للعاطفة والجاذبية؟ مَن لم يشعر بذلك الباعث المفاجئ للنظر مرة أخرى؟

لماذا تحدث هذه اللحظات وما الذي يؤدي إليها بالضبط – مَنْ يعرف؟ لكن المشاعر هي قطعاً حالة مؤقتة. فالانجذاب ليس شيئاً يستحيل مقاومته كما أنه لايمكن الثقة فيه. يمكنك أن تختبر بسهولة الافتتان بِأشخاص يثبت في النهاية أنهم كوابيس علاقاتية. لهذا السبب فمن الخطر استخدام الافتتان كعلامة لإقامة علاقة. فإذا كنا لا نعرف الفرق بين الافتتان والحب، فمن المتوقع أن نتخذ بعض أكثر القرارات المؤسفة والغبية على الإطلاق. كما أننا سوف ندفع ثمناً باهظاً جداً لهذه القرارات السيئة.

ترون إذن أنه يتحتم علينا في هذا الأمر الخادع "للوقوع في الحب" أن نأخذ وقتاً لتعريف ما نقصده بكلمة "الحب" بشكل واضح. فإن هذا الاستثمار سوف يجلب لنا ربحاً كثيراً. يمكننا في الحقيقة أن نتعلم كيفية تجنب الثقل المستقبلي الناتج عن العلاقات وكيفية تمييز علاقات الحب الأصيلة عندما نوضح قضيتين حاسمتين: (١) ما هو الحب، و(٢) ما هو الفرق بين الحب والافتتان.

ما هو الحب؟

يمكن أن تشير كلمة الحب بالإنجليزية إلى أي شيء تقريباً. تلك هي المشكلة. باستطاعتي أن أنظر إلى عيني زوجتي وأقول لها في لحظة صدق، "أحبك يا تريزا". وبعد ساعات، قد يأتي صديق حميم إلى المنزلي ويقول، "أحب أن أجري في السباقات". (إنني بصراحة أجد صعوبة في فهم كيف يمكن لأي شخص يحب أن يجري ٦٢ ميلاً بدون توقف). كيف يمكن للكلمة التي أستخدمها لوصف مشاعري العميقة حيال زوجتي أن تكون هي نفس الكلمة التي يستخدمها صديقي للتعبير عن ولعه بالرياضة؟ ثم تستجيب ابنتي لاقتراحي بأن نتناول الطعام بالخارج بقولها، "أبي، لا أريد أن أذهب إلى ذلك المطعم. أحب حقاً أن أتناول البيتزا!" عندما نزاول عادة إنهاء الجملة ب"أحب ____________" بألف طريقة تافهة نسبياً، فإننا نستورد معاني كثيرة جداً لكلمة الحب حتى أنها لا تعد تعني الكثير. وتصبح أقرب إلى مجرد انطباع هلامي وغير واضح مرتبط بالمشاعر الإيجابية. إننا نستخدمها للتعبير عن أي رغبة أو جاذبية تقريباً مهما كانت تافهة. هل باستطاعتكم أن تروا كيف يربكنا مثل هذا التعريف المبهم

ثلاثة أنواع من الحب

تُعتبر اللغة اليونانية أكثر دقة جداً من العربية والإنجليزية في وصف العلاقات. فهي تستخدم ثلاث كلمات يمكن ترجمتها إلى العربية والإنجليزية باعتبارها "الحب". ونشتق من هذه الكلمات ثلاثة أنواع رئيسية من الحب نحتاج أن نضعها في اعتبارنا ونحن نقول لأحد "أحبك".

حب الأيروس Eros – حب الشغف الجنسي

اللفظ اليوناني الأول للحب هو أيروس. وقد استعارت الإنجليزية في الحقيقة هذه الكلمة الأجنبية لابتكار كلمة تخصها – وهي "جنسي". كان اليونانيون يستخدمون كلمة أيروس للإشارة إلى حب متمركز حول الاحتياج أو رغبة مستندة على الجاذبية والإشباع. فالأيروس يتميز بالشغف والرغبة الجنسية. ويصف الأيروس مظهراً لعلاقة بين رجل وامرأة يشبه كثيراً المغناطيسية. فالمغناطيسات ليست مدققة في الاختيار. بل إن قدراتها الاجتذابية تظل "تعمل" باستمرار، فتنجذب فوراً إلى جسم لديه الخواص الصحيحة. إن الرجال والنساء المخلوقين بواسطة الله لديهم، كجزء من تصميمهم، قدرة على الانجذاب تحت سيطرتهم الكاملة، غير أنها لا تسيطر عليهم تماماً ضد إرادتهم. هذا المظهر لحب الأيروس مُعطَى من الله وهو ضروري لإنجاح الزيجات؛ إلا أن الزيجات لا يمكن أن تُدعم بالأيروس وحده. فهو جزء من خطة الله لكنه ليس هو الخطة بأكملها.

ربما بدا المقطع الأخير، بالنسبة للبعض منكم، كما لو كنا قد عبرنا للتو خطاً يتميز بالخطورة لأننا وضعنا كلمات "الله" و"جنسي" في نفس الجملة. لسوء الحظ، إن بعض المسيحيين يعتقدون أن الله ليس مريحاً عندما يتعلق الأمر بالجنس وأن الكتاب المقدس هو ضده بالتأكيد. لكن كلا، فإن الله هو الذي صنع الحب الجنسي. وسواء أعجبكم الأمر أم لا، أنا وأنتم برهان حي على أن الجنس يعمل. فالكتاب المقدس لا يتعامل إطلاقاً مع الجنس نفسه باعتباره شيئاً مختلفاً عن كونه جزءاً طبيعياً وجميلاً من تصميم الله، قادراً على أن يتدنس ويُخزى بواسطة الخطية بالضبط مثل باقي خليقة الله. غير أن التشديد على الجنس في كلمة الله بعيد عن أن يكون سلبياً.

على الرغم من أنه توجد مقاطع في كلمة الله تستحق بشكل واضح أن تًصنف للكبار فقط – معظم نشيد سليمان على سبيل المثال – فإن التحفظات التي يضعها الله حول الجنس ليست موجودة بسبب عيب ما في الجنس. لكنها موجودة لأنه يوجد عيب فينا. يُعتبر الجنس جزءاً مقدساً وخاصاً في علاقة الزواج. بعيداً عن كونه دنساً بأية طريقة أو "شراً بالضرورة"، كما سمَّاه بعض من لاهوتيي الماضي ، فإن الحب الجنسي في إطار الزواج

يُبارك ويُشجَع من الله. بل إنه يدعوه مقدساً. فالاتحاد الجنسي يمنح الزوجين أقوى الطرق لاختبار الوحدانية التي يشير إليها الكتاب المقدس عندما يصف الزواج في (تكوين ٢: ٢٤-٢٥)

كثير من المقاطع الكتابية تضع، في الواقع، تعليمات واضحة فيما يختص بقداسة الجنس في الزواج. ففي الإصحاح الخامس من سفر الأمثال يوجه أب حكيم ابنه:

اِشْرَبْ مِيَاهاً مِنْ جُبِّكَ

وَمِيَاهاً جَارِيَةً مِنْ بِئْرِكَ.

لاَ تَفِضْ يَنَابِيعُكَ إِلَى الْخَارِجِ

سَوَاقِيَ مِيَاهٍ فِي الشَّوَارِعِ.

لِتَكُنْ لَكَ وَحْدَكَ

وَلَيْسَ لأَجَانِبَ مَعَكَ.

لِيَكُنْ يَنْبُوعُكَ مُبَارَكاً

وَافْرَحْ بِامْرَأَةِ شَبَابِكَ

الظَّبْيَةِ الْمَحْبُوبَةِ وَالْوَعْلَةِ الزَّهِيَّةِ.

لِيُرْوِكَ ثَدْيَاهَا فِي كُلِّ

وَقْتٍ وَبِمَحَبَّتِهَا اسْكَرْ دَائِماً.

(أمثال ٥: ١٥-١٩)

يا له من وصف زاهٍ، وصحي، ومبهج للنشاط الجنسي في الزواج! ليس الله متزمتاً، فإن الله قد خلق الجاذبية الجنسية والحب الجنسي كجزء أساسي في العلاقات بين الرجال والنساء. لكن لسوء الحظ، فإن هوليوود قد جعلت الأيروس هو كل ما في الحب. فالحب الجنسي هو النار والشغف. حقاً إن الأيروس هو نار، وشغف، وجزء رائع من الحب الزوجي، لكن الحب يحتوي على ما هو أكثر جداً من مجرد شرارات ونيران الأيروس. فالنار تكون رائعة في

المكان المناسب، وفي الوقت المناسب. عندما تكون في الموقد، فإنها تدفئ الحجرة وتبعث فيها البهجة. وهي تضيف جواً رائعاً وخاصاً لها. لكن لو سحبت الجذوع الملتهبة خارج الموقد ووضعتها على أرضية المنزل، سريعاً ما سيتحول المبنى بأكمله إلى دخان ورماد. نحن نعيش اليوم في ثقافة قد ركّز الناس فيها جداً على مظهر الأيروس من الحب حتى أن قوة وروعة الحميمية الجنسية قد فُقدت. وقد ترك الجنس العرضي، و"التعليق"، والحب حتى تبعاً للهرمونات أشخاصاً كثيرين جداً فارغين ومشتاقين للحب الأصيل والتواصل الدائم.

لقد صمم الله جزء الأيروس من الحب من أجل أهداف مبهجة ومحددة. ففي موقد العلاقة الزوجية، دع الأيروس يتوهج يا حبيبي، دعه يتوهج. غير أن الاعتقاد بأن الأيروس يستطيع أن يدعم علاقة ما هو أمر ساذج وقصير النظر أيضاً. ففي الواقع، إن مظاهر الحب الأخرى في العلاقة هي التي تشعل النيران في الموقد بطرق متفردة.

حب الفيلو Phileo – حب الأصدقاء المقَّربين

دعا اليونانيون النوع الثاني من الحب فيلو. وهذا هو حب الصداقة. يستخدم الكتاب المقدس كلمة "الرفقة" بضع مرات لوصف هذا الجزء من العلاقة الزوجية. وحب الفيلو يعني المشاركة المتبادلة للوقت، والهوايات، والأنشطة، والمنزل، والألعاب، والمظاهر الأخرى لحياة الشركة. هناك كلمة إنجليزية واحدة تطابق اللفظ اليوناني فيلو وهي كلمة "فيلادلفيا"، مدينة الحب الأخوي.

يشير الفيلو إلى تلك التبادلية، ذلك الجزء من الحب الخاص بالصداقة. فالأيروس ينظر للرجل والمرأة باعتبارهما عشيقين. أما الفيلو فإنه ينظر إلى الرجل والمرأة باعتبارهما صديقين مقرَّبين. هناك مقطع في العهد الجديد يوسّع فهمنا للفيلو وهو (رومية ١٢: ٩-١٣)

"اَلْمَحَبَّةُ فَلْتَكُنْ بِلاَ رِيَاءٍ. كُونُوا كَارِهِينَ الشَّرَّ مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ وَادِّينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً بِالْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فِي الْكَرَامَةِ غَيْرَ مُتَكَاسِلِينَ فِي الاجْتِهَادِ حَارِّينَ فِي الرُّوحِ عَابِدِينَ الرَّبَّ فَرِحِينَ فِي الرَّجَاءِ صَابِرِينَ فِي الضِّيْقِ مُواظِبِينَ عَلَى الصَّلاَةِ مُشْتَرِكِينَ فِي احْتِيَاجَاتِ الْقِدِّيسِينَ عَاكِفِينَ عَلَى إِضَافَةِ الْغُرَبَاءِ. "

من فضلك توقف لحظة واقرأ هذا المقطع مرة أخرى، لكن لاحظ هذه المرة نبرة الكلمات والاتجاهات. هل تشعر برغبة بولس في تعزيز المشاركة والالتزام اللذين يؤثران على كل أجزاء حياتنا وعلاقاتنا؟ هل تشعر بالصحة والجاذبية اللذين ينبثقان من كل عبارة؟ ألن يكون رائعاً لو كان هذا المقطع يصف كيف تُعامل من حب حياتك؟

إن الكلمة اليونانية للحب في الجملة الأولى هي في الواقع النوع الثالث من الحب الذي سنفحصه بأسفل. غير أن صفات عدم الرياء، والكره للشر، الالتصاق "بالخير" تعبر بإيجاز عن الفيلو (الحب الأخوي) الذي يبدأ في الآية ١٠. فإن صفات الحب البارزة هي الأصالة والصدق. ثم تأتي المظاهر اليومية، والعملية للعلاقة – "وادين بعضكم بعضاً بالمحبة الأخوية (الفيلو)". فإن علاقاتنا يجب أن تتميز بالولاء والالتزام، وذلك حتى تكون صحية ودائمة. حسناً، كيف يبدو ذلك؟ أولاً، "مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة". بكلمات أخرى، انظر لهؤلاء المحيطين بك باعتبارهم يستحقون الاهتمام، والتشجيع، والاحترام، والإعجاب. "غير متكاسلين في الاجتهاد، حارين في الروح، عابدين الرب". إن حافزنا للطريقة التي نتعامل بها مع بعضنا البعض يعود دائماً، ليس إلى استحقاقهم المطلق، بل إلى علاقتنا بالمسيح. فإن الطريقة التي نحب بها الآخرين هي تعبير عن خدمتنا الصادقة والشاكرة للمسيح. ويستمر وصف الفيلو مع، "فرحين في الرجاء، صابرين في الضيق، مواظبين على الصلاة، مشتركين في احتياجات القديسين".

إن كل عبارة من هذه العبارات تذكر "مقارنة سريعة" تبدأ بتحدٍ لمقياس معين من الاستجابة (الفرح، الصبر، المواظبة، المشاركة) يتبعه على الفور مجال من الفعل (الرجاء، الضيق، الصلاة، الاحتياج). بكلمات أخرى، فإن الفرح ليس جهلاً طائشاً أو إنكاراً لمصاعب الحياة؛ لكنه بالأحرى استشرافاً واعياً ومتفائلاً يتذكر دائماً أن الله هو ضابط الكل. الصبر لا ينشأ حقاً سوى عندما يكون هناك ضيق. والإخلاص لشخص ما في محبة أخوية يتعلق كثيراً في الواقع بالكيفية التي نصلي بها لأحدنا الآخر. كما أن المشاركة تحمل معنى أكثر عندما نكون قد قضينا وقتاً لملاحظة ما يحتاجه الآخرون وفعلنا ما باستطاعتنا لتسديد تلك الاحتياجات.

ويختتم الرسول بولس هذا المقطع بوصية بليغة وهي، "عاكفين على إضافة الغرباء".

فقد كانت الضيافة في العالم القديم تتضمن دائماً تقديم الطعام والمأوى للمحتاجين. لكن لاحظ أنه عندما نحب بحب الفيلو، ينبغي علينا أن "نزاوله" بنفس الطريقة التي يزاول بها الطبيب الطب. فإننا عندما نتمرن على الضيافة، نصبح أفضل فيها. هذه الوصية تعني أن نحيا بحيث نضع الاحتياجات العملية للآخرين أولاً. وقد يعني ذلك، في يومنا، التحرك فيما وراء مجرد تقديم الطعام والمأوى إلى قضاء وقت لتسديد الاحتياجات النفسية لشريك حياتك. ربما يعني ذلك الذهاب إلى مركز التسوق، أو متجر البقالة، أو الذهاب إلى نزهة طويلة في الوقت الذي لا تريد فيه ذلك. إن ممارسة الضيافة، في الزواج، يمكن أن يعني شيئاً جلياً مثل إصلاح أشياء في أرجاء المنزل.

حب الفيلو يتضمن أن نحيا كأصدقاء، بإخلاص وتواصل. وهو يختص بالجلوس ومراجعة الميزانية واتخاذ القرارات، عندما لا تشعر بالرغبة في ذلك. إنه التكلم بالصدق في المحبة عندما تكون غاضباً أو مجروحاً. حب الفيلو يواجه القضايا الصعبة ويبقيها دائماً على مائدة الحوار، ساعياً بلطف على الدوام إلى الغفران واسترجاع العلاقة من القلب.

إن كان حب الأيروس هو الشرارة التي تلهب عاطفتنا بشكل متكرر، فإن حب الفيلو إذن هو الوقود الدائم الذي يغذي فرحنا. إننا نعيش حياتنا معاً، ليس فقط كعاشقين شغوفين بل كأصدقاء مقربين، وهذا هو صميم الحب الأصيل، والجنس المشبع، والعلاقة الدائمة. وعلى الرغم من أننا نعرف بالفطرة أن تلك هي نوعية الحياة التي نريدها، إلا أن جهودنا غير كافية. فنحن البشر غالباً ما نُظهر مشاعر متقلبة بشكل سريع وحباً متضارباً. فإن قدرتنا على حب الأيروس والفيلو يمكنها أن تتوهج ثم تتلاشى، مثل النيران بدون هواء أو حطب كافيين. وعلى قدر ما يسهم الأيروس و الفيلو في علاقة صحية، فإنهما يحتاجان إلى المساعدة. فهما يحتاجان إلى رفيق ثالث للإتيان بالعمق، والقوة، والطابع الدائم للرومانسية والصداقة. لهذا السبب فإن أكثر أنواع الحب تأثيراً التي يمكننا أن نختبرها ونعبِّر عنها هو الحب المُضحي – حب الأغابي.

حب الأغابي Agape – حب الالتزام المُضحي

النوع الثالث من الحب الذي تجذب إليه الانتباه اللغة اليونانية يُدعى حب الأغابي. وهو حب العطاء. وهو يعمل من طرف واحد، بمعنى أن هذا الحب يستمر حتى لو لم يقدِّر المحبوب الحب. حب الأغابي يعطي حتى عندما لا يستجيب الشريك كما يُرجى. إنه العطاء

وتسديد الاحتياجات الحقيقية لآخر ومساعدة ذلك الشخص على أن يصبح شخصاً أفضل، وأكثر نضجاً. إنه الحب الناكر للذات. حب الأغابي يأخذ المبادرة ويُنشّط النوعين الآخرين من الحب. إن المقطع الكتابي الكلاسيكي الذي يوجز هذا النوع من الحب قد بُسِّط للأسف. وبدلاً من أن يُعاش من قِبلنا نحن المؤمنين، فإننا نجده في الغالب على لوحات صغيرة معلقة في الحمامات. وهو يُطبع على أغلفة برامج حفلات الزفاف غير أنه نادراً ما يُفهم من قِبَل الزوجين. إن تلك الكلمات مألوفة جداً حتى أننا على الأرجح نسمعها دون أن نسمح لمعناها أن يتغلغل إلى أذهاننا. عندما تقرأها، هذه المرة، فكِّر فيما كان سيحدث في علاقة ما بين رجل وامرأة لو أنك كنت على وشك أن تقرأه، وصِفْ كيف يعامل أحدهما الآخر فعلياً في تقلبات الحياة اليومية.

الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ.
الْمَحَبَّةُ لاَ تَحْسِدُ.
الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ وَلاَ تَنْتَفِخُ
وَلاَ تُقَبِّحُ
وَلاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا،
وَلاَ تَحْتَدُّ،
وَلاَ تَظُنُّ السُّوءَ،
وَلاَ تَفْرَحُ بِالإِثْمِ،
بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ.
وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ ،
وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ،
وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ ،
وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.
اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَسْقُطُ أَبَداً

(كورنثوس الأولى ١٣: ٤-٨أ)

حب الفيلو هو حب الصداقة الذي يتطلب مستوى عالياً من التبادلية – فإننا نعطي ونحن نتوقع شيئاً في المقابل. لكن حب الأغابي هو عندما تعطي، ليس لأن شريك حياتك قد فعل أمراً جيداً، أو لأنه رائع طوال الوقت، لكن حتى في الأوقات التي يكون شريك حياتك قد جرحك فيها. هذا هو نوع الحب الذي أمُرنا أن نُظهره في (أفسس ٤: ٣٢)، عندما يذكر، *"وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللهُ أَيْضاً فِي الْمَسِيحِ."*. هذا هو بالضبط نوع الحب الذي كان في ذهن الرسول بولس عندما بدأ أفسس ٥ بالإلحاح على أن "نسلك في المحبة" – أن نعيش حب الأغابي.

إن حب الأغابي هو حب إلهي، وفوق طبيعي، وغير مشروط. فإن مقطع كورنثوس الأولى ١٣ يقول إن المحبة، قبل كل شيء، "تتأنى". باستطاعتنا أن نتوقف هنا. فالتأني يعني تحمُّل الكثير من الرذالة على مدى فترة طويلة وعدم الانتقام. وفيما يلي، يقول المقطع إن "المحبة ترفق"، مما يعني أنها لا تسعى فقط إلى الطرق الإيجابية للتعبير عن الاهتمام وتسديد الاحتياجات لكنها تفتقر أيضاً إلى أي إشارة للحسد، أو الغيرة، أو التفاخر، أو التكبر، أو الوقاحة، أو النفعية، أو الغضب السريع، أو الإهانات المسجَّلة، أو الفرح بالإثم.

في حب الأغابي، لا تختص العلاقة بك، لا تتعلق بحياتك أو بما يمكن أن تحصل عليه، لكنها تتعلق بالكيفية التي يمكنك أن تخدم بها الآخر. فعندما تحب بهذه الطريقة، لن تغضب بسهولة. ولن تنفجر. ولن تعبس. ولن تستسلم وتترك الملعب. بخلاف وصفة هوليوود التي تعتمد على المشاعر الملتهبة، والمظاهر الجيدة، والظروف الطيبة، هذا النوع من الحب يظل وفياً وصامداً حتى في أسوأ الأوقات.

حب الأغابي "لا يظن السوء". فهو يتسامح مع ضعفات وأخطاء الآخرين، كما نريدهم أن يفعلوا معنا عندما نفشل. "المحبة لا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق" – وليس "هل ترى، لقد أوقعت بك"بل" أتدري؟ لقد أخفقت لكني أحبك. كيف يمكننا إصلاح ذلك؟ "إنه نوع الحب الذي ينظر فيما وراء إخفاق الآخر، الذي يؤمن به عندما لا يؤمن هو حتى بنفسه. إنه التزام إلهي، متمركز حول الآخر نقدمه لشريكنا وهو" يحتمل كل شيء، ويصدق كل

شيء، ويرجو كل شيء، ويصبر على كل شيء". تلك هي نوعية الحب القوية للغاية حتى أنها "لا تسقط أبداً" . فإن لسان حالها، "أنا معك بغض النظر عن أي شيء" . هذا هو حب الأغابي – الحب الذي يستمر في العطاء والعطاء.

حب الأيروس يتعلق بالمشاعر المتصاعدة والانجذاب الصِرف. وحب الفيلو يتعلق بالصداقة، والمشاركة، وتبادل الأفكار والمشاعر. أما حب الأغابي فهو يتعلق بالوفاء غير المشروط والالتزام المُضحي. فالأغابي، في الواقع، يمكن أن يُلخص بأفضل طريقة بواسطة العبارة التالية: إنه منح الآخرين ما يحتاجونه عندما يكونون أقل استحقاقاً له.

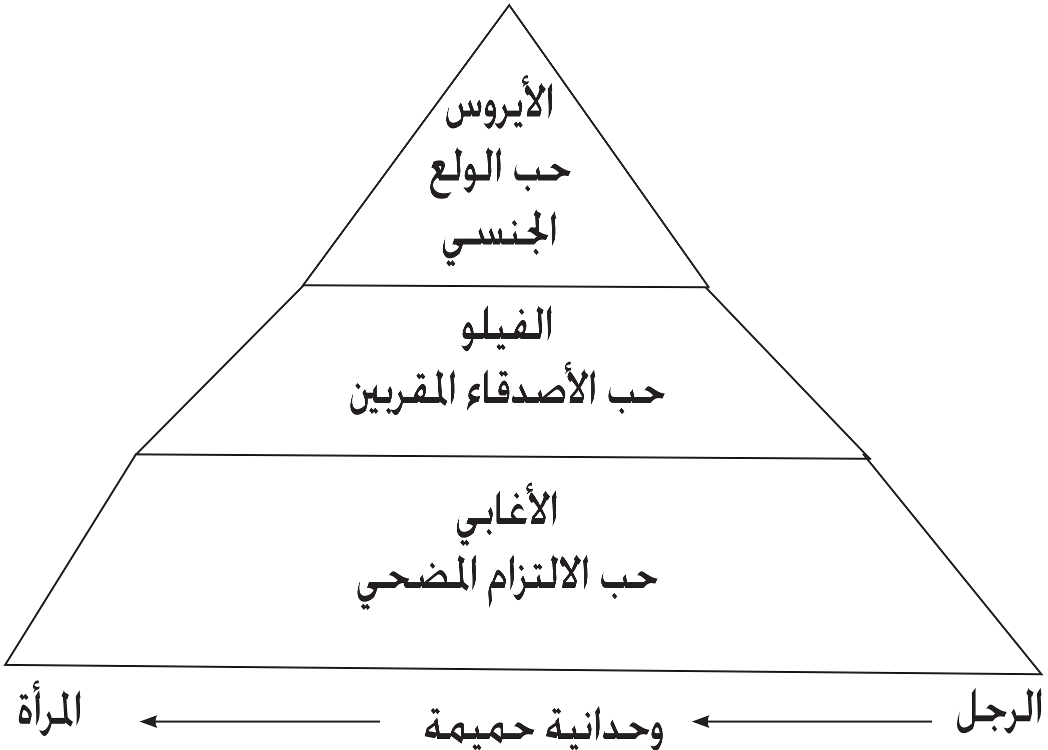
لو فكرت في نفسك بعد أن قرأت ذلك التلخيص، فقد تعتقد أنه يبدو مستحيلاً، أنت على حق! حب الأغابي مستحيل! فحب الأغابي لا يمكن أن يُصنَّع بواسطة الجهد البشري أو قوة الإرادة، غير أنه ضروري بشكل مطلق للحب العميق، والجنس الحميم، والعلاقة الدائمة. والآن، لو بدا محيراً قليلاً أن نُصِرّ على أننا نحتاج نوعاً من الحب يستحيل خلقه بأنفسنا، دعوني إذن أشرح نظرية صغيرة لديَّ عن الكيفية التي تعمل بها العلاقات.

نظرية عن العلاقات

لديَّ نظرية. وهي ليست في الكتاب المقدس تماماً؛إنها مجرد نظرية. قد لا تكون بالضبط الكيفية التي تعمل بها الحياة، لكنها معقولة جداً بالنسبة لي. أعتقد أن الله قد استغلنا في خدعة كونية. والخدعة هي أنه وضع في قلبي وفي قلوبكم دافعاً وشغفاً لا يُصدَّقا للحميمية والعلاقات. ثم أبدع العلاقات. لقد صنع الرجال والنساء باحتياجات مختلفة، بحيث أن كل شريك يحتاج أيضاً إلى مصدر للقوة فوق طبيعي لكي يغفر، ويحب، ويرعى، ويفعل للآخر ما فعله الله لأجلنا بالضبط حتى لو لم يكن يشعر بذلك. وبهذه الطريقة، يجعلنا الله مُدركين بشكلٍ ثابت احتياجنا إليه ونحن نسعى لإيجاد الحب والإشباع في العلاقات. ففي قصد الله المُبدِع، سوف يقاوم الزوجان تجربة الاعتقاد بأنهما لا يحتاجان إلى الله لأنهما مكتفيان بذاتهما؛ بل سيصلان بالأحرى إلى معرفة أنهما يحتاجان إلى اشتراك الله لو أرادا أن يحتفظا أحدهما بالآخر. وبدون ذلك الاعتراف بتدخل الله، يمكن للعلاقة أن تنهار بسهولة.

لو لم تكن توافقني تماماً في هذه النظرية عن العلاقات، دعني أجسّدها لك بهذه الطريقة. دعونا نعود إلى نموذجينا السابقين للعلاقات ونضيف بضع سمات سوف تساعدك على رؤية كيف صمم الله العلاقات لكي تنجح عندما يكون هو في المركز.

إن تَرَك الله، مصدر حب الأغابي، خارج علاقة ما، يؤهلها للفشل. لو فعلت ذلك، فسوف تجتاز الكثير من العلاقات، وتجرح الآخرين، وتجرح نفسك، وتصبح فاقد الثقة جداً، وتفترض في النهاية أنه يوجد شيء خاطئ فيك، وتختبر مجموعة من المشاكل الشخصية والعلاقاتية. هل يبدو ذلك شبيهاً بالعديد من العلاقات التي لاحظتها أو اختبرتها؟ هل يبدو مشابهاً للنمط الذي لاحظته في حياة الناس، بما فيها حياتك؟ ترى إذن أنك لو رغبت بجدية في أن تكون لديك علاقة رائعة تتجاوز مجرد الرغبة في تسديد احتياجاتك أو أداء لعبة "سوف أحبك لو أنك أحببتني"، عندئذ سوف يكون عليك أن تكسر النمط . سوف يكون عليك أن ترُسِّخ علاقتك على أساس روحي. وطالما رغبت في أن تحب بشكل ثوري وتختبر الحميمية كما قصدها الله، فسوف تأتي إلى المرحلة التي تدرك فيها، "لا يمكنني



القيام بذلك! لن أستطيع أن أنجح في هذه العلاقة. فقد حاولت تطبيق كل هذه المادة عن التواصل والمشورة – لكن الأمر يتجاوز قدرتي على حب هذا الشخص عندما يعاملني بطرق تجرح مشاعري". آه، ربما تفعل ذلك لبضعة أسابيع لو كنت مصمماً، لكنني أؤمن أن الله قد صمم العلاقات بحيث تُحبَط أعمق رغباتك إلى الوقت الذي تدرك فيه احتياجك إلى قوة فوق طبيعية لكي تحب أهم إنسان في حياتك.

تذَّكر صورتنا الثلاثية الأولى لقصد الله – فقد كان هو على القمة. يبدأ الرجل والمرأة، بكل شغفهما للحميمية، عند الزوايا السفلية للهرم. وكلما اقترب أحد أولئك الشركاء من الله، ماذا يحدث؟ تصبح المسافة العلاقاتية بين الرجل والمرأة أصغر. وتقترب الحميمية.

لو أنك أردت أن تتأكد من أنك واقع في الحب، ينبغي عليك أن تنظر إلى الحب خارج نموذج هوليوود – العاطفة، مقابلة شخص ما، محاولة إنجاح الأمر، اكتساب المشاعر القوية. تحتاج إلى تعريف الحب بشكل واضح. أي طريقة لتعريف الحب أفضل من تعريفه وفقاً للإله الذي هو محبة والذي أحبنا في الأصل؟

يُعتبر الحب حبلاً من ثلاثة خيوط محاكة معاً في توازن وتناغم. يتضمن هذا الحبل الأيروس العاطفي، والفيلو الودود، والأغابي المانح. إن هدفنا المطلق في الحب، وفقاً لأفسس ٥: ١-٢، هو أن نعامل الآخرين بالطريقة التي عاملنا الله بها. وكل نوع من الحب يقدم إسهاماً معيناً للعلاقة الصحية، وخصوصاً الزواج.

كيف تُحسِّن حياتك العاطفية؟

ها أنت قد بدأت تفهم مثالاً جديداً تماماً لما يعنيه أن تكون في حالة حب. إلى أين ستتجه إذن من هنا؟ لقد قضينا، أنا وأنت، معظم ساعات صحونا ونحن نُلقَّن أن الحب لا يختص سوى بالمشاعر، والشغف، ولقاءات الصدفة، والكيمياء. لكننا جميعاً نعرف أن العلاقات المستندة إلى تلك العناصر العابرة وحدها تنتج نوع الفوضى والمأساة التي نراها من حولنا. لا ينبغي أن يكون الأمر هكذا. فمع وجود فهم صحيح لما يعنيه أن تُحِب وتُحَب، يمكنك البدء في عمل علاقات بشكل مختلف. إن الله يحبك ويريدك أن تتعلم كيفية

مشاركة حياتك بطريقة ذات مغزى مع شخص من الجنس الآخر. دعونا نراجع الخطوات لمساعدتك على التحرك نحو علاقات مُحبة وعميقة.

الخطوة ١ عرِّف الحب. إنه ليس مجرد مشاعر؛ إنه الأيروس، والفيلو، والأغابي.

الخطوة ٢ ميِّز بين الافتتان والحب.

سوف ننظر في الفصل القادم اثني عشر سؤالاً محدداً سوف يساعدون في عملية التمييز. ابدأ الآن في ملاحظة الاختلاف. فعندما يصل الأمر إلى الافتتان المتصاعد، قد تجد أنك عرضة "للوقوع في الحب" كل يوم. ذلك ليس هو نوع الحب الذي يتصاعد نحو علاقة دائمة. فالافتتان يجيء سريعاً ويذهب سريعاً؛ أما الحب الأصيل فإنه يبقى – إنه يدوم.

لا أطيق الانتظار حتى تقرأ الفصل القادم ونحن نتعلم معاً كيفية اكتشاف الفرق بين الافتتان والحب الحقيقي. قيل لي بشكل متكرر إن المعلومات الموجودة في الفصل القادم كانت هي الأكثر إفادة في الكتاب بأكمله. لكن قبل أن نذهب إلى هناك، دعوني أزودكم ببعض المساعدة العملية الفورية لتحسين حياتكم العاطفية.

كلمة للعُزَّاب

اجعل تورطك العاطفي والجسدي ينبع من طاعتك لله والتزامك للشخص الآخر. لو كنت أعزب، دعني أشجعك على أن تؤخر التورط الجسدي في أي علاقات جديدة. فإن الاحتكاكات الجسدية المبكرة والمتزايدة في المراحل الأولى من العلاقة تؤثر على تفكيرك وتهيئك للفشل. اجعل تورطك العاطفي والجسدي يتبع انقيادك لله والتزامك نحو الشخص الآخر – هذا سوف يخدمك على نحو جيد. وسوف يحميك من العلاقات المختلة وظيفياً. وسوف يسمح لمظهر الأيروس من العلاقة أن يأتي في الوقت المناسب وبطرق جيدة. وبدلاً من اختبار الإحساس بالذنب، والعار، ودورة أخرى من الانفصال، سوف تتعلم أن تقيم العلاقات بطريقة صحية جديدة. سوف نتحدث كثيراً جداً، فيما بعد، عن كيفية إنشاء أساس روحي، وكيفية الانتقال من نقطة البداية هذه نحو ملاحظة الشخصية والدائرة

الداخلية للشخص الذي تطوّر معه علاقة جديدة. إن الله لديه الكثير لكي يعلمنا إياه بشأن خطوات النمو في الحب – الاجتماعية، والنفسية، والعاطفية، والجسدية. فإن مستويات الحميمية المتزايدة سوف تتطور بشكل طبيعي، بدلاً من أن تُعلَّق بدون ثبات على نقطة صغيرة جداً من المشاعر والانطباعات الأولى.

كلمة للمتزوجين

إن الحب الصحي يتطلب تداخل أنواع الحب الثلاثة جميعها. افحص كلاً منها، وحدِّد أيهم يحتاج إليه شريك حياتك بالأكثر، ثم اختر أن تقدمه باعتباره فعل عبادة لله.

هذه الملاحظة تبدو بديهية بالنسبة للأشخاص المتزوجين ولا يصعب عليهم فهمها – لكن يصعب تطبيقها فحسب. فإن الشكاوى التي أسمعها من الأزواج متوقعة للغاية، وكنت سأعتبرها مضحكة لو لم تكن قد أحدثت مثل هذا الوجع والمشاكل. فالأزواج يميلون إلى أن يقولوا، "ليس هناك ما يكفي من الأيروس في زواجنا!" فترد الزوجات فوراً، "ليس هناك ما يكفي من الفيلو في زواجنا!" ذلك هو المأزق الكلاسيكي الذي ينبغي علينا أن نتخطاه. إنها احتياجات شرعية – لكن نقطة البداية خاطئة. لو أردت حقاً أن تحسِّن زواجك، فمن الأفضل دائماً أن تبدأ عملية التغيير بافتراض أن شريكك يحتاج حب الأغابي منك. ليس لأنه يستحقه أو لأنه يوجد على رأس قائمتك. إنك تصنع هذا القرار لأنك اختبرت محبة المسيح وأدركت أن تسديد احتياج شخص آخر هو أفضل طريقة للتعبير عن قدر امتنانك لمحبة المسيح. هذا يعني أن الزوجة تختار أن تعامل زوجها بطرق ذات مغزى ومُشبِعة له. وفي نفس الوقت، يختار الزوج أن يعامل زوجته بطرق ذات مغزى ومُشبِعة لها. ولا ينتظر أحدهما الآخر قبل أن يتصرف.

إنني مقتنع أننا لا يمكننا أن نحصل على زواج ناجح وعميق دون أن تعمل في حياتنا قوة المسيح الفائقة للطبيعة. لا أعتقد أن ذلك ممكن. لكن ها هي بعض الأخبار الطيبة: لقد تعلمت أن محبة المسيح الفائقة للطبيعة تستطيع أن تمكِّنني من أن أفعل المستحيل وغير المريح. وبعون الله، أستطيع أن أقدم لزوجتي ما تحتاجه مني غير أنه لا يخرج مني بسهولة. أعترف أن هناك صراعاً ينشأ في أغلب الأحوال لأنني شخص أناني في الصميم. لكني أسمح أيضاً لله أن يغير قلبي. لقد تعلمت على مدى السنين أن أعطي لها ما

أعرف أنه يقول "أحبك" حتى بعد أن أكون قد جُرحت أو تكون هي قد فشلت في إرضاء توقعاتي. وقد شاهدتها، على نفس المنوال، تحبني في الوقت الذي كنت فيه كريهاً جداً. لا، ليس الأمر هيناً؛ لكنه بالتأكيد يستحق المحاولة!

وفي حالة ما إذا كنتم تعتقدون أنني أبالغ في حالة حب الأغابي، فإنني أود أن أشارك قصة صغيرة توضح بشكل جميل ما الذي يمكن أن يحدث عندما يبدأ الشخص في تطبيق هذه البديهية الجديدة للحب مع شريك حياته. فقد كتب زميل، وهو على ما يبدو سمسار بورصة يعمل في وول ستريت، الرواية التالية عن عطلة زاخرة بالأحداث.

لقد أخذت على نفسي عهداً في طريقنا إلى الكوخ الساحلي. سوف أحاول لمدة أسبوعين أن أكون زوجاً وأباً محباً – بدون "إذا" أو "ثم" أو "لكن". وقد جاءتني الفكرة عندما كنت أستمع إلى معلِّم للكتاب المقدس بالمذياع. فقد كان يقتبس مقطعاً. وذكر أنه ينبغي على الأزواج أن يكونوا صالحين مع زوجاتهم. ثم استمر في القول بأن الحب هو فعل إرادة وأننا نختار أن نحب.

كان عليَّ أن أعترف أنني كنت زوجاً أنانياً إلى درجة كبيرة وأن حبنا كان فاتراً إلى درجة كبيرة، بسبب عدم حساسيتي في أمور تافهة في أغلب الأحيان. الغضب الشديد على زوجتي بسبب تأخرها. الإصرار على مشاهدة القناة التليفزيونية التي أختارها. إلقاء صحف البارحة على الرغم من معرفتي أنها لم تقرأها بعد. كنت سأغير ذلك كله على مدى أسبوعين. وقد فعلت. فعندما خرجنا من الباب، قبَّلت زوجتي وقلت لها، "تلك السترة الصفراء تبدو رائعة عليكِ".

فقالت مندهشة، "آه يا توم، لقد لاحظتها".

وبعد القيادة لمدة طويلة، أردت أن أجلس قليلاً للقراءة. غير أنها اقترحت أن نتمشى على الشاطئ. فبدأت في الرفض ثم فكرت في نفسي، لقد كانت وحدها مع الأولاد طوال الأسبوع، وهي الآن تريد أن تكون وحدها معي. فتمشينا على الشاطئ بينما كان الأطفال يلهون بطائراتهم الورقية.

هكذا مرّ الوقت، أسبوعان بدون الاتصال بمؤسسة وول ستريت الاستثمارية التي أعمل

كمدير فيها. كنت في العادة أكره المتاحف، لكننا ذهبنا إلى متحف الصَدَف واستمتعنا فيه. بل إنني أمسكت لساني عندما جعلتنا، كالمعتاد، نتأخر جميعاً في تناول العشاء. لقد قررت أن أكون مسترخياً وسعيداً وهكذا مرت العطلة بأكملها. لقد أخذت عهداً على نفسي أن أظل متذكراً اختيار الحب. فعلى مثال يسوع في بستان جسثيماني، لم أكن أشعر دائماً بالرغبة في القيام بذلك، غير أنني فعلته لأنه كان صائباً. ومع ذلك، فقد كان هناك أمر واحد لم يسِر على ما يرام في تجربتي. لا زلنا أنا وزوجتي نضحك بشأنه حتى اليوم. ففي الليلة الأخيرة لنا بالكوخ، ونحن نستعد للنوم، تفرست فيَّ زوجتي وهي تحمل أكثر التعبيرات حزناً.

فسألتها، "ما الأمر؟"

"توم، هل تعرف شيئاً لا أعرفه؟"

"ماذا تعنين؟"

"ذلك الفحص الذي أجريته منذ بضعة أسابيع. ذلك الطبيب، هل أخبرك شيئاً عني؟ لقد كنت صالحاً معي للغاية. هل سأموت قريباً؟"

استلزم ذلك مني لحظة حتى أفهمه، ثم قلت، "لا يا حبيبتي، لن تموتي، بل أنا الذي بدأت أعيش للتو".

خاتمة

ها هو الاتفاق. يمكنك الحصول على ذلك. فالحب ليس شعوراً؛ إنه اختيار. حالما تتعلم أن تصنع الاختيارات الصائبة وتثق بالله، سوف تجد لديك مشاعر لم تكن تظنها ممكنة على الإطلاق. غير أن النموذج مختلف. هذا هو قصد الله للزواج وهو مختلف تماماً عن الوصفات والافتراضات التي تُقدم يوماً بعد يوم في الإعلام. وهكذا عندما تتسلل إليك المشاعر القوية، عندما ترى شخصاً مثيراً، عندما تتلاقى مع عيني شخص ويبدأ معامل ذكائك في التلاشي، كيف تعرف ما إذا كانت هذه هي العلاقة التي ينظمها الله وأنه قد أحدث هذه الكيمياء لكي يجذبك إلى هذا الشخص، أم أنها مجرد ذلك الافتتان القديم البسيط؟ تحتاج أن تكون قادراً على إجابة ذلك السؤال لو أردت أن تنفلت من الدورة الخبيثة لتعاقب العلاقات. سوف يكون ذلك هو موضوع فصلنا القادم.

التقييم الشخصي

١. كيف تصف في عبارة واحدة السمات المتفردة لكل نوع من الأنواع الثلاثة للحب التي تحدثنا عنها في هذا الفصل: الأيروس، والفيلو، والأغابي؟

٢. ما هو الدور الذي تلعبه كل سمة من هذه السمات في علاقتك الحالية (لو كنت متزوجاً) أو في توقعاتك للحياة الزوجية (لو كنت أعزب)؟

٣. لماذا يكون في غاية الأهمية معرفة الفرق بين الافتتان والحب عندما يتعلق الأمر بفهم بعض استجاباتك لأعضاء الجنس الآخر؟

٤. لماذا يعتبر "الوقوع في الحب" "من الأمور الخادعة" في هذا الفصل؟

٥. ما هي الخطوات المحددة التي تشعر أن الله يريدك أن تتخذها لكي تجعل حب الأغابي جزءاً ذا أهمية أكثر في علاقاتك؟



الفصل الخامس

كيف تعرف إن كنت تحب؟

"اثنا عشر اختباراً"



قبل أن "تقع في الحب"



هل تتذكر المرة الأولى التي حدث فيها ذلك؟ تلاقت عيناكما، ثم كررت النظرة مرة ثانية. شيء ما بداخلك أراد أن ينظر مرة ثالثة، تليها سريعاً نظرة رابعة طويلة الأمد. إنك لم ترغب في التحديق، لكن شيئاً جذبك بشكل لا إرادي إلى ذلك الشخص. وعندما قُدِّمت له أخيراً، كان كفَّاك متعرقين، وتمنيت ألاَّ يلاحظ أحد العرق المتزايد تحت إبطك. وبدأ قلبك يتسارع حينما اجتاحك شعور مبهج لكنه غير مألوف.

وفجأة شعرت بالخوف من أن تقول أي شيء لأنك علمت أنك لو فتحت فمك، سوف تتدفق منه ثرثرة غير مفهومة. كان هذا الاختبار مثيراً ومرعباً في نفس الوقت.

وحالما بدأ الشخص الآخر يتحدث، شَعَرت أنك مُجتَذَب مثل المغناطيس إلى سبيكة حديدية. لم تكن تعرفها أو تعرف من أين جاءت، لكن شيئاً ما في الطريقة التي بدت عليها والهالة التي أسقطتها أثار شعوراً غير قابل للتوضيح من الغبطة والإثارة. وأصبحت ابتسامتها أو بادرة صغيرة منها منقوشة فوراً في ذهنك. وعرفتَ أنك لن تنساها أبداً. وتساءلتَ لوقت كيف ستصف هذه اللحظة لصديقك. ثم أتت جملة إلى ذهنك، زوَّدتَك بها

ساعات غير معدودة من التعرض لنموذج هوليوود – "أعتقد أنني واقع في الحب".

فقد مَرَرْتَ بذلك. وأنا مَرَرتُ بذلك. لا شك أننا جميعاً نتفق على أن تلك اللحظات كانت مثيرة، خصوصاً لو أحسسنا باستجابة مماثلة من الشخص الآخر. لكن هل هذا هو الحب حقاً؟ كيف تعرف ما إذا كان ما وصفته للتو هو بداية أروع علاقة على الإطلاق سوف تختبرها على الأرض أم أنه مجرد خطوة من الافتتان؟ كيف تعرف إن كنت حقاً تحب أم أنك منجذب جسدياً ببساطة لشخص من الجنس الآخر؟ أريد أن أقدم لك في هذا الفصل اثني عشر اختباراً سوف يساعدونك على أن تفهم إذا كنت في حالة حب، أم أنك تختبر في الواقع ما يدعوه خبراء العلاقات افتتاناً.

لو كنت أعزب، ربما تكون عيناك أكثر اتساعاً وتتضاعف سرعة ذهنك. تخيَّل! اثنا عشر اختباراً شرعياً يمكن أن يساعدوك على تمييز ما إذا كنت حقاً في حالة حب أم لا. حسناً، إنها اختبارات جيدة جداً وهي تحقق بالفعل نتائج جيدة. غير أن هذا الفصل ليس فقط للعزَّاب الذين يواعدون أو للمخطوبين. لكنه يساعد أيضاً أي شخص غير متورط في علاقة ذات مغزى لكي يتعلم ما هو نوع الأشخاص الذي يجب أن يسعى إليه ومن يتجنبه.

لو كنت متزوجاً وأُغويت لكي تقول، "أنا متزوج منذ سبعة وعشرين عاماً فما الذي يعنيني إذن في ذلك"، من فضلك فكِّر مرة أخرى. فإن فشلنا في فهم الفرق بين الحب والافتتان يتجاوز تماماً العثور على الشخص المناسب. وما لم تفهم الفرق الجوهري بين الحب والافتتان، قد تؤهل نفسك للدمار في سنوات زواجك المستقبلية. لو كنت تعتقد أن ما سوف ندعوه افتتاناً هو الاختبار الحقيقي للحب، فربما تتمتع بعلاقة زوجية جيدة جداً لكنك تشعر أنك غير محبوب. ربما تسلبك توقعاتك المنحرفة علاقة عميقة، ودافئة، وغنية. علاوة على ذلك، لو كان الفرق بين الحب والافتتان غير واضح بالنسبة لك، فقد تجد نفسك تتورط في ارتباط بشكل غير مقصود مع شخص من الجنس الآخر ليس شريك حياتك، مستنتجاً بسذاجة أنك قد وجدت الآن "الحب الحقيقي".

هذا الفصل هو للعزَّاب، وللذين أصبحوا عزَّاباً مرة أخرى، وللمتزوجين أيضاً. لذلك لا تترك هذا الفصل. أعني ذلك جدياً. حتى لو كنت جداً، فإنك تحتاج إلى أن تقرأ هذا الفصل

لتقديم المشورة إلى أحفادك وحفيداتك عن كيفية التحلي بالحكمة في اختيار شريك الحياة الذي سيبنون معه علاقة دائمة.

اثنا عشر اختباراً للحب

إن كل اختبار من هذه الاختبارات قد صُمِّم لمساعدتك على التمييز والتفريق بين الحب والافتتان. بعد أن تقرأ محتوى كل منها، قم بتطبيقه في علاقتك الحالية، أو في توقعاتك لما يجب أن تتضمنه العلاقة العاطفية. اطرح على نفسك هذا السؤال: هل تنحاز علاقتي الحالية أو نظرتي للعلاقات أكثر إلى صف الحب أم الافتتان في هذه الناحية المعينة؟ إنني أشجعك في الواقع أن تأخذ قلماً وتكتب "ح" للحب و"ا" للافتتان إلى جانب كل اختبار من هذه الاختبارات. لو كانت علاقتك تنحاز بنسبة ٥١٪ إلى الحب بحسب مقياس الاختبار، اكتب "ح" في الهامش؛ ولو كانت ٥١٪ أو أكثر إلى جانب الافتتان، ضع "ا". هذا ليس اختباراً قد تفشل فيه. إنه أداة لكي تساعدك على التعلم والنمو في فهمك لأعظم دور لك في الحياة – وهو حب كائن آخر. لذلك دعونا نسارع، بدون مزيد من اللغط، ونجتاز تلك الاختبارات معاً.

١- اختبار الوقت

الحب يستفيد وينمو من خلال الوقت؛ أما الافتتان فهو ينحسر وينقص مع الوقت. قد يأتي الافتتان فجأة. فنجد أنفسنا نفكر، "بوم! أنا أحب". ذلك في الواقع افتتان. ينبغي على الأرجح أن نجتهد في تجنب الحديث عن "الوقوع في الحب". فباستطاعتنا أن نقع في الافتتان، باستطاعتنا أن نقع في الشهوة، لكننا ننمو بصدق جداً في الحب. فالحب يتطور من العلاقة والاهتمام وسمات الشخصية الجوهرية، وليس من الانطباع أو الإدراك الحسي الفوري لشخص آخر. يمكن للافتتان أن ينفجر في أي لحظة، غير أن الحب الحقيقي يأخذ وقتاً. فقد نصح أكثر من شخص حكيم بعدم الإفصاح عن الحب إلا بعد مرور فترة معقولة من الوقت.

هل أنت متعجل لعَنْوَنَة بعض المشاعر "بالحب"، أم أن لديك كلمات أخرى لوصف

المشاعر؟ هل تحتفظ بكلمة الحب لشيء أفضل من مجرد المشاعر؟ كم تحتاج من الوقت في اعتقادك قبل أن يُعرَّف الحب بوضوح؟ لو وجدت نفسك "واقعاً في الحب" في أغلب الأحيان وفي فترات مبكرة، ثم تجد نفسك محبطاً فيما بعد، فلربما ينقذك من وجع القلب في المستقبل أن تتذكر هذا الاختبار الأول للحب الحقيقي.

٢- اختبار المعرفة

الحب ينمو من تقييم كل السمات المعروفة للشخص الآخر. ربما ينشأ الافتتان من الإحاطة بواحدة فقط من هذه السمات المعروفة عن الشخص الآخر. هناك شيء ما في الطريقة التي يبدو بها ذلك الشخص أو الطريقة التي يشغل بها دوراً معيناً، قد يعطيك فكرة مشوهة جداً عن شخصيته الكاملة. بل إنك ربما حتى لا تعرف الآخر. فبصراحة، يمكن للمحةٍ أو لقاء مصادفة أن يمثلا نوعاً من الحافز يفجِّر الكيماويات.

إنني أندهش كيف أن الأزواج الذين يشرعون في التخطيط لحفلات عرسهم يُظهرون في كثير من الأحيان نقصاً في المعرفة الأساسية عن أحدهم الآخر. فعندما أسأل أحدهم أن يعطيني تعريفاً مفصلاً عن شريك حياته، سوف تظن في أغلب الأحيان أنه يقوم بتعريف شخص غريب. وبعدئذ أسأله أن يعطيني بضعة أمثلة عن السمات الشخصية التي بدأ يقدِّرها في الآخر، مع تقديم إيضاحات. ومرة أخرى أحصل على كليشيهات: "لديه حس رائع من الفكاهة" أو "إنها دائماً تحتويني" أو مجرد صمت محرج. وغالباً ما أقول، "أتدري، لقد توقفت عن سؤال الأزواج لماذا يتزوجون. لأنني أحصل دائماً على إجابة واحدة، أليس كذلك؟" فواصلت، "إن الإجابة المتوقعة هي، لأننا نحب". أليس كذلك؟ فأومأوا برؤوسهم بما يعني نعم – فقد كان ذلك هو ما نووا أن يقولوه. "والآن، لو كان كل الأزواج تقريباً يقولون ذلك، غير أن نصفهم على الأقل ينتهي بهم الأمر إلى الطلاق، فليس ذلك إذن سبباً مقنعاً جداً للزواج، أليس كذلك؟" نظروا بعضهم إلى بعض وهم يتساءلون إلى أين سيقودهم ذلك. فسألت، "فما هي الأسباب الجيدة التي تقدمونها لكي تشرحوا بها لماذا تتزوجون ما عدا القول لأننا نحب؟" إن معظم الأزواج، للأسف، نادراً ما يكون لديهم أهداف مشتركة، أو رؤية مشتركة، أو مقاصد مشتركة لما يتوقعون أن يتجهوا إليه معاً في زواجهم.

يعيش الافتتان في عالم زائف يكون فيه الشخص الذي نحبه مثالياً، ولا عيب فيه، ومكرَّساً تماماً لنا. الافتتان يسعد بمعرفة القليل جداً. أما الحب فإنه يتوق إلى المعرفة الجيدة. الحب يبتغي أن يدرس احتياجات، ورغبات، وأحلام، وآمال الآخر لأنه يريد أن يقوم بكل ما في وسعه لكي يجعلها واقعاً. الحب يهتم، ليس بما يمكنه الحصول عليه، بل بما يمكنه أن يعطيه. ينبغي أن يكون تطور العلاقة مثل الدرجة الجامعية حيث يصبح الآخر دراسة فاتنة ومتعددة الوجوه. وعندئذ يصبح الزواج مسعىً دائماً للدكتوراه في معرفة وفهم شريك حياتك.

إلى أي درجة تتوقع أن تعرف جيداً الشخص الذي ستتزوجه؟ أو إلى أي درجة تعرف جيداً شريك حياتك؟ هل تستطيع أن تصف الهدف الأساسي لحياة زوجتك أو زوجك؟ هل يمكنك أن تعدِّد ثلاثة أهداف يَوَد (أو تَوَد) أن ينجزها في السنوات الخمس التالية؟ ما هو الحدث أو المركز غير المعتاد الذي يرغب (أو ترغب) في أن يحتله في وقت ما بعمره؟ هل قررت كيف يمكنك أن تساعده (تساعدها) بأفضل طريقة على تحقيق ذلك الهدف أو الحلم؟ الافتتان يقرر سريعاً أنه يعرف كل ما يحتاج إلى معرفته. أما الحب الحقيقي فإنه يخلق مناخاً من الاهتمام بحيث ينفتح الآخر مثل الزهرة. كيف تُبلي إذن في اختبار المعرفة للحب؟

٣. اختبار الاهتمام

الحب الأصيل يتمركز حول الآخر. أما الافتتان فهو يتمركز حول نفسه. هل تعلم ما الذي يجذب كل اهتمام الأشخاص المُفتتنين؟ أنفسهم. راقبت ذات مرة شريكاً بغرفة السكن الجامعي وهو يكتشف قوة الافتتان للمرة الأولى. لقد كان اليونانيون على حق – فقد اختل عقله قليلاً. عندما بدأ الأمر، فَرِحتُ له لأنه كان خجولاً ولم تكن لديه علاقات كثيرة. كان الأمر مدهشاً عندما سمعته يقول، "آه يا تشيب، إنها مذهلة. لم أختبر الحب بشكل مماثل من قبل".

وعند المرة العاشرة التي كرر فيها تلك العبارة، سألته، "ما هو اسمها إذن؟ هل أعرفها؟"

فابتسم بشكل خجول، "آه، في الواقع لم أتقابل معها بعد. ولا زلت أبحث عن

الشجاعة لاكتشاف اسمها".

فسألته، "حسناً، وكيف تعرف أنك تحبها؟"

أجاب، "عندما تعبر أمامي في الحرم الجامعي، لن تصدق المشاعر التي تنتابني لمجرد مشاهدتها".

لن أزعجكم بالتفاصيل، لكن هذا الأمر استمر لعدة أيام. وقد تَدبّر أمره في النهاية لكي يتعرَّف عليها؛ وعندئذ اتخَذَتْ محادثاتنا اتجاهاً جديداً من الإلحاح. فقد كان يقف، دون أن ينتهي من ارتداء ملابسه، في غرفتنا بالمسكن، وهو يطرح أسئلة متحيرة بعض الشيء: "تشيب، أيهما يبدو أفضل في اعتقادك، هذا القميص أم ذاك؟ ماذا عن هذا الحذاء؟ لدي أحذية كرة السلة – يمكنني أن أرتديها. فربما أراها اليوم". كنا كل مرة نتحدث عن الكيفية التي سيبدو عليها، والكيفية التي سيتصرف بها، أو ما هو الانطباع الذي سيتركه. أعترف أنه كانت لديَّ بضعة اختلالات وظيفية علاقاتية خاصة بي، لكن كان باستطاعتي أن أرى (فإن الافتتان يكون دائماً تقريباً أكثر وضوحاً في حياة شخص آخر) أنه كان يعاني من نوع ما من الحمى أو الفيروسات. ماذا كان اهتمامه؟ نفسه. ذلك ليس حباً؛ إنه تبادلات كيماوية بالمخ. إنه الافتتان.

إلى أي درجة تجد اهتمامك مُركَّزاً في أهم علاقاتك على ما تحصل عليه من الآخر؟ وإلى أي درجة تجد اهتمامك مركزاً على تسديد احتياجاته؟ هل تفكر كيف ستبدو وتشعر في العلاقة، أم فيما يمكنك أن تفعله لكي تجعل ذلك الشخص يبدو ويشعر بشكل رائع؟

٤- اختبار التفرد

الحب الأصيل يتركز على شخص واحد فقط. أما الشخص المُفتتن فربما يكون "في حالة حب" مع شخصين أو أكثر في وقت واحد. إن أفضل القصص لديّ عن الأشياء السخيفة التي يفعلها الأشخاص عندما يكونون في حالة افتتان تظهرني للأسف وكأنني الشخصية الأساسية فيها.

ففي أثناء عامي الأول بعد الجامعة، كنت أواعد فتاة كانت تدرس في جامعة أخرى. كان معظم ما بيننا افتتاناً. لم أكن أعرفها جيداً، لكننا كنا نقيم علاقة صغيرة. فإننا لم نكن حتى نتواعد بشكل جدي، لكنني كنت قد بدأت في الاعتقاد أنها ربما تكون "الشخص المناسب" بسبب تلك المشاعر التي كنت أحس بها.

في هذه الأثناء، انتهى بي المطاف إلى فريق كرة سلة مسيحي كان يسافر في جميع أنحاء أمريكا الجنوبية. عند محطتنا الأولى في بورتو ريكو لعبنا مع فريق جيد في ملعب كبير. وبعد المباراة تقابلت مع فتاة لطيفة جداً كانت مُرسَلَة هناك، وانتهى بنا الأمر إلى الذهاب في نزهة رومانسية جداً معاً. لا زلت أتذكر لون ثوبها. كما أتذكر أنني كنت أُكِنُ مشاعر لها. فقد وجدت نفسي منجذباً إليها. وقد أصابتني استجابتي بالدهشة لأن مشاعري كانت مشابهة لتلك التي أحسستها نحو "فتاتي بالوطن".

ثم سافرنا إلى بيرو حيث كان مضيفنا مرسلاً لديه ابنة تصغرني بعام أو اثنين. كانت لطيفة لدرجة أنك ترغب في النظر إليها مرتين. فوقعت في حبها على الفور. وفجأة لم أتمكن من تَذكُّر كيف كانت تبدو "فتاتي بالوطن".

وعندما وصلنا إلى سانتياجو بشيلي، استُقبلنا على عشاء فاخر. لست أتذكر الطعام، لكنني أتذكر الفتاة التي جلست أمامي بعيونها البنية الداكنة، وشعرها الأسود الجميل والطويل، وابتسامتها المتألقة. فقد عوَّضتني ضحكتها عن حقيقة أنني لم أتمكن من فهم أي شيء مما قالته بالأسبانية. وقد اخترعت ترجمتي الخاصة، فَثَبتَ في النهاية أن كل ما قالته لي كان إطراءاً إلى حد كبير لمهاراتي ومظهري. ورغم أنها لم ترَ ذلك، إلا أنني سلّمتها قلبي عَبْرَ المائدة عند منتصف الوجبة تقريباً.

زرنا خمسة بلاد في بضعة أسابيع وانتهى بي الأمر إلى الوقوع في حب خمس فتيات مختلفات بالإضافة إلى الفتاة التي تركتها في الوطن. هل تعلمون ما الذي تعلمته؟ لقد تعلمت أن ما شعرت به لم يكن له أية علاقة عملياً بالحب. لقد كان الأمر كله يتعلق بالمواد الكيماوية. كان بإمكاني أن أنجذب إلى العديد من الأشخاص المختلفين، لكن لم يكن ذلك حباً. لقد كان زِرّ الافتتان لديَّ مثبتاً في وضع "العمل" دائماً.

لكن خشية أن تظنوا أن الافتتان هو مجرد لعبة عاطفية غير مؤذية يؤديها الصغار، فكّروا في تأثير الافتتان أثناء أحد تلك المواسم في الزواج عندما تصبح الحياة قاسية أو مملة وتزداد برودة الحب الزواجي قليلاً. فإن الظروف، والتغيرات، والأخطاء تتراكم لكي تجعل العلاقات مشروعاً من العمل المتواصل. وعندما يصبح الاستمرار في الزواج صعباً، غالباً ما يبدو أن كفة الألم تُرجّح على كفة المكافآت. فإنك تستقبل طفلك الأول. ثم تستقبل طفلاً آخر وهكذا يصبح لديك طفلان صغيران. ثم تجد لديك رئيساً يضايقك حقاً في العمل. أو يبلغ أطفالك فجأة سنوات المراهقة وتضطلع الحياة بمجموعة جديدة من الضغوط. فتشعر وكأنك تستهلك كل طاقتك في التعامل مع طفل متمرد. كما أن المآزق المادية والمكاسب المفاجئة تظهر في أوقات متعددة على طول الطريق، وكل منها يحمل مجموعته الخاصة من التعقيدات. وفيما بعد، عندما تبلغ مرحلة العش الفارغ، تكتشف أنك لم ترعَ وتُشعل حقاً فحم علاقتك. يمكن للنواحي العاطفية للعلاقة أن تبدو ضعيفة وفارغة أثناء أي موسم من هذه المواسم المتوقعة في الزواج.

إن الشركاء الملتزمين بعمق، المسيحيين الذين يحبون بعضهم بعضاً ليسوا محصَّنين ضد مثل هذه الأوقات. حتى الذين يحظون بزواج رائع يمكن ضبطهم في حالة عدم تيقظ لوقت صعب بشكل غير متوقع. إن معرفة كيف يمكن للزواج أن يكون صالحاً وذا معنى يجعل من الصعب علينا أن نتعامل مع الأوقات التي لا يكون فيها هكذا. أحد الأعراض الجانبية للأوقات المُجهِدة في الزواج هو القابلية للتعرض للإفتتان. فإنك لا تكون عُرضة لأنك شخص سيء؛ لكنك تكون عُرضة لأنك ضعيف. فعندما تكون المشاعر قد جَفّت بشكل مؤقت من جانب، من الصعب ألا تنتبه إلى المشاعر التي تأتي من جانب آخر. وهكذا يمكن للسيناريو التالي أن يبدأ في أي لحظة تقريباً.

تذهب امرأة إلى دراسة كتابية وفي طريق رجوعها إلى المنزل تلقي نظرة فترى رجلاً في سيارة أخرى. ويُصادف أن يتوقفا عند نفس المقهى. فيفتح لها الباب بشكل أنيق ويقول، "أظن أن العقول العظيمة تفكر بنفس الطريقة. كان لابد لي أن أتناول قهوتي". فتتلاقى أعينهما. وتبتسم هي كرد فعل للمجاملة والإطراء. ليست قضية، لكن طيبته واستجابتها يشيران إلى أن هناك كيمياء. وفي الأسبوع التالي تكتشف أن مكتبه يقع

في نفس المبنى الذي تعمل به لأنهما يلاحظان بعضهما في طريقهما إلى سيارتيهما. فيبتسم ويقول شيئاً يشبه، "هل أعرفك من مكان ما؟ ألم نجلس معاً في المقهى؟" وتتلاقى أعينهما مرة أخرى. يبدو التعليق بريئاً، لكنه يحمل وعداً بشيء جميل بالنسبة لشخص في إطار ذهني معين، يمر بفراغ عاطفي. والآن، فإن تلك المرأة هي مسيحية مؤمنة حكيمة تعرف المسيح بشكل عميق. وهي تفكر بداخلها أنها لن تفعل شيئاً على الإطلاق يعرِّض زواجها للخطر أو يجلب العار للرب. لكن يمكنكم أن تروا أيضاً جاذبية الافتتان. إنها ضعيفة، ووحيدة، وتشعر بعدم التقدير في المنزل. وقد شعرت بالإطراء بسبب الاهتمام. وفي مواجهة إمكانية رجوعها إلى المنزل، إلى البرودة المألوفة في المنزل، فإن إغراء دفء المقهى غير المألوف وهذا الغريب اللطيف يبدو مثيراً للاهتمام. وحيث أنها مقتنعة أن ذلك لن يؤدِ إلى شيء أكثر من صداقة عادية، هنا تبدأ الخطوة الأولى. إن ما يحدث طبيعي تماماً، مما يجعل المُضيّ فيه بغير قصد أمراً خطيراً على وجه الخصوص.

هناك خطر مماثل ينتظر الرجل الذي يقع تحت ضغط هائل بالعمل. فإنه ربما يمر بفترة من التغييرات المحيرة. فإن تأمين العمل، والنفقات المتزايدة، ونمو الأطفال وازدياد احتياجاتهم الذي يبدو أنه يستنفذ طاقة زوجته، والزواج الذي تعرَّض للفتور يساهمون جميعاً في جعله عُرضة. فهو لا يستطيع أن يتذكر آخر مرة مارس الجنس فيها مع زوجته. وهو يشعر بالإحباط لكنه لا يعرف كيف يتحدث عن ذلك. فقد دَفَنَ الجرح واليأس في أعماقه. وظل يسكب نفسه في عمله، ويحاول أن يكون أباً صالحاً، ويجد راحة مؤقتة في دورة جولف عرضية ولعب كرة القدم مساء يوم الاثنين. ثم يلاحظ شخصاً في العمل يبدو أنه يستمع إليه حقاً. وهي تجد طرقاً لكي تساعده وتشجعه. فتمدح مجهوداته، ومهاراته، وكيف يبدو أنيقاً في ذلك القميص. فيبدأ في التطلع إلى قضاء أيامه في المكتب معها. ويتساءل ما إذا كان لائقاً، كمجرد طريقة يشكرها بها، أن يقترح دعوتها على الغذاء معه في وقت ما. لن يتأذى أحد من ذلك. فهو مؤمن منذ سبعة عشر عاماً، ويخدم في الكنيسة، ولديه ثلاثة أطفال. ولن يدع هذه الصداقة تتجاوز حدودها.. وهنا تبدأ الخطوة الأولى .

إن الأغلبية العظمى من العلاقات الغرامية نادراً ما تحدث فقط على أساس الانجذاب

الجسدي. فهي عادةً ما تبدأ بكيمياء بسيطة أثناء فترة من الضعف. غير أن العائلات تنهار لأن الأشخاص الصالحين، والأتقياء جداً لم يتعلموا ببساطة ماذا يفعلون في مواقف يشعرون فيها فجأة أنه من الجيد جداً أن يُخرجوا بعض ذلك الأيروس. إنهم يخلطون بين الحب والافتتان ويأخذون قرارات حمقاء. وتلك الاختيارات البريئة والمرحة ظاهرياً ينتهي بها الأمر إلى تدمير الأطفال، وهدم شيء جيد كان يحتاج لمجرد بعض الانتباه، ومواصلة ما يثبت في النهاية أنه سلسلة مؤلمة من الإحباطات المخزية. كم من المرات يحدث ذلك؟ انظر فحسب إلى عدد العائلات المحطمة التي تعرفها شخصياً.

إن دورة حياة الافتتان تدوم ما بين ستة أسابيع إلى ثمانية عشر شهراً. وبعد ذلك تختفي كل تلك المشاعر الرائعة المنقطعة الأنفاس وتجد نفسك منحصراً مع شخص آخر لديه نفس الاحتياجات التي لديك. وذلك الشخص يعرف أنه لا يمكن الوثوق بك لأنك هجرت شريك حياتك الأخير. كما أنك تعرف أنه ليس باستطاعتك حقاً الوثوق به، لأنك، في أعماقك، تخاف من اختبار نوع الخيانة الذي وجهّته إلى شخص آخر. وهكذا فإن ما يتبقى هو شخصان غير سعيدين يصارعان مع نقاط ضعف بالشخصية. لو لم تكن تعرف الفرق بين الافتتان والحب، سوف تدمر حياة الآخرين وحياتك.

ما هي الدرجة التي وضعتها لنفسك في اختبار التفرد؟ بأية طرق أدركت أنه من الأسهل جداً أن تعمل على حل المشاكل في علاقة قائمة حيث يتم الإبقاء على التفرد والوفاء بدلاً من إحداث مجموعة جديدة كاملة من المشاكل مع شخص آخر؟

٥- اختبار الإحساس بالأمان

الحب الأصيل يفتِرض ويُنشئ إحساساً بالأمان ومشاعر الثقة. يبدو أن الشخص المفتتن لديه إحساس أعمى بالأمان يستند على التوقع الحالِم بدلاً من التعامل الحذر؛ فالافتتان فاقد البصر فيما يختص بالمشاكل. أو قد يكون لديه إحساس بعدم الأمان يظهر أحياناً على شكل غيرة. فإن الإحساس بالأمان ينمو وينبُع من الوعي العميق بشخصية الشخص الآخر، وقِيَمه، وسيرته. فإنك تعرف من يكون حقاً. وعندما تعرف من يكون حقاً، فإنك تثق

به. لن تشعر بالغيرة لأنك تعرف أن قلبه ملكك. فغالباً ما تكون الغيرة علامة على نقص الثقة، كما أن نقص الثقة علامة على الافتتان في الحياة الواقعية.

ما هو الدور الذي تلعبه الغيرة في علاقتك؟ كيف تصف مستوى الأمان الذي تختبره في علاقتك؟ كيف تؤثر المشاكل على مستوى الأمان الذي تختبره في علاقتك؟ الحب الأصيل يأخذ في اعتباره كل ما هو مُتضمن في العلاقة مع الآخر، وليس مجرد المشاعر اللحظية أو المشاكل المؤقتة.

٦- اختبار العمل

الشخص الذي يحب يعمل من أجل الآخر، من أجل منفعته المتبادلة. الشخص المفتتن، في المقابل، يفقد طموحه، وشهيته، واهتماماته في شئون الحياة اليومية. المرأة التي تحب قد تدرس حتى تجعل زوجها فخوراً بها. الرجل الذي يحب قد تُثار طموحاته عند التخطيط والادخار معاً للمستقبل. الشركاء في الحب الأصيل قد يستغرقون في أحلام اليقظة حول إمكانية علاقتهم، لكن أحلام يقظتهم يسهل إنجازها. أما الأشخاص المفتتنون فإنهم لا يفكرون سوى في تعاستهم الخاصة. وفي كثير من الأحيان يستغرقون في أحلام يقظة عن أهداف ومثاليات غير واقعية لن يتمكنوا هم ولا شركاؤهم من تحقيقها واقعياً. وفي بعض الأحيان تصبح الأحلام بدائل للواقع وهكذا يعيش كل فرد في عالم من صنع خياله.

هل تقابلت أبداً مع شخص قد بلغ منه الافتتان حده؟ كان معتاداً أن يذهب إلى العمل في موعده وكان معروفاً بإخلاصه. كان يُعتبر ذلك النوع من الأشخاص الذي لديه برنامج منتظم ويُبدي سلوكاً موثوقاً. ولو قطع عهداً، فلابد يلتزم به. لكنه أُصيب فيما بعد "بجرثومة الحب" فتغير كل شيء. بدأ يعيش فجأة في حالة من الفوضى. ذلك ليس حباً؛ إنه تلف بالمخ. إنه الافتتان.

عندما تحب شخصاً ما، يكون لديك تقييم دقيق للعلاقة كما أنك تجتهد فيها. لو كنت في علاقة ما غير أن الشخص الآخر مكمّد طوال الوقت حتى أنه لا يستطيع إنجاز أي

شيء، توقع أن هذا افتتاناً. لو كنت تعرف أنك تحتاج إلى إدخار بعض المال وكنت تعمل على حل المشكلة، لكنه لا يبالي، فهناك خطر أنك قد لا تكون متورطاً في حب أصيل. الافتتان يأتي على حساب العلاقة؛ لكن الحب يبني العلاقة.

عندما يتعلق الأمر بالعمل على إنجاح علاقتك والعمل من أجل شريكك، ما هي الدرجة ("حب" أو "افتتان") التي تحصل عليها علاقتك؟

٧- اختبار حل المشاكل

الشخصان اللذان في حالة الحب يواجهان المشاكل بصراحة ويحاولان حلها. أما الأشخاص المفتتنون فإنهم يميلون إلى التغاضي عن المشاكل أو محاولة تجاهلها. لو كانت هناك موانع للزواج أمام شخصين يحبان بعضهما، فإنه يتم التعامل مع هذه الموانع وإزالتها. أما الموانع التي لا يمكن أن تُزال فمن الممكن التعامل معها من خلال المعرفة. فإنهما لا يتجهان إلى الزواج بشكل أعمى. لكنهما يتعاملان مع المشاكل بقرارات واضحة ومشتركة. على الجانب الآخر، قد يندهش الأهل والأصدقاء من غباوة وعمى الأشخاص المفتتنين.

حوالي أربع أو خمس مرات في السنة يأتي إليّ نوع من المقدمين على الزواج يمكنني أن أكتشفهم الآن تقريباً قبل أن يتحدثوا معي. فإنهما يجيئان مُظِهرين ما أدعوه "التودد الأحمق". وهم عادةً ما يمسكان الأيدي ويتعثران في المقاعد لأنهما لا يستطيعان التوقف عن النظر في أعين بعضهما بشوق. "فيقولان، "نحن في حالة حب". ثم يحدث انحدار سريع من هنا. "لقد تقابلنا أمس (أو الأسبوع الماضي، أو منذ أسبوعين). وقد أظهر اللّه لنا أنه من المُقدَّر لنا أن نكون معاً. فهل يمكنك أن تزوِّجنا؟"

فأسألهما، "متى؟"، في محاولة مني للسعي نحو بعض الواقعية في هذه المحادثة.

فيجيبان، "غداً، هذا الأسبوع – في أقرب وقت ممكن".

فأسأل، "لماذا إذن؟ كيف حدث ذلك بالضبط؟"

فتتنهد قائلة، "أوقعت محفظتي وهو التقطها وتلاقت أعيننا. ثم اكتشفت أن

اسم عائلته يبدأ بحرف السين، وقد كنت أصلي من أجل شخص يبدأ اسم عائلته بحرف السين، وهكذا نحن نعلم أن الأمر قد خرج من الله".

وقبل أن أتمكن من التعبير عن دهشتي، تواصل الثرثرة، "إن المدهش حقاً هو أنه على الرغم من أنه يكبرني بثمانية وثلاثين عاماً ولست على يقين ما إذا كان مؤمنا أم لا، فإن الله قد أوضح لي جداً أنه هو الشخص المناسب. ليست لدينا رؤية مشتركة، لكننا سوف نكتشفها فيما بعد. لست أعرف شيئاً عن عائلته غير أنه قد تزوج سبع عشرة مرة من قبل. سوف تكون عائلتنا مختلطة لأني لديّ أحد عشر طفلاً وهو لديه سبعة، لكننا نحب بعضنا بعضاً. وسوف ينجح الأمر".

من الواضح أنني أبالغ، لكن الأمر يتبدى للعيان على هذا النحو تقريباً. ما هذا؟ إنه افتتان ممتزج مع إنكار كلاسيكي – مع إضافة لذعة من الجنون. مثل تلك العلاقة لا تستند على التواصل، أو المعرفة الأصيلة، أو الجغرافيا، أو القيم الجوهرية، أو الالتزام، أو الرؤية الروحية. في الواقع هناك افتقار أو تجاهل لهذه المكونات الضرورية تماماً تقريباً. أنتما تقولان أنكما تحبان أحدكما الآخر لذلك سينجح الأمر، لكن انتظرا حتى تستيقظا وتدركا أن كل ما تمتلكانه هو مجرد افتتان. فالحب الأصيل، على عكس العُرف السائد، ليس أعمى. إنه يرى بمنتهى الوضوح. أما الافتتان، على الجانب الآخر، فهو يعيش تماماً تقريباً في الظلام.

إلى أي مدى تجدان نفسيكما، أنت وشريكك، جيدين في رؤية المشاكل والعمل على حلها؟ هل تجد أنك تتكتم على قضايا صعبة في علاقتك أم أنك تواجهها مباشرةً؟ ما هي العوائق والموانع التي تشعر أنت وشريكك بالرغبة في مواجهتها والتغلب عليها في علاقتكما؟

٨- اختبار المسافة

الحب يعرف أهمية المسافة. الافتتان يتخيل أن يكون الحب اقتراباً قوياً، طوال الوقت. في أغلب الأحيان أنصح الذين يتواعدون أن يذهبوا إلى رحلة إرسالية قصيرة الأمد أو يباشروا مشروعاً يتطلب منهم أن يعملوا بمفردهم. لو اقتضت ظروفك أن تكون منفصلاً بشكل

مؤقت عن الشخص الذي تحبه، فإن ذلك سيساعدك على اختبار نوعية علاقتكما. فلو كانت علاقتكما منذ زمن طويل وكنتما تتصلان ببعضكما أربع أو خمس مرات يومياً أو أنكما تريان بعضكما كل يوم فإن ذلك لا يعني قوة ومتانة حبكما بل يعني أنكما تحاولان أن تبقيا المواد الكيماوية حية. لو لم يكن هناك حس من الانفصال، والحياة المتميزة، وعلاقات مع الآخرين، والتوازن الصحي، عندئذ تكون هذه العلاقة على الأرجح أقرب إلى الافتتان منها إلى الحب.

أحد أفضل الأشياء التي حدثت أثناء وقت توددي إلى تريزا هو رحلة قمت بها إلى الفلبين لمدة ستة أسابيع. فقد شاركت في جولة أخرى لكرة السلة. وكنا كل يوم نلعب مباراة في الصباح وأخرى في المساء. وكنا ننتقل من مباراة إلى أخرى تحيط بنا عن قرب في الطريق حقول الأرز والجبال البركانية. وكانت الأماكن التي توقفنا عندها في الغالب أكثر قليلاً من مجرد عدة مباني من الأسمنت موجودة في وسط قرية من الأكواخ المسقوفة. كنت أقضي ساعة يومياً في كل مساء مع الله وأطلب منه حقاً أن يقودني ويعلمني كلمته. كما طلبت من الله أن يساعدني على كبح تلك الأشياء فيَّ التي كانت تحتاج إلى أن تُكبح ومساعدتي على إطلاق تلك الأشياء التي كانت تحتاج إلى أن تُطلق. وأخبرت الله أنني كنت أريد أن أصبح الشخص المناسب لتريزا. فقد ازداد حبي في أثناء هذه الأسابيع الست التي قضيتها بعيداً عن زوجتي المستقبلية أكثر من الوقت الذي كنت أتناول فيه القهوة معها أو أتواجد معها طوال الوقت. وحيث أن الحب الأصيل لا يستند على المشاعر فقط، فإن بُعد المسافة سوف يسمح لك في الغالب أن تعرف ماذا يوجد في قلبك حقاً.

كيف يتعامل حبك مع المسافة؟ هل تميل إلى أن تصبح قلقاً ومحبطاً عندما لا تتمكنا من أن تكونا معاً طوال الوقت؟ ما الذي علّمَتك إياه المسافة عن حبك؟

٩- اختبار الانجذاب الجسدي

الانجذاب الجسدي هو جزء صغير نسبياً من الحب الأصيل، غير أنه يُعتبر مركز الاهتمام في الافتتان. والآن لاتقرأوا "جزء صغير" على أنها تعني "ليس جزءاً" فيما ذكرته تواً. فلو

لم تكن دقات قلبك تتسارع من حين إلى آخر ولا تشعر بالانجذاب الحقيقي لشريك حياتك أو الشخص الذي تنوي الزواج منه، فإنني أدعو ذلك مشكلة. دعونا لا نتحدث عن الحب الأصيل إلى حد إنكار الواقع وكلمة الله. إن الانجذاب الجنسي يحتل جزءاً في الحب بالتأكيد.

وكما قلت من قبل، فإن ثقافتنا تسلّط منظاراً معظّماً على الانجذاب الجسدي وتجعله هو الهدف الأساسي للحب. تخبرنا ثقافتنا أن نسلك أقصر وأسرع طريق للإشباع الجنسي باعتباره أفضل طريقة لإيجاد الحب. لكن ذلك الطريق هو انعطاف مدمر. عند إهمال المكوِّنَين الأساسين الآخرين للحب المانح وحب الصداقة، فإننا نفتقد الكثير من الغنى والمظاهر المساندة للانجذاب الجسدي. الحب الأصيل يستلزم أنواع الحب الثلاث جميعها، لكن الانجذاب الجسدي يأخذ دوراً أصغر نسبياً عندما يكون الزوجان في طور بناء علاقة صحية. ومع ذلك، فإن الافتتان يجعل الانجذاب الجسدي هو قمة اختبار الحب نفسه.

وقد لاحظت، في المقابل، سمة هامة بشأن الأزواج الذين ينعمون بالحب الأصيل. فبالنسبة لهم، يميل أي تلامس جسدي بينهم إلى أن يكون له معنى وأيضاً متعة خاصة. فغالباً ما ينقل الأزواج الكثير جداً من خلال النظرات التي تعبر عما يشعرون به نحو بعضهم بعضاً. أما في الافتتان، فإن التلامس الجسدي المباشر والمتواصل يميل إلى أن يكون غاية في حد ذاته. فإن قضاء الوقت معاً يفترض الخبرات الممتعة فقط. يميل الافتتان إلى أن ينتج علاقة تحاول العيش على العامل العاطفي لاندفاع السكر المستمر.

لقد تعرضنا لغسيل مخ بشكل فعّال يجعلنا نعتقد أن الانجذاب هو الاختبار الأكثر تأكيداً لما إذا كنا نحب أم لا. في الواقع، عندما ننجذب إلى شخص ما، فإن ذلك لا يعني أننا نحبه على الإطلاق. إنه يعني ببساطة أن الشخص الذي انجذبنا إليه جميل المنظر. هناك استجابة كيميائية وشيء بداخلنا يقول، **"واو!"** وقد ثبت بالفعل أننا لو وجدنا أربعة أو خمسة أشخاص آخرين منظرهم جميل حقاً في أوقات مختلفة بنفس اليوم، سوف نسمع نفس ذلك الصوت الداخلي يقول **"واو!"** لهم أيضاً. ليس هذا حباً. إننا نتدرب فحسب على قدرتنا التي لا يمكن التنبؤ بها على الافتتان. وبدلاً من إدراك هذه المشاعر على حقيقتها، يختار الناس أن يتورطوا جسدياً مع أشخاص هم غرباء فعلياً عنهم. إن اللحظة التي

تصبح فيها متورطاً جسدياً وعاطفياً، سوف تجد أن قدرتك على التفكير بوضوح وموضوعية تتبخر. وهذا يتسبب في علاقات مضطربة جداً.

في مقابل هذا النمط، فإن الأشخاص الذين ينعمون بالحب الأصيل لا يحاولون أن يحصلوا على إشباعهم الشهواني. بل إن كلماتهم وأفعالهم تخبر الآخر، "إن في ذهني ما يحقق لك أفضل المصلحة". فإن المكونات الجسدية تدخل علاقة ما عندما يمكنهم التواصل بشكل واضح. ذلك يعني مثلاً أن المرأة تبدأ في إمساك الأيدي بالعلاقة لإبلاغ أن هناك ثقة تنمو. إنه الإتيان بالعلاقة إلى مستوى أعمق من مجرد الصداقة. عندما تقبِّل أحداً، يوجد هناك معنى وراء الفعل الجسدي. لا ينبغي أن تكون الأسئلة، "متى يجب أن يبدأ التقبيل: في اللقاء الأول أم الثاني، التاسع أم العاشر؟" أو "إلى أي مدى يمكنني أن أذهب؟" أو "متى يمكنني أن أحصل على تسديد احتياجاتي الأنانية وأحصل على خبرة ممتعة تبهجني حقاً؟" تلك نظرة محدودة جداً وهي ليست حباً. فالسؤال الحقيقي هو، "ونحن نأخذ كل خطوة في سلسلة الارتباط الجسدي، ما الذي نكتشفه وننقله عن أنفسنا وعن التزامنا المتبادل لله ولبعضنا بعضاً؟"

ما نراه في يومنا هو العكس تماماً. فإن الناس يرتبطون جسدياً حتى قبل أن يعرفوا بعضهم بعضاً وبعد ذلك يحاولون أن يتعاملوا مع كل الصراعات التي يتم تجاهلها على طول الطريق. فتكون النتائج كارثة. ويُصاب الناس بالجروح. وتتفكك العلاقات. ويتعلم الناس ألا يثقوا – رغم أن ذلك هو الأساس عينه الذي يحتاجه الحب لكي ينمو.

وأخيراً سوف نتحدث في هذا الكتاب عن الفرق بين الجنس والحب. فإننا نميل إلى الاعتقاد بأن الجنس والحب يساويان نفس الشيء. وهذا خطأ! فالجنس رائع، والحب رائع. وهما ليسا نفس الشيء. كل منهما لديه مركزه في العلاقة.

كم هو عدد السمات الإيجابية والأشياء المبهجة في علاقتك التي يمكنك أن تعدِّدها والتي ليس لها علاقة بالانجذاب أو القرب الجسدي؟ بعيداً عن الانجذاب الجسدي، كيف يزعم شريك حياتك أنه يعرف أنك تحبه؟

١٠- اختبار العاطفة

في الحب يتم التعبير عن العاطفة في وقت لاحق من العلاقة، بما يتضمنه ذلك من التعبير الخارجي عن الانجذاب الجسدي الذي وصفناه للتو. في الافتتان يتم التعبير عن العاطفة في وقت سابق، وأحياناً في البداية. فالعاطفة تميل إلى أن تدفعنا نحو مزيد ومزيد من الحميمية الجسدية. وبدون سيطرة السمات الأخرى للحب الأصيل، تستهلك العاطفة نفسها سريعاً. فإنها توحي بأنها تجعل العلاقة "قريبة"، غير أن هذا القرب مصطنع وهش. لكن عندما تنبع العاطفة من فهم عميق وصداقة نامية، فإنها تكتسب معنى وقيمة. حيث أن شريك حياتك يختبر بكل الإمكانيات أنه محبوب بطريقة مختلفة عنك، إلى أي مدى تستخدم أنت وشريك حياتك العاطفة كطريقة تظهران بها أحدكما للآخر أنكما تفهمان احتياجات الآخر؟ كيف تتوازن في علاقتك العاطفية بواسطة حب الصداقة والحب المانح؟

١١- اختبار الاستقرار

الحب يميل إلى التحمل، غير أن الافتتان قد يتغير بشكل مفاجئ وغير متوقع. ففي الافتتان، تهب الريح هنا فتقع في الحب. وتهب الريح هناك فتقع في الحب. ليس الأمر كذلك مع الحب الحقيقي. فالحب الحقيقي ثابت. هناك التزام. سوف أتحدث أكثر عن هذا الموضوع فيما بعد. أما الآن، فإن اختبار الاستقرار يمكن بالكاد أن يُطبق في علاقة تُقاس بالأيام أو الأسابيع. كيف إذن تختبر الاستقرار؟ يقترح المجتمع أن نختبره عن طريق العيش معاً. ولأسباب سوف نفحصها فيما بعد، فإن العيش معاً قبل الزواج يشجع فعلياً عدم الاستقرار بدلاً من الاستقرار.

إن أفضل طريقة لاختبار الاستقرار في علاقة جديدة تأتي من خلال معرفة ذلك الشخص في سياق علاقاته الأخرى. كيف يبدو في علاقته مع أهله، وأصدقائه، وأشقائه؟

بصراحة، إن الشخص الذي تزوج أكثر من مرة ينبغي أن يتوقع أنه سيُختَبَر بشكل هادئ وجدي عندما يتعلق الأمر بمسألة الاستقرار.

ربما يكون أحد أفضل الأسئلة التي تُطرح عندما تفكر في اختبار الاستقرار في علاقتك هو هذا: كيف سأبرهن لشريكي أنني طوَّرت سمة الاستقرار في علاقاتي؟ ما هي سيرتك في العلاقات؟ ما هي سيرة شريكك؟ هل يوجد نمط يرفع إشارات الثقة أم إشارات التحذير؟

١٢- اختبار الإرضاء المتأخر

الاثنان اللذان يتمتعان بالحب الأصيل ليسا حياديين بالنسبة لتوقيت زفافهما، لكنهما لا يشعران باندفاع لا يُقاوم نحوه. أما الاثنان الواقعان في الافتتان فإنهما يميلان إلى الشعور برغبة ملِّحة في الزواج – فوراً. لذلك فإن التأجيل بالنسبة للمفتتنين لا يُحتمل. لماذا؟ لماذا لا ينتظر الاثنان ويفعلان الأمر في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة؟ لماذا لا يريد الاثنان أن يتعاملا مع القضايا الحقيقية حتى يتمكنا من الحصول على زواج قوي؟ هذه الأسئلة تكشف الفرق بين الحب والافتتان.

هناك أربعة أشخاص في الكتاب المقدس يقدمون لنا مقارنة حادة لهذين الموقفين: أمنون وثامار (اللذان تُروى قصتهما في صموئيل الثاني الإصحاح الثالث عشر) ويعقوب وراحيل (اللذان تجد قصتهما في تكوين ٢٩: ١-٢٠)

يمثل أمنون الرجل الذي لا يَطِيق الانتظار. فقد كانت لديه حالة من الافتتان الشديد؛ وكان مهووساً بثامار. وعندما أخذ بالعنف ما كان يظن أنه يريده، تلاشى "حبه" مثل الدخان. لم يَطِق الانتظار، وقد نتج عن ذلك الدمار في حياته الشخصية وأيضاً في حياة ثامار.

أما يعقوب، فقد انجذب لراحيل على الفور تقريباً. إلا أنه كان عليه أن يعمل سبع سنوات حتى يتزوج براحيل. يُعتبر ذلك خمس سنوات بعد فترة الحياة النموذجية للافتتان.

هل تظنون أن حبه قد فهم معنى الاستقرار والإرضاء المتأخر؟ يقول الكتاب المقدس إن السبع سنوات "كانت في عينيه كأيام قليلة". لماذا؟ "بسبب محبته لها". لم يكن الأمر يتعلق باحتياجاته الشهوانية؛ بل كان يتعلق بشيء يستحق حقاً الانتظار.

عندما تدخل في علاقة جدية فعلاً، اسأل نفسك ما إذا كان تقدمك يستند على الخوف أم الإيمان. هل يستند تقدمك على تخوفك من الحرمان والدوافع الجسدية، أم أن تقدمك هو نتيجة لرغبة في الاستعداد الحذر والتام للزواج؟

استخدام الاثني عشر اختباراً

كيف أبليت في هذه الاختبارات؟ هل وجدت نفسك ترغب في أن تضع "ح" للحب إلى جانب معظم نقاط الاختبار لكنك تعترف، مثل معظمنا، أنك كان لابد لك أن تضع "ا" للافتتان إلى جانب عدد منها؟ أليس مدهشاً كيف أثرت هوليوود على تفكيرك وتفكيري؟ أرجو ألا تكون هذه الاختبارات "مفشِّلة" لك بل عملية قد ساعدتك على الرؤية بوضوح أكثر للإختلافات بين الحب والافتتان. وسوف تستمر في تقديم العون لك في علاقاتك الحالية، والمستقبلية، وفي زواجك.

سوف أطلعكم على سر. الآن ونحن في العقد الثالث من زواجنا، أحد الأمور المدهشة بشأن علاقتي مع زوجتي هو أنني لازلت أقع في حبها. ففي الواقع، كلما تعلمت أن أحبها مدة أطول وبطريقة أفضل، كلما اكتشفت أن كيماويات المخ تعمل بطرق لم يكن باستطاعتي التنبؤ بها على الإطلاق حتى منذ عشر سنوات. ذلك لا يعني أننا نحرض على الحب في مقابل الافتتان – بل إننا نريد ببساطة أن نفهم الفرق حتى نتمكن من الاستمتاع بكل منهما في مكانته الخاصة بالعلاقة. ترون إذن أن الحب في العلاقة الدائمة ليس انحطاطاً تدريجياً من قمة علاقتنا الغرامية المندفعة الأولية. فإن الحب الدائم يُشبَّه أكثر بالوقوف في الموضع الذي يتقابل فيه المحيط مع الشط – حيث تستمر الأمواج في المجيء. وكل موجة من العاطفة ليست نفسها، وذلك يثبت في النهاية أنه في غاية الإثارة

والتشويق. لكن الأمر يتطلب وقتاً والتزاماً لاكتشاف أعجوبة العلاقة الدائمة. نعم، فإن الأمواج والمد تنحسر وتتدفق. لكن عندما نعرف ماهية الحب حقاً، نعرف أيضاً أن الأمواج والمد سوف يعودان فابقوا إذن على الشاطئ! تعلموا أن "تقرأوا الأمواج". اعملوا على حل القضايا العلاقاتية واستمتعوا بالأصوات المتنوعة وشغف الاصطدام أو اللف بنعومة أثناء ركوب الأمواج. فإن كثيرين جداً يبتعدون عن العلاقات دون حتى أن تبتل أرجلهم!

باستخدام صورة مماثلة، دعوني أقول إن كثيرين يقعون في خطأ الاعتقاد بأن الحب الحقيقي يشبه حمام السباحة – أي مجرد شيء يقعون أو يقفزون فيه. وبدلاً من الاستمتاع بالخبرة الديناميكية والمتعددة لحب مقدمة المحيط، فإنهم يثبون فوراً في الطرف العميق من حمام السباحة، ظناً منهم أن المشاعر القوية، والطيش، والانجذاب الجسدي لابد أنهم علامة أكيدة على الحب. فيكتشفون آجلاً أم عاجلاً أن الرغبة العارمة في السباحة لا تعني الكثير لو أننا لم نتعلم أبداً كيف نسبح. فإن مشاهدة أفلام عن السبَّاحين الكبار لا يجعلنا مثلهم. لكن لو أدت الرغبة في السباحة بنا إلى أن نكون جادين بشأن أخذ دروس للسباحة، عندئذ تكون من نصيبنا الإثارة الناتجة عن الطفو وفرح الحرية الناتجة عن انعدام الوزن اللذين يمكن للسباحة (والحب الأصيل) أن تأتي بهما. فكِّر في التفاصيل والمعلومات التي تعلمتها في هذا الكتاب باعتبارها "دروساً في السباحة" حتى تتمكن من الاستمتاع بالحب.

ها هو تشجيعي الرعوي الصادق لكل شخص أعزب يقرأ هذه الكلمات: قرِّر أنك سوف تؤسِس حياتك على أكثر من مجرد المظاهر والإعلانات. على قدر ما يبدو لك مغرياً القفز في العلاقات بدون تدبر، توقف لفترة كافية لكي تتساءل عما إذا كنت تريد حقاً النتائج التي تقدمها صيغة هوليوود أم أنك تريد أن تكون واحداً من هؤلاء الذين يسعون إلى مغامرة التعامل مع الحب بطريقة الله.

وكما نوّهتُ بشكل متكرر، لن يكون ذلك اختياراً سهلاً. سوف تلقى معارضة بطريقة قوية وغالباً غير مرئية. لكني أؤكد لك أن الذين يتبعون وصفة الله باستطاعتهم أن يصلوا

إلى نتائج أفضل بشكل محسوس من تلك التي يقدمها العالم.

إلى أين نتجه من هنا إذن؟ إن الفصلين التاليين يعالجان أحد أهم القضايا في العيش والحب بطريقة الله. فقد أُصبنا بالتشويش بشأن الفروق بين الحب والجنس. ونسينا كيف ومتى ينسجمان معاً. وكما سنرى، فإن التعرف على الفروق بين الحب والجنس يصنع حقاً كل الاختلاف!

التقييم الشخصي

١. عندما تراجع الاثني عشر اختباراً للتعرف على الحب، أي ثلاثة تجدهم الأسهل للتطبيق في العلاقة؟

٢. أي ثلاثة اختبارات يشيرون إلى أن بعض مظاهر علاقتك متأصلة في الافتتان بدلاً من الحب الأصيل؟

٣. كيف يساعدك فهم هذه العوامل الاثني عشر القابلة للقياس في تقييم علاقاتك الحالية (أو المستقبلية)؟

٤. ما هو الاختبار الذي مثَّل التحدي الشخصي الأكبر للطريقة التي تفكر بها بشأن "الحب"؟ ما هي خطوات العمل المحددة التي قد تساعدك على مواجهة ذلك التحدي؟

الفصل السادس ٦

الحب والجنس

معرفة الفرق

تصنع كل الاختلاف

٦

الحب والجنس
معرفة الفرق تصنع كل الاختلاف



الآن وبعد أن عرفنا الاختلافات بين الحب والافتتان، دعونا نستعد لفحص الجزء الأكثر خطورة للوقوع في الحب. إن هؤلاء الذين لا يأخذون وقتاً في فهم الفرق بين الحب والجنس سوف يكتشفون بشكل مؤلم أن هذه الاختلافات هامة. نحن نعيش في ثقافة مشبعة بالجنس. غير أن الرسائل والانطباعات التي نلتقطها عن الجنس من بيئاتنا المحيطة تتغير نوعاً ما عندما نحاول أن نعيش وفقاً لتلك الطريقة. فالجنس ليس بسيطاً على الإطلاق. الحب يكون شأناً معقَّداً، والعلاقات تصبح فوضوية، عندما نفشل في فهم الفرق بين الحب والجنس، فمن المُقدَّر لنا أن ندمر الاثنين.

قصة لورين ومايك

يصف الطبيبان ليس وليسلي باروت في كتابهما العلاقات، خبرة حزينة عاشها شخصان في مرحلة الشباب يسميانهما لورين ومايك. فقد أمضى هذان الطالبان الجامعيان، الهائمان في عالم الدراسة غير الواقعي بعض الشيء، ساعات بمفردهما يحدقان أحدهما في الآخر ويدرسان، ويتحدثان – وهما غافلان عن بقية العالم. وبعد بضعة أشهر من علاقتهما، وقع حادث مثير. فقد وصلا في وقت متأخر من الليل إلى شقة مايك واكتشفت

لورين أن المكان كان خالياً لهما. وقد أعلن مايك هذه الخصوصية الحميمة كما لو كان يعرف مسبقاً أن لورين كانت تنتظر هذه اللحظة.

وعلى الفور ، بدأ مايك يقبِّل لورين بشكل عاطفي، ويهمس في أذنيها عن جمالها ورغبته العارمة في أن يعرفها بأكملها. وأكد بشكل متكرر حبه وقال إنه يرغب في أن يقوما بإظهار الحب الذي يشاركانه. وكان من الواضح أن لديه في ذهنه أكثر مما كانت مستعدة له في تلك الأمسية. بعد أن استمعا إلى قصتها، وصف آل باروت اضطرابها الداخلي في تلك اللحظات:

بدأ عقل لورين يدوخ .. وهو يقتادها إلى غرفة نومه. وقد أخبرتني فيما بعد، "لقد آمن بي مايك في الوقت الذي لم يؤمن بي أحد. لم أكن أخطط لممارسة الجنس في تلك الليلة لكنني أدركت أن مستقبل علاقتنا سوف ينتهي على الأرجح لو لم ندخل في مرحلة الحميمية قريباً". وفي خلال الشهور التالية أصبحت لورين مُستنَفَذة مع مايك. وكما تعبر هي عن الأمر، "كان هو كل ما يهمني". وسريعاً ما أصبح الجنس جزءاً من كل مواعداتهم. لكن عندما بدأت لورين تتكلم عن تغيير خططها الصيفية لكي تكون مع مايك، فَتُر شغفه سريعاً .. ولم يكن الأمر مفاجأة حقيقية أن ينفصل مايك ولورين قبل نهاية الفصل الدراسي الربيعي.

إن قصة لورين تحاكي ملايين القصص الأخرى. تشير الإحصائيات إلى أن ما يقرب من ٨٣٪ من الشابات يعترفن أنهن لم يخططن أو يتوقعن لقاءهن الجنسي الأول. فإن أغلبية هؤلاء السيدات، على ما يبدو، شَعَرن بضغط الظروف أو انجذبن نتيجة تدفق عاطفتهن حتى أنهن لم يتمكنّ من إيقاف أنفسهن. لاحظوا حيرة لورين في لحظة القرار. فقد رافقت مايك لأنها استنتجت في تلك اللحظة أن "مستقبل علاقتنا سوف ينتهي على الأرجح لو لم ندخل في مرحلة الحميمية قريباً". تابعوا بعناية منطق لورين: "أنا أحب مايك. لابد أن أمارس الجنس معه. وإلا سأخسر العلاقة". لم يكن لديها تمييز واضح بين الحب والجنس. كانت فرضيتها هي أن الجنس سوف يُبقي على حبنا حياً! وقد أصبح الجنس هو ورقة المساومة في العلاقة، وربما يكون أهمها. وقادتها حيرتها إلى اختيار سيء. ففعلت شيئاً لم تكن مستعدة للقيام به لأنها ظنت أنها أقل استعداداً للمخاطرة بإنهاء العلاقة.

لقد اخترت قصة لورين ومايك لأنها، مثل كل قصص العلاقات، تتكون من عنصرين وعندما تقابل آل باروت أيضاً مع مايك، اكتشفا بعض الاختلافات المثيرة عندما قارنا منظوره على علاقتهما مع منظور لورين.

بالنسبة لمايك، تسببت الشهور الأربع الأولى من علاقتهما في علاقة حميمة جداً كان يمكنهما أن يتحدثا فيها عن أي شيء وكل شيء. وقد شارك كل منهما أجزاء مؤلمة جداً من ماضيه مع الآخر. وفي ذهن مايك، كانت المشاركة تعني أنهما يهتمان أحدهما بالآخر بعمق. وإلى جانب المناقشات الحميمة، شاركا أيضاً فترات طويلة من الحميمية الجسدية التي كانت، على الرغم من قوتها وإمتاعها، تتوقف دائماً قبل الاتصال الجنسي بفترة قصيرة. وقد اعترف مايك أن إمكانية الجنس والرغبة فيه كانا دائماً في ذهنه، على الرغم من أنهما لم يناقشا أبداً بشكل مباشر الاتصال الجنسي بينهما. وقد ظن أنه سيكون مجرد مرحلة أخرى من علاقتهما تُعتبر ناتجاً عرضياً طبيعياً لحبهما المتنامي. واعترف بتوجيه العلاقة إلى ذلك الاتجاه من خلال كلمات الغزل،وأنهما سيستمتعان بوقت من المرح عندما يستحمان معاً، وقد ضحكت لورين ببساطة على ذلك كما قال. أياً كان ما تعنيه باستجابتها، فإن مايك لم يفهمه باعتباره سلبياً. ففي الواقع، ينقل آل باروت:

كل هذا الحديث الغزلي والهلامي أعطى لمايك فكرة أن الجنس سوف يكون التعبير الطبيعي عن حبهما حيث أنهما يقعان في الحب. فقد قال مايك، "وفقاً لتفكيري، يُعتبر الجنس طريقة للتعبير عن مشاعر لا يمكنك التعبير عنها بكلمات. صدقوني، لست هذا النوع من الشباب الذي يبحث عن علاقة لمدة ليلة واحدة؛ لن أقيم علاقة مع أي شخص فحسب". وقد أخبرنا كيف كان "إكرام" المرأة أمراً هاماً بالنسبة له وأنه لن "يستغل" أي امرأة على الإطلاق للحصول على الجنس.. "إنه أمر غريب" كما أخبرنا مايك. "فما أن أرادت لورين أن تغيِّر خططها الصيفية لكي تكون معي بدأت أشعر بالاختناق".

ومثل لورين، كان لدي مايك تفسير لأفعاله: لو كنت حقاً تحب أحداً، فسوف يكون الجنس هو التعبير الطبيعي عن ذلك الحب. غير أنه لم يرَ فيه أي التزام دائم في الاتصال الجنسي. كان الأمر ببساطة هو مجرد عبور الجسر التالي في رحلة لم يكن مستعداً للتفكير

في وجهتها. فقد كان غير مستعد للعالم الجديد الذي اكتشفه عندما عبر جسر الاتصال الجنسي. لقد أجبره عبور ذلك الجسر على التفكير في التزام لم يكن مستعداً بعد للقيام به.

تشير الأبحاث أنه ما أن يتورط شخصان غير مرتبطين في الاتصال الجنسي، فإن العلاقة عادةً ما تبدأ في الانتهاء. فإنهما يكونان قد وصلا إلى النهاية السطحية للتعبيرات الجسدية بالعلاقة، ولا يكون لديهما أي سبب مُلِحّ على وجه خاص لاستكشاف أعماقها. فعلى عكس فرضية لورين، كانت رسالة مايك: الحب يقدِّس الجنس. بكلمات أخرى، لو ظننتما أنكما تحبان أحدكما الآخر، فلا بأس بالجنس، حتى لو لم تكونا متزوجين. وقد فقد الفتاة التي أحبها لأن الجنس غيَّر تماماً ديناميكية علاقتهما. فإن نوع الالتزام الذي كان يعنيه دور الجنس بالنسبة لها، لم يكن هو مستعداً له. لقد عَبَرَت هي جسر الاتصال الجنسي بقصد العيش على الجانب الآخر. أما هو فأراد أن يستمر في عبور الجسر بدون أن يلتزم بالاستقرار. ظنت لورين أنه يجب أن تقدم الجنس لكي تحصل على الحب، وأن تقديم الجنس سوف يجعل العلاقة تستمر. وقد كانت مخطئة. وظن مايك أن الطريقة الطبيعية للتعبير عن الحب سوف تكون الجنس، سواء كنتما ملتزمين أحدكما بالآخر أم لا. وقد كان مخطئاً.

قدمت المشورة لكثيرين من أمثال لورين ومايك على مدى السنين، وقد بكيت معهم في ألمهم. فإن قصتهما شائعة جداً، غير أنه يدهشني كم تتكرر كثيراً بواسطة المؤمنين وغير المؤمنين على حد سواء في علاقة بعد أخرى. فقد نظرت في عيون عدد غير محدود من الأشخاص، صغاراً وكباراً، قد قطعوا طريق الوقوع في الحب، وتشاركوا بشكل عميق، ومارسوا الجنس، وبعد ذلك انفصلوا. وهم يفترضون بشكل خاطئ أن المشكلة كانت في الشخص الآخر وليست بالأحرى سوء تفاهم أساسي من كليهما بشأن كيفية تأثير الجنس على العلاقة. فحتى عندما يبدو كل شيء على ما يرام في الناحية الجنسية، قد يكون هناك، كما سنرى فيما بعد، بعض الآثار طويلة المدى على الاختيارات الجنسية تستحق انتباهنا.

نوع آخر من قصص الجنس

جلست المشيرة بولا راينهارت في هدوء واستمعت. وقد سمعت في جلستي مشورتين منفصلتين، عن الآثار طويلة المدى على حياة الناس بعد سنوات من العيش طبقاً لنموذج هوليوود للحب، والجنس، والعلاقات الدائمة. حينما تقرأ هذه القصص الواقعية، تأمل بعناية كيف أن عدم قدرتنا على التمييز بين الحب والجنس يمكن أن تؤثر على مستقبلنا.

في جلستها الأول، استمعت بولا إلى قصة امرأة بالكاد تبلغ العشرين من عمرها لكنها على ما يبدو تحمل ثقلاً دهرياً على أكتافها. جاءت إلى بولا في حالة استياء لأنها اعتقدت أنه يجب أن تتمكن من التعامل مع الأمور بمفردها. واعترفت أن حياتها هي حالة من الفوضى. فإن صديقها الحالي عديم الإحساس ووالدها المُطلّق قد تزوج من امرأة لا تطيقها. وبينما كانت تصف هذه العلاقات، كانت تفكر في مكانة الله بحياتها. وفي محاولة لإحراز بعض التقدم في الحديث عن حالتها الحالية، سألتها بولا بضعة أسئلة عن علاقتها مع صديقها، بما في ذلك هل تضاجع صديقها أم لا. فأجابت نعم، وهي منزعجة من أسئلة بولا، ثم تأملت في تاريخها الجنسي. وذكرت في النهاية كيف خسرت عذريتها.

قالت، "لم أرد أن أحظى بخبرة سيئة في فقداني لعذريتي – كما هو حال بعض صديقاتي. فوجدت شاباً كنت أعرفه لكني لم أكن أشعر بأي شيء خاص نحوه، ومارست الجنس معه. وبتلك الطريقة تمكنت من اجتياز ذلك الأمر فحسب".

هل كانت عذريتك شيئاً أردتِ أن "تجتازيه فحسب"؟

"حسناً، بالتأكيد. بتلك الطريقة سوف أستمتع بالجنس أكثر مع الشباب الذين أهتم بأمرهم حقاً". هذه الكلمات تفسر منطقها، وهو غريب عن منطقي لكنه نموذج جيد للعالم الجنسي لجيلها. فإن فقدان العذرية هو طقس تقوم به البنت، في حالات كثيرة، للمرور إلى العلاقات والجنس – حيث يعيش على ما يبدو كل الأشخاص السعداء.

تصف بولا بعد ذلك مقابلة أخرى في نفس ذلك اليوم مع سيدة تُدعى مولي تكبر المرأة الأولى بعقد. وقد اتخذ أسلوب الحياة الذي بدا بلا نهاية، وفي غاية اللامبالاة، والمادية في سن العشرين، نغمة مختلفة في سن الثلاثين.

فإن حقيبة مولي الشخصية تتضمن زوجاً، وأطفالاً، ووظيفة، وصعوبة أساسية كانت تتمنى أن تتمكن بولا من مساعدتها على حلها. لم يكن لدى مولي أي رغبة في الجنس. فإنها تحب زوجها لكنها بالكاد تحمل نفسها لممارسة الجنس معه . كما أن قلة اهتمامها تتسبب في إثارة نزاعات معه، وذلك ينعكس على نواحي أخرى من الحياة. فهي تذكر أن الكثير من الخلافات مع شريك حياتها هي حقاً تعبيرات غير مباشرة بشكل رقيق عن الإحباط في حياتها الجنسية. وهي تطلب المساعدة. فقررت بولا أنها تحتاج أن تكتشف المزيد عن ماضي مولي.

فبدأت تتقصى تاريخها الجنسي واكتشفت أنها قد مارست الجنس منذ أن كانت في السادسة عشر، مع ما يقرب من عشرة رجال، واحد منهم هو الآن زوجها. لكن ذلك كان ماضياً.. فقد أصلحت حياتها. وهي لا تدرك لماذا يجب أن يتسبب ماضيها، حتى لو كان فيه شركاء عديدون، في مثل هذه المعاناة بتجربتها الجنسية الحالية. طرحت عليها سؤالاً، "هل يمكنِك أن تتصوري كيف كان سيبدو الأمر لو أنك صرت عزيزة حقاً بالنسبة لرجل ما، وكنتِ شخصاً خاصاً جداً له حتى أنه أراد أن يحمي براءتِك؟"

سال خط رفيع من الدموع على خدها، وهو أفضل دليل على إحساس الضياع الذي تشعر به عندما تربط بين اختلاطها المبكر والسأم الذي تشعر به الآن.

في كل القصص السابقة، احتار الناس بشأن الفرق بين الحب والجنس. فعندما كانت السيدة الأولى في سن المراهقة، كانت العذرية تشكل إزعاجاً مخزياً ينبغي التخلص منه بسرعة حتى يمكن للجنس أن يصبح مظهراً اعتيادياً لعلاقاتها، بمثل أهمية المصافحة تقريباً. وهي تتساءل لماذا أصبحت الحياة، في سن العشرين، ميكانيكية، وغير شخصية، وبلا معنى. وفي نفس الوقت، تقول السيدة ذات الثلاثين عاماً التي كان من الممكن أن تكون أختها الكبرى، "أنا مسيحية مؤمنة الآن ونشاطي الجنسي جزء من حياتي الماضية التي أريد أن أنساها. لقد انغمست في الجنس كما لو كنت ألتهم قطعة حلوى. والآن بالكاد أستطيع أن أحتمل مذاقها. إن حقيقة أن الجنس هام جداً بالنسبة لزوجي تخلق تشويشاً لي".

هاتان السيدتان لديهما الكثير من القواسم المشتركة مع لورين ومايك. كما أن لديهما الكثير من القواسم المشتركة مع العديد من البالغين في ثقافتنا. إنهما لا تعرفان الفرق بين الحب والجنس. لذلك فإن خبراتهما تقدم لنا تحذيراً حاداً واحداً على الأقل: لو أننا أخفقنا في فهم الفرق بين الحب والجنس، فسوف نُمنى بالفشل في علاقاتنا ونشاطنا الجنسي.

استكشاف الفروق

دعونا نستكشف معاً الفروق بين الحب والجنس. سبق أن ذكرنا، يجب أن يكون مصدر معلوماتنا شخصاً أكثر حكمة من مجرد كائن بشري مشوش آخر. إن الإله الذي خلق الحب، والجنس، وخلقني وخلقك لابد أنه هو أفضل مرشد لفهم ما نجده نحن محيراً. كيف يجيب الله عندما نسأل، "ما هي وجهة نظرك في الفرق بين الحب والجنس؟"

أعتقد أن الله يبتسم بصبر ويجيب، "هل نظرتم ما كتبته في كتابي؟ هل انتبهتم إلى وصفتي؟"

أدرك أن كثيرين ممن يقرأون هذا الكتاب قد لا تكون لديهم خلفية كتابية كبيرة، لذلك أود أن أشارك كلمة شخصية قبل أن نكمل. أنا لم أنشأ بحيث أفكر إلى حد كبير في الكتاب المقدس. لذلك فإنني بالتأكيد لم ألتفت إليه للحصول على إجابات. ولم أذهب إلى الكنيسة. بل إنني في الواقع لم أفتح كتاباً مقدساً حتى سن الثامنة عشر. وحتى وقتها، كانت كلمة "مؤمنين" تعني لي ببساطة أشخاصاً منافقين لا يمرحون. كانت تلك هي خبرتي الشخصية. لذلك فإنني أتفهم عندما يشعر الناس بقدر معين من التحفظ بشأن مراجعة الكتاب المقدس من أجل طلب النصيحة الجنسية. لقد سمع الناس الكثير جداً من الأفكار المشوهة التي افترضوا أنها جاءت من الكتاب المقدس حتى أن دفاعاتهم ترتفع ما أن تُذكر كلمة الله. بينما هناك آخرون لا يستطيعون أن يحملوا أنفسهم على قبول فكرة أن كتاباً كُتب منذ عشرين قرناً على الأقل يمكن أن يقول أي شيء له علاقة بما نعاني منه اليوم.

إنها مخاوف عادلة. هل يمكن لكتاب قديم أن يُعقل اليوم؟ هل كان لديه شيء ليقوله في القرن الأول يمكننا أنا وأنت أن نطبقه في عالمنا؟ دعوني أقدم لكم بعض الخلفية التاريخية التي قد تبدو مدهشة قليلاً. فعلى الرغم مما وصلنا إليه، إلا أننا نعيش في أكثر الثقافات تشبعاً بالجنس في التاريخ. لقد تأثرت الثقافة التي نعيش فيها جداً، في الواقع، بالأخلاق اليهودية-المسيحية. أنا وأنت قد تأثرنا بشكل عميق ببعض القيم الأدبية القوية التي شكّلت ثقافتنا. كما أن المشاكل التي نختبرها في نواحي كثيرة في حياتنا هي في الواقع نتيجة لأمر جيد يتشكف ببطء. فإننا، كثقافة، ننسى تدريجياً بعض الحقائق الهامة التي قبلناها ذات مرة بشكل غير واعٍ ونحن نقبل الآن نموذج هوليوود للحب. فمنذ ما يقرب من خمسين عاماً، كان لدينا فهم مختلف تماماً للالتزام الزواجي. فلم يكن نموذج هوليوود قد ابتُكر بعد. هناك فترات وثقافات تاريخية معينة قد أفسحت المجال جداً للفساد. فإن العالم الذي قَبِل إنجيل المسيح أولاً تحول إلى فوضى مفزعة فيما يتعلق بفهم الحب، والجنس، والعلاقات الدائمة. بالمقارنة مع القدماء، يوجد لدينا سبب وجيه للرجاء. كما أنني أريد، أكثر من أي شيء، أن أقدم رجاءاً.

نظرنا من قبل بعض الآيات الهامة في الإصحاح الخامس من أفسس. فقد كان الرسول بولس يكتب لمسيحيين في مدينة تفوق خطيتها بسهولة أية مدينة أخرى يمكننا أن نذكرها اليوم. كان الجنس عادياً جداً لهم حتى أنه لم يكن يُنظر إليه باعتباره خطية بأية طريقة، أو شكل، أو هيئة. كانت أفسس، مثل الكثير من المدن القديمة، تؤمن بديانة متمركزة حول الجنس. وعلى الرغم من أنه كان متوقعاً من الرجال أن يحصلوا على زوجة وأطفال كجزء من العيش المحترم، فقد كانت حياتهم اليومية أبعد ما تكون عن الاحترام. ففي وسط مدينة أفسس، كما في أثينا أو كورنثوس، كانت تُقام معابد كبيرة، مكرسة في الغالب لعبادة آلهة الخصوبة. كانت الإلهة تُعرف في أفسس باسم أرطاميس، أو ديانا. وكان معبدها يُعتبر أحد عجائب الدنيا السبع في العالم القديم. وفي داخل معبدها كان يزدهر ماخور ديني هائل. وكانت العبادة تشتمل على ممارسات جنسية مع مئات من "الكاهنات" اللاتي كن يُعامَلن مثل قطع من اللحم في السوق. كان الجنس متاحاً للرجال في الصباح، والعصر، والليل. لو كنت مواطناً ذكراً في أفسس، لكان لديك محظية على يمينك، وعشيقة سرية

من أجل الإثارة على يسارك ولكنت انضممت إلى الجميع من أجل الجنس في المعبد متى شئت. كانت النساء تُستخدم، وتُنتهك، ثم تُلقى.

بعد هذه اللمحة التاريخية، يتضح لنا أن الأشخاص في تلك الثقافة كانوا هم أول من تلقّى تعليمات بولس بشأن الفرق بين الحب والجنس والعلاقات الحقيقية. كانت الرسالة ثورية للغاية كما لو كان بولس يستثير الناس لهزيمة الإمبراطورية الرومانية. فقد كان يهمس مقابل تيار التقاليد الثقافية العاصفة – تماماً مثلما سيكون حالنا أنا وأنت لو أننا تجاسرنا على العيش بطرق تعارض ثقافتنا الحالية. سوف نسمع أشخاصاً يقدمون لنا نفس الحجج التي سمعها المسيحيون الأولون عندما طبقوا طريقة الله للحب. خذوا، على سبيل المثال تعليق شيشرون، في أحد أشهر خطاباته: "لو ظن أحد أن الشباب يجب أن يُمنعوا من هذا النوع من الحب، فإن هذا الأمر يكون صارماً جداً". أظن أنه كان هناك تعبير مثل "الأولاد سوف يكونون أولاداً". فقد كان الناس يعتبرون ضبط النفس مستحيلاً وغير مرغوب في زمن بولس. كما أن فكرة أن المرأة يجب أن تكرّم وتُحب لم تكن حتى في الاعتبار. فقد كانت ملكية عامة. فما الذي كان بولس يدعو إليه إذن؟ كان يروّج لنموذج جديد من الفضيلة – فضيلة العِفّة، وفضيلة الرجل الذي يهتم بامرأة لدرجة أنه يرغب في حمايتها، وإكرامها، ومحبتها، وليس مجرد استغلالها.

ماذا قال بولس عن الجنس؟

يقدم لنا بولس في أفسس ٥: ٣-٤ صورة عن النتائج السلبية التي تحدث عندما نخفق في "السلوك في المحبة" أو في فهم الفرق بين الحب والجنس.

"وأما الزنا وكل نجاسة أو طمع فلا يُسمَ بينكم كما يليق بقديسين ولا القباحة ولا كلام السفاهة والهزل التي لا تليق بل بالحري الشكر."

إن الأمر الوارد في بداية هذه الآيات السابقة يغطي كل علاقاتنا. لابد لنا أن نرفض أن نأخذ، أو نَستغل، أو نُرخّص، أو نَسلب، أو نستبدل الحب الصادق والحميمية الأصيلة في مقابل ممارسة الجنس. وحتى نفهم هذا المثال، ينبغي علينا أن نذكر أن الجنس ليس خاطئاً

كما أن الله ليس متزمتاً. الجنس ليس خطية ينبغي تجّنبها بل عطية ينبغي أن تكرّم.

أنا وأنت نريد الحميمية الصادقة. نريد أن نقيم علاقات لها معنى. نتوق إلى أن يشعر شخص ما بأنه محبوب جداً بسببنا. كما نريد أن نُحب ونُكرّم ويُعتنى بنا بواسطة شخص آخر. وقد رأينا بالفعل أن طريقة الوصول إلى هذا الهدف تستلزم "السلوك في المحبة". لقد حان الآن الوقت لكي نرى كيف يبدو عدم السلوك في المحبة. يقول بولس في الآيات السابقة أن هناك أشياء معينة سوف تَسْحَق وتُدَمِّر الحب وتكسر العلاقات. إنها إنذارات حاسمة. لو أردنا أن نحب شخصاً ما، فإننا لن نسلبه، أو نستغله، أو نحط من قيمته. لن نتورط في نشاط جنسي لخلق حميمية زائفة لأننا لسنا مهتمين حقاً ولسنا ملتزمين حقاً. لن نستبدل الحميمية الصادقة بالجنس.

بعض الكلمات في هذه الآيات تستحق المزيد من الانتباه: الزنا، والنجاسة، والطمع. فإن الكلمة الأولى تُشتق من الكلمة اليونانية pornea، التي تأتي منها كلمة الخلاعة الجنسية. تشير pornea إلى أي انغماس في الجنس خارج العلاقة الدائمة للزواج. إنها محاولة إشباع شهوتك الجنسية بحيث يكون التركيز الكامل على لذّتك بدلاً من اهتمامك بالآخر. وتصف كلمة الزنا نطاقاً واسعاً من السلوك خارج حدود أمر الله "بالسلوك في المحبة". فمن ناحية، يُستخدم هذا اللفظ لتأكيد أن النشاط الشاذ جنسياً يكون خارج حدود السلوك في المحبة. ومن ناحية أخرى، تُستخدم الكلمة لكي تخبر غير المتزوجين بأن ممارسة الجنس قبل الزواج هي خارج الحدود. ذلك يعني أنك لو كنت متزوجاً ومارست الجنس مع شخص غير شريك حياتك، فذلك يُعتبر خارج الحدود. Pornea تغطي كل النشاط الجنسي الذي لا يتعلق بامرأة واحدة، ورجل واحد، داخل أطر الزواج، وتحذرنا: لا تذهب إلي هناك. لماذا؟ ليس لأن الأمر لا يبدو مرحاً أو مثيراً بل لأنه خالٍ من المحبة وهو ينتهك مباشرةً وصفة الله الصالحة للعلاقات الصحية. إنه لن يحقق ما ينادي به.

الكلمة التالية، النجاسة، تعني أي انغماس في الجنس على حساب شخص آخر. وهي تصف السلوك الجنسي الذي يسلب، أو يستغل، أو يحتال على شخص آخر. تشير النجاسة إلى الاتجاهات الجنسية التي تعرقل تقديم الكرامة والاحترام للآخرين. تخاطب

النجاسة تلوث النفس. فإن الشخص المتورط في النجاسة يجد طرقاً لاستخدام كل جزء في حياته كان من الممكن أن يكون أداة لما هو صالح وتعبيراً عن الحب حتى يصبح، بدلاً من ذلك، شيئاً قذراً ومخزياً. النجاسة تجعل الأشخاص يتركون لطخة لا أخلاقية على كل شيء وكل شخص يتصلون به.

الكلمة الثالثة، الطمع، في هذا السياق لا تتعلق كثيراً بالطمع للمال بل بالأحرى الطمع الجنسي. فإن هذا اللفظ يصف الشهوة التي تستهلك الآخر تدريجياً. يرى هذا الاتجاه، في أسوأ حالاته، كل شخص آخر باعتباره هدفاً للاستغلال من أجل اللذة الشخصية بغض النظر عن الضرر الناتج. فإن الطمع ينزع من الزنا والنجاسة كل حس لضبط النفس.

هذه الكلمات لا تنطبق فقط على سلوكنا وأفعالنا بل على حياتنا الفكرية أيضاً. فغالباً ما يتطور الزنا، والنجاسة، والطمع في السر. إن عادة الدخول على الإنترنت أو الاشتراك في الجنس المحظور من خلال الروايات الرومانسية والأشكال المتعددة للصور الإباحية يمكن أن تتسرب إلى لغتنا. إذ تكشف فكاهاتنا، وتلميحاتنا، ولغتنا الإيحائية عن حياة داخلية مظلمة. فكلما أطلنا التفكير بطريقة معينة، كلما تحدثنا وتصرفنا أكثر وفقاً لتلك الطريقة.

هل تتذكر ما قاله يسوع؟ "كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه" (متى ٥: ٢٨). كما وصف يسوع حياتنا الداخلية باعتبارها صندوقاً به كنز يمتلئ بالخير أو الشر. فإن علاقاتنا تتضمن ما نقدمه للآخرين من كنزنا الداخلي (انظر لوقا ٦: ٤٥). يخبرنا يسوع أن قلوبنا، وأذهاننا، واهتمامنا يجب أن يكونوا أنقياء. لماذا؟ لأنه في أي وقت نخرج خارج حماية وصفة الله، سواء كان ذلك في أذهاننا أو في كلماتنا أو في أفعالنا، فإننا نتصرف بطرق خالية من المحبة. إنها أفعال لاستهلاك، وسلب، واستغلال، والحط من العلاقة. ليست هناك امرأة تريد أن تكون مع زوجها عندما يكون ذهنه مثبتاً على صور قد حمَّلها ذهنياً من الإنترنت. ليس هناك رجل يريد أن يكون مع زوجته لو كان ذهنها مستهلكاً في الخيالات المشتعلة بواسطة الروايات الرومانسية أو المسلسلات التي تعالج مشكلات الحياة المنزلية. إن الزنا، والنجاسة، والطمع يقوِّضون ويدمِّرون العلاقات الحميمة، والمُحبة،

والحنونة. هذه الموانع القوية والواضحة ليست مجرد قوانين ينبغي الالتزام بها بل حدوداً لنشاطنا الجنسي تحمينا من فصل الجنس عن العلاقة الحميمية، المحبة.

يقدم بولس في الآية التالية ثلاثة أشياء إضافية يجب أن نستخدمها كمقياس لمدى لياقتنا للسلوك في المحبة. فهو يخبرنا أن نرفض القباحة، وكلام السفاهة، والهزل، التي لا تليق بالمؤمن. وتشير القباحة إلى المجون، كما أن خلفية الكلمة تتعلق بالخزي. إن الأشخاص الذين لا يفهمون الخزي لا يفكرون في وقع كلماتهم قبل أن يتحدثوا بها. فإن اللغة الفظة عديمة الاحترام التي لا تأخذ في الاعتبار احترام المستمعين تنسجم مع فئة القباحة. إن التلوث الذهني الذي تحدثنا عنه فيما سبق يندفع أخيراً في الطريقة التي يتحدث بها ذلك الشخص. ويصف كلام السفاهة كلمات الشخص المملوءة بأفكار الحماقة، وانعدام الحساسية، والتصريحات الفارغة. وكلام السفاهة ليس إشارة إلى الزلات البريئة الهزلية لكنه يصف الحديث الذي ينقصه التدبر الذي تنتج عنه تصريحات أثيمة وملحدة. أما الهزل وهو يعني حرفياً "التحول بسهولة" ويتضمن فكرة التلميحات الذكية السريعة أو استخدام المعاني الجنسية لقول الفكاهة. ويُعتبر مضيفو برامج الحوارات التي تُذاع في وقت متأخر من الليل وفنانو الكوميديا المشهورون سادة في الهزل. فهم متخصصون على ما يبدو في الفكاهة غير المهذبة وتحويل أي تعليق أو محادثة إلى حديث موجّه جنسياً.

تقول كلمة الله لأشخاص مثلي ومثلك، "لا تسمحوا لأنواع شريرة من السلوك أو الأفكار أن تدخل ذهنكم، أو قلبكم، أو علاقاتكم". لماذا؟ لأن هذه الكلمات والأفعال هي، في صميمها، النقيض تماماً للسلوك في المحبة. وهي لا تُعتبر مرحاً بريئاً أو غير مؤذٍ – إنها مدمرة.

لماذا يُعتبر تقديم الشكر هاماً جداً؟

تخبرنا الآيات السابقة أن كل هذه الأنماط الكلامية (القباحة، وكلام السفاهة، والهزل) يجب أن تُستبدل بالشكر. كيف يُعتبر الامتنان إذن بديلاً ملائماً للطريقة التي نتحدث ونتصرف بها على نحو نموذجي؟ ما هو الرائع جداً في الشكر؟ أولاً، إن الشكر لديه

هدف – فنحن نقدم الشكر لشخص. ثانياً، نحن نقدم الشكر من أجل شيء. لو أننا قدمنا امتناناً عميقاً لله من أجل كل ما صنعه لنا وأعطانا إياه، فسوف نقدم أيضاً احتراماً عميقاً للطريقة التي نتعامل بها مع ما نملكه. فحيث أننا نعرف أننا مخلوقون على صورة الله، الذي يحبنا، كيف لا يغمرنا إذن امتياز التعرف والتعلق بشخص آخر مخلوق على صورة الله على حد السواء؟

عندما أكون ممتناً لأجل العلاقة التي أملكها، أجد أنه من الصعب الاهتمام بشخص آخر. لا يمكنني أن أشكر الله بشكل واعٍ من أجل تريزا باعتبارها هبته الخاصة لي وأملأ ذهني في نفس الوقت بأفكارٍ أو صور لسيداتٍ أخرى. يصح نفس الأمر بالنسبة لك، سواء كنت أعزب أو متزوجاً. إن فعل تقديم الشكر بشكل دائم من أجل ما أعطاه الله لك وما يدّخره لك هو أعظم ترياق ضد انقضاض التلوث الذهني الذي يهاجمنا جميعاً يومياً فيما يتعلق بالعطية الجميلة للجنس.

ما هو الفرق إذن بين الحب والجنس؟

يُعتبر الجنس أحد خدام الحب. فهما يختلفان من حيث أن الحب أعظم جداً من الجنس، غير أن الحب والجنس قد صُمما لكي يعملا في انسجام. عندما يصبح الحب خادماً للجنس، تنتج الفوضى. فقد أُصيبت ثقافتنا بالتشويش بشأن الفرق بين الحب والجنس بطريقتين: أولا أننا حاولنا أن نفصل بين الحب والجنس، فوصفنا الجنس باعتباره شكلاً غير مؤذٍ وبلا معنى من التسلية العادية بين أشخاص ليس لديهم التزام دائم، وثانياً أننا حاولنا أن نجعل الحب والجنس مترادفين تقريباً، وبذلك فإن الحب الرائع يعني الجنس الرائع والجنس الرائع يعني الحب الرائع. وقد أدت كلتا الغلطتين إلى حياة مثل حياة لورين، ومايك، ومولي، وربما حياتك أنت أيضاً.

يبدأ التصحيح بمواجهة هذا التشويش. إن إدراكنا أننا كنا مخطئين بشأن الحب والجنس يمكن أن يكون مؤلماً ومخزياً، لكن عندما نعترف بذلك، فإن التغيير يقودنا إلى الرجاء والشفاء. إنني. أعلم أن ما أقوله معادٍ للثقافة أكثر من أي شيء قد قرأتموه. كما أنني على

وعي أنه حتى بين الأغلبية العظمى من الذين يعرِّفون أنفسهم باعتبارهم أتباعاً للمسيح، أصبحت النقاوة الجنسية ببساطة "إحدى الوصايا التي لا يطيعها أغلب الناس". لذلك فإنني أناشدكم: عندما تقرأون الرسالة الإليكترونية التالية التي تلقيتها من مستمع عبر المذياع، من فضلكم أعيدوا تقييم نظرتكم وممارستكم للجنس والحب. إنني أشارك هذه القصة باعتبارها مثالاً متطرفاً ومؤلماً لا أتمنى أن يحدث معكم إطلاقاً. أقدمها ليس كأمر أخلاقي (على الرغم من أنها كذلك)، بل كرسالة من قلب الله، الذي يريد الأفضل جداً لكم.

لقد استمعت إلى رسالتك في المذياع هذا الصباح. أعلم من تجربة حياتي أنك تحدّثتَ بالصدق بشأن نعمة الله التي تكسر قوة الخطية. فقد عانيت من فساد جنسي شديد. كنت أستخدمه لمداواة الألم العاطفي الذي تعرضت له عندما كنت صغيراً. ربما لو أخبرتكم بقصتي قد تكون تحذيراً للشباب الصغار الذين يظنون أن الحب يبرر الجنس قبل الزواج.

دعاني صديق للذهاب إلى كنيسة صغيرة عندما كنت في الحادية والعشرين من عمري. في ذلك اليوم رأيت فتاة تقف أمام شجرة بلوط كبيرة تلعب مع بنت صغيرة كانت تحضر الكنيسة. كانت ترتدي فستاناً أبيض، وقد أحببتها فور رؤيتي لها. فقد استَحَوذَت عليَّ ولم يعد بإمكاني التفكير في أي شيء سواها بعد أن رأيتها. أعتقد أنك سوف تقابل مرة واحدة ونادراً مرتين في عمرك الشخص الذي ستحبه أكثر من نفسك. وقد كانت ماري هي ذلك الشخص في حياتي.

بعد ملاحقتها والتودد إليها لشهور، تمكنت في النهاية من مواعدتها. وأخيراً، في إحدى الليالي بعد أن خرجت معها قمت بتقبيلها للمرة الأولى. وقد جعلتني تلك القبلة ضعيف الشخصية. وبعد فترة ازداد حبنا لبعضنا، أتمنى الآن لو كان بإمكاني أن أتزوجها قبل أن يتمادى الأمر. لكننا لم ندرك عواقب التورط الجنسي خارج الزواج الذي كان في النهاية سيدمرني ويجلب لها العار. فقد ظننت أننا سنتزوج في وقت قريب وأن الجنس كان لا بأس به. غير أن الجنس ربطنا أحدنا بالآخر بطرق لم أفهمها.

عندما سافرنا معاً في عطلة بالصيف التالي لزيارة بعض من أقاربي في مزرعة ريفية، طلبت مني أن أتزوجها. فقد شَعَرَتْ بالألفة في المكان الذي كنا نزوره وأرادت أن تستقر هناك. فأخبرتها أنه ليس لدي شيء في الريف وأنني أريد أن أعود إلى المدينة. وعندئذ يمكننا أن نتزوج.

وقد تقابَلَتْ بعد أن رجعنا بوقت قصير مع رجل في الجامعة، وفي النهاية فقدتها. وكان الألم العاطفي الناتج عن ذلك الفقدان هو أسوأ ألم اختبرته عند هذه المرحلة من حياتي. والأسوأ من ذلك أنه كان باستطاعتي أن أرى باب منزلها الأمامي من نافذتي الخلفية، لأنني كنت أسكن في الشارع المجاور، وكان مرتفعاً على تل مما أعطاني رؤية واضحة لمنزلها. كانت لا تزال تعيش في البيت مع والديها. ولأنني جعلتها تصبح فاسقة، فقد باتت ضعيفة لدرجة أن صديقها قد استغلها. أنا على يقين من أنه كان يحبها أيضاً. وسريعاً ما بدأ يبيت في بيتها. وقد تضاعف ألمي العاطفي عندما عرفت أنه كان ينام معها.

لذلك فقد قررت أنني كنت أحتاج إلى إيجاد شخص آخر لكي يُعتق ذهني من هذا الألم العاطفي. فبدأت أبحث عن أي فتاة يمكنني أن أستغلها لكي تعوِّض الألم. كنت سأستغلها ثم أستغل التالية والتالية. لم يعد لديَّ أي مشاعر أو اهتمام بخيرهن العاطفي. كنت منساقاً بالجرح الذي ما كان ليتوقف عن الإيلام. قد خسرت الشخص الوحيد الذي كنت سأبذل حياتي لأجلها وأصبحت حياتي الآن بلا معنى. لم يكن لديَّ أي رجاء للمستقبل.

وفيما بعد وجدت أن الذهاب إلى نادي للعراة كان على ما يبدو يخدِّرني. فقد منحني الجمال المدهش للفتيات اللاتي كن يعملن هناك مخدراً ينقذني من الألم. لقد كن على ما يبدو أحراراً منطلقات مع زبائنهن المفضلين حتى أنني أنفقت المزيد والمزيد من المال للحصول على انتباههن الذي كان مخدراً لي. شعرت أنني عندما كنت أذهب إلى أحد النوادي، وكنت في ذلك الوقت قد كوّنت علاقات مواعدة مع بعض الراقصات، كنت أتحرر من الفتاة الوحيدة التي أحببتها ودمرتها.

وبعد سبع سنوات، اتصلت بي ماري وطلبت مني قرضاً. كانت تحتاج إلى ١٥٠٠ دولار. فأسرعت إلى مقابلتها وتساءلت لماذا تتصل بي. لابد أنها قد تزوجت الآن. لماذا لم يسدد زوجها احتياجاتها؟ أعطيتها المال ولاحظت أنها كانت تبدو حاملاً في المراحل الأولى. وسريعاً ما ردت لي المال، ولم تعد تبدو حاملاً. وعندما سألتها عن رجلها، قالت لي إن عائلته لم

تقبلها لأنها كانت بيضاء. وقد أنهى علاقته معها بعد سبع سنوات. ثم قالت إنها شعرت أنها متزوجة لفترة على أية حال. فأدركت أنني قد أعطيتها المال اللازم للإجهاض. كنت أشعر بالغضب، والجرح، والخزي العميق لأنني شعرت بمسئوليتي عن مشاكلها.

وبعد بضع سنوات اتصلت بي مرة أخرى، كانت تحتاج إلى ٣٠٠٠ دولار. فقد ضُبطت وهي تسرق مالاً من الشركة التي كانت تعمل بها و قدموها للمحاكمة. وقالت إنها لو لم ترد المبلغ سيضعونها في السجن. تقابلت معها وقلت لها إنني سأفكر في الأمر. كنت أبلغ الثانية والثلاثين في ذلك الوقت وقد أفسدتني الخطية والزنا. كنت قد فقدت أي قدرة على الاهتمام بشخص محتاج. كانت الفتاة التي كنت مستعداً لأن أبذل حياتي لأجلها منذ عشر سنوات تحتاج إلى المال والعون الحقيقي. فأخبرتها في النهاية أنها لو كانت تريد المال، فسوف يتوجب عليها أن تمارس الجنس معي للمرة الأخيرة. ولشدة دهشتي وخزيي، وافقت.

بطريقة ما ظننت في ذهني الملتوي وقلبي الفاسد وروحي المنجسة أنه كان باستطاعتي أن أضرم من جديد علاقة ماتت منذ زمن بعيد. لابد أنها اعتقدت أنني لازلت قادراً على حبها بدرجة كافية لكي أكون رحيماً معها وأسدّد احتياجها. فبعد أن نجحت في إنزالها إلى مستوى العاهرة، أخبرتني فيما بعد أنها كانت تشعر كما لو أن الله قد تركها تماماً. ثم فقدنا الاتصال ببعضنا وعدت مرة أخرى إلى حياة النوادي الليلية ونوادي العراة. ولم أسمع شيئاً عنها مرة أخرى لمدة ست سنوات. كانت في هذه المرة تحتاج مني أن أشتري لها بعض الملابس حتى تتمكن من الذهاب إلى مقابلة عمل. كانت قد تخرَّجت من فصل التصوير بجامعة أتلانتا للفنون. كنت ميتاً وفاسداً للغاية حتى أنها لابد أن تكون قد رأت مجرد ظل للإنسان الذي كنت عليه منذ خمسة عشر عاماً. لكنها كانت قد خرجت بسلام من الأزمة. لقد استعادت قدراً كبيراً من جمالها. وكانت تعيش في غرفة بفندق وتبحث عن فرصة للعمل كمصوِّرة. وقد عَرَضَتْ عليّ بعضاً من أعمالها فشعرت بالسعادة لأنها وَجَدَتْ شيئاً تستمتع بالقيام به. فاصطحبتها إلى محل وابتعت لها ثياباً وودعتها.

في عام ١٩٨٧ صليت وأخبرت الله أنني لو تمكنت من إيجاد فتاة لطيفة فسوف أتوقف عن تدمير نفسي وأبدأ بداية جديدة. كنت قد شغلت وظائف عديدة من الهندسة إلى

إعادة تشكيل البيوت. ثم تقابلت مع سيدة مؤمنة تبلغ الثانية والثلاثين وكنت وقتها في السابعة والثلاثين. واعتقدت أنها أروع شخص قابلته منذ زمن بعيد. لكن بسبب الخطية التي وقعت فيها على مدى خمسة عشر عاماً والانعزال التام عن الله الذي أنتجته الخطية في حياتي، لم تكن لدي فكرة عن كيفية إقامة علاقة مع امرأة مؤمنة. عندما تقابلت معها، كانت تقوم بدراسة كتابية في أحد المقاهي مع رجل يعمل لحسابي في أعمال البناء. فجلست معهما واستمعت، وعندما غادر الرجل، جلست هناك أتحدث إليها طوال تلك الليلة وحتى صباح اليوم التالي. وقد تساءلت كيف يمكن أن يكون لديها اهتمام بشخص مثلي. وبعد بضعة شهور من التقابل معها، بدأنا أنا وهي نعيش معاً لكن بدون علاقة جنسية. كنا أشبه بالرفقاء. لكننا في النهاية تورطنا جنسياً. وأصبحت حاملاً، وتزوجنا.

والحق يُقال، لم أكن أحبها حقاً، لكنني لم أكن أعلم بذلك. فقد اعتَقَدّتُ أنني أحبها وكنت أريد حياة جديدة. اعتقدت أن الله قد استجاب صلاتي اليائسة. لكنها أرادت أن تقابل ماري. فأخذتها لمقابلة ماري عندما كانت حاملاً في الشهر الثامن. فقد أصرَّت على ذلك. وقد اندهشت حتى لقدرتي على تحديد مكان ماري. وفي أثناء الزيارة، عندما ذهبت زوجتي إلى السيارة، أخبرت ماري أنني لا زلت أتمنى لو كانت هي المرأة الحامل وكنا قد تزوجنا.

وقد أدركت زوجتي في النهاية أنني تزوجتها لأني جعلتها تحمل وأنني لم أتمكن حقاً من حبها، بالرغم من أنني قد حاولت. وأقنعها أهلها أن تطلقني وقد فعلت ذلك بعد عامين ونصف. كنا نمتلك منزلاً وكنت أعمل في شركة هندسية وكان كل شيء مدفوع الثمن. كنت أكسب مالاً وفيراً. لكنني خسرت كل شيء في بضعة شهور. فقد تحوَّلَتْ زوجتي من كونها أكثر الأشخاص الذين عرفتهم عذوبة ووثوقاً إلى أكثر الأشخاص مرارة وحقداً. كان الدمار الناتج عن الطلاق إلى جانب السنتين الإضافيتين من الخطية اللتين حاولت فيهما قتل الألم قد تركاني مرة أخرى مريضاً ذهنياً وروحياً أعيش بإحساس من العجز لعدد من السنوات الآن. إنني أملك الوصاية على ابنتي، التي تبلغ الآن الرابعة عشر وهي فتاة موهوبة جداً.

لا زلت أرى ماري تقف عند شجرة البلوط منذ ثلاثين عاماً. وأحياناً أذهب مرة أخرى إلى تلك الكنيسة ولا زالت الشجرة هناك. أقود سيارتي مرة أخرى إلى المنزل الذي كانت تعيش

فيه عندما قبّلتها للمرة الأولى منذ ثلاثين عاماً. لن أتمكن أبداً من حب شخص آخر كما أحببتها. لو كنت فقط قد تزوجتها بكرامة في تلك الكنيسة، كم كانت تختلف الأمور. فإنني أعطي أي شيء لو تمكنت من إيجادها مرة أخيرة حتى أستجديها لكي تغفر لي لأنني ورطتها في الفساد الجنسي. المرة الأخيرة التي سمعت فيها عن ماري، كانت متورطة مع رجل متزوج. أشعر بالمسئولية وأرجو أن يسمح الله لي بأن أطلب منها الغفران لأنني وضعتها على الطريق الذي تسلك فيه الآن.

بنعمة الله وبعد عشر سنوات من المعاناة الروحية والذهنية غير المحتملة من آثار الخطية طويلة المدى، أشعر الآن بالحرية الكاملة من الشهوة التي أخذتني إلى أعماق الزنا، والعهارة، والداعرات، والدمار المادي. فقد خَسِرتُ كل ممتلكاتي الدنيوية وعليّ بعض الديون. إنني أفعل كل ما بوسعي لكي أعلّم ابنتي مخاطر الجنس خارج الزواج. فهي مؤمنة، لكن عندما رفضتني أمها، رفضت ابنتها أيضاً. كما أن أمها انتهكت ابنتي عاطفياً في صغرها. كتبت هذه الرسالة لك لأنه على الرغم من أنني حر وقد اختبرت قدرة الله على إنقاذي من جهنم، إلا أنني لا زلت أشعر بأنني مُنجّس ومُعذّب روحياً. أبلغ الآن الثانية والخمسين وباستطاعتي أن أتتبع الفوضى في حياتي رجوعاً إلى ممارسة الجنس مع الفتاة التي كان يتوجب عليَّ أن أعرف كيف أحبها بطريقة أفضل. أتمنى الآن أن تكون قصتي تحذيراً لآخرين حتى لا يرتكبوا نفس الغلطة. إن الله لا يريد أن يأخذ منك شيئاً جيداً؛ بل يريد أن يعطيك شيئاً أفضل. أنت قلتها يا تشيب – الحب، والجنس، والعلاقة الدائمة!

خاتمة

عندما أقرأ قصة كهذه، ينفطر قلبي. فقد دُمرت الحياة والحب لأن الجنس قد انفصل عن الحب الأصيل. ونشأ الألم والدمار لأن عطية الله الجميلة للنشاط الجنسي قد أُخذت "خارج موقد" الالتزام التام في الزواج.

كل ذلك يثير السؤال: لماذا صنع الله الزواج لكي يكون قيداً على ما يبدو؟ لماذا يحد الجنس بحيث تتم مشاركته مع شخص واحد فقط؟ كيف تعمل وصفة الله حقاً؟

التقييم الشخصي

١. عندما تقرأ الحالات الدراسية المتضمنة في هذا الفصل، ما هي المشاعر أو الأفكار التي جالت في ذهنك؟ ولماذا؟

٢. مع أي شخص من الذين سبق ذكرهم كانت حالتك تشبه حالته أكثر؟

٣. من تجربتك الخاصة، كيف تشرح لماذا تصنع معرفة الفرق بين الحب والجنس "كل الاختلاف"؟

٤. كيف يؤثر الفساد والتلوث الجنسي على الحميمية في العلاقة؟

في اعتقادك، لماذا ينفصل الأشخاص الذين دخلوا في "علاقة مواعدة" جادة في أغلب الأحيان بعد أن يتم إدخال الجنس في العلاقة؟

 الفصل السابع

لماذا شخص واحد فقط؟



لماذا شخص واحد فقط



إن وصفة الله للعلاقات الدائمة تتطلب أن يدخل رجل واحد وامرأة واحدة في علاقة بدرجة من الحميمية والالتزام حتى يصبح الاثنان واحداً مدى الحياة. فهو يطلب منا أن نهيئ مكاناً بين شخصين يتم فيه الاحتفال بالجنس، والموافقة عليه، والاستمتاع به. هل هذا ممكن؟ لماذا صمم الله ما يبدو، في زماننا، أنه تقييد لحريتنا كالزواج؟ هل يُعتبر جوعنا للحب الأصيل، والجنس الحيوي، والعلاقات الدائمة في النهاية مجرد رغبة غير مثمرة، أم أن الله سوف يساعدنا على أن نعيش وفقاً لوصفة الزواج التي صممها؟ لكي نطرح الأسئلة بطريقة أخرى، هل يُعتَبَر الله ضيق الأفق بشكل غير عادل لكونه يتوقع منا الزواج الأحادي أم أنه يُعتبر في الحقيقة كريماً بشكل كبير لكونه قد سمح لنا أصلاً بعلاقة مثل الزواج؟ هل صُمِّم الزواج لكي يعيق ويحدد تعبيراتنا عن الحب أم أن الزواج قد صُمِّم لكي يحمينا ويعُمِّق تجربتنا للحب بشكل واسع؟

هذه الأسئلة تكشف اشتياقاتنا الأكثر عمقاً وجروحنا الأكثر إيلاماً. فبعد أن تحدثتُ عن موضوع الفصل الأخير مؤخراً، اقتربت مني سيدة واعترفت، "لقد قضيت كل الوقت الذي كنت تتحدث فيه في محاولة لمنع نفسي من البكاء". لقد قرأت وسمعت آلاف الحالات المماثلة لما ذكرته. أنا وأنت محاطون بأشخاص، عندما يسمعون وصفة الله للعلاقات، يحنون رؤوسهم ويهمسون بدموع، "ليتني عرفت بالأمر". ربما تكون لديك نفس الخواطر.

دعني أذكِّرك مرة أخرى أن القصد من هذه الفصول ليس هو أن تشعر بالذنب بل أن تمتلئ بما يكفي من الرجاء لتخفيف حملك. فإن نفس الإله الذي أعطانا بشكل مُحِب وصفة لإقامة العلاقات بالطريقة الصحيحة قد أعطانا أيضاً وصفة لما يجب أن نقوم به عندما نفعل الأشياء بطريقة خاطئة. تذكر أنه يوجد أمامك رجاء.

دافع الله للزواج

إن السبب الذي يأمرنا الله لأجله أن نصون الجنس لذلك الرجل الواحد أو تلك المرأة الواحدة في علاقة الزواج هو أن النجاسة الجنسية تدمِّر العلاقات. إن الروايات التي سمعتها على مدى السنوات قد شكّلت تدريجياً الطريقة التي أنظر بها إلى الجماهير عندما أتحدث عن هذا الموضوع. إنني أفهم الآن أن الشخص العادي في أي مجموعة هو على الأرجح شخص لديه ماضي مليء بالخزي. وأدرك ما قد يحدث لو أن مثل هذه المجموعة تمكنت من قضاء بضع ساعات سُمح خلالها لكل شخص أن يحكي تاريخه الجنسي دون الإفصاح عن اسمه. فسوف تكشف أموراً كثيرة من رواياتهم المتفردة:

"ذلك يختص بالمرة الأولى التي مارست فيها الجنس".

"تلك هي الكيفية التي فقدت بها عذريتي".

"هذا هو ما حدث عندما اعتقدت أنه يمكنني أن أحصل على الحب في مقابل الجنس".

"هذا هو ما كنت فيه".

"هذا هو ما فعلته".

"تلك هي الكيفية التي انهار بها زواجي".

"أتذكر المرة الأولى التي انزلقت فيها إلى علاقة غرامية".

"أتذكر المرة الأولى التي دخلت فيها على الإنترنت ووجدت ذلك العالم الفاتن والمتفجر. دعوني أخبركم كيف أوضح عالمي الخاص".

وسيروي شخص بعد آخر قصصاً خاصة يمكننا أن نكتشف منها أنماطاً واضحة. وسوف تكشف الحقيقة جروحاً عميقة. فإن الجنس خارج الحدود التي وضعها الله يدمر الأشخاص والعلاقات. وسوف تتضمن القصص ألماً وعواقب دائمة. وسوف تسيل الدموع عندما نتكلم أو نسمع.

"انتقل إليَّ مرض جلدي في الأعضاء التناسلية ولا يمكن معالجته".

"ترسّخت بداخلي ذكرى لإجهاض قمت به في سن المراهقة لا زالت تسبب لي كوابيس".

"ظننت أنه بإمكاني أن أتخطى التحكمات والسيطرة عندما كنت أسافر إلى الخارج لأنني سأكون مع غرباء، غير أنني جلبت مرض الزُهري إلى المنزل كتذكار مؤلم".

"أنا مُصاب بفيروس HIV (حمل لفيروس مرض الإيدز) وأخجل من ذكر أنه كان معي شركاء كثيرون ولا أعرف من منهم نقله لي".

"لديَّ الإيدز. دعوني أخبركم كيف انتقل إليَّ".

أنا مقتنع بهذا: حتى قبل أن نفتح الكتاب المقدس، سوف تكون الحقيقة التي نجدها مكتوبة في حياة المجموعات العادية من زملائنا البشر، كافية لإجبارنا على الاعتراف بأن هناك شيئاً خاطئاً للغاية بشأن الطريقة التي نقيم بها العلاقات. إن روايتنا عن التعرض للجرح، والاستغلال، والهجر، ظناً منا أن هذا هو الحب الحقيقي، ثم نتعرض بعدها لأكثر الإحباطات التي اختبرناها خطورة – هذه وحدها سوف تكون كافية لإقناعنا! إن الله يحبك ويحبني كثيراً جداً حتى أنه لن يترك الفوضى التي خلقناها تستمر بدون تحدٍ. كما أن كلمته تؤكد ما نعرفه، لكنها تخبرنا أيضاً بأنه يوجد طريق للنجاة. بالنسبة لهؤلاء الذين يتعلمون مبكراً بما فيه الكفاية، تقدم وصفة الله للعلاقات طريقة لتجنب الكثير من المشاكل؛ أما بالنسبة لأولئك الذين قد تورطوا بالفعل في وجع القلب والعجز، لا زال الله يقدم الرجاء.

هل تعلم ما الذي يريده الله؟ إنه يريدك أن تحصل على علاقة مع شخص آخر تنظران فيها بعمق في عيني أحدكما الآخر وتستطيعان أن تثقا بأحدكما الآخر. ليس هناك شخص

ثالث في تلك العلاقة. بل توجد وحدانية عاطفية ووحدانية روحية. كما أنه توجد مغامرات، ومرح، وأحاديث، وضحك، وجنس، أيضا بعض الأطفال بمشيئة الله. وطوال الحياة، تلتقيان معاً جسدياً مرة بعد أخرى في احتفال بالوحدة لمجد الله. تحافظان على فراش الزوجية مقدساً، وتحتفلان بممارسة الجنس بموافقة الله – بلا ذنب، أو ثقل، أو مقارنة نفسك أو شريك حياتك مع أي شخص آخر. فيصبح الجنس وقتاً صحياً، ومقدساً، ومهيباً، وسرّيا في محضر الله. يقول الله إن الجنس يجعل الأشخاص يرتبطون معاً مثلما تربطهم بعض الاختبارات التي يجتازون فيها في العالم. إنه يحبك جداً ويريد ذلك النوع من الحياة لك، ولأولادك، ولأصدقائك.

غير أن ما نراه حولنا هو دليل كافٍ على أننا قد ابتعدنا عن وصفة الله للعلاقات الصحية في ثقافتنا. فإن خبرتك وخبرتي تخبرانا أن الجنس خارج الحدود التي وضعها الله يدمر العلاقات.

بعض العواقب تستمر إلى الأبد

نحن جميعاً نعلم بأمر زيجات قد تحطمت بشكل دائم. كما أن كثيرين منا يعرفون أشخاصاً تحتوي حياتهم على الكثير من الأخطاء المتشابكة والملتوية، والعلاقات المكسورة، والأطفال المتضررين، حتى أن هذا الضرر لا يمكن أبداً أن ينصلح. أنا وأنت قد نشعر أحياناً أن حياتنا مربوطة بعُقد. وقد رأيت الله يقوِّم أوضاعاً ظننتها يائسة. لكنني أعلم أيضاً أن الندوب تبقى، حتى بعد أن يتم الشفاء. كما أعرف آخرين يرفضون التنازل عن فوضاهم لله. وقد بكيت مع رجال ونساء مثل هذا الرجل الذي ذكرت قصته في الفصل الأخير. فقد أُنقذت حياته، غير أن الحطام المتبقي بعد سنوات من الإساءة لا يمكن أن يُمحى في لحظة. فإن بعض العواقب تستمر إلى الأبد.

بعد أن تكلم الرسول بولس عن الزنا والطمع، يواصل حديثه لكي يخبرنا، "فإنكم تعلمون هذا أن كل زانٍ أو نجس أو طمَّاع – الذي هو عابد للأوثان – ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله. لا يغركم أحد بكلام باطل، لأنه بسبب هذه الأمور يأتي غضب الله على أبناء المعصية" (أفسس ٥: ٥-٦). إن الكتاب المقدس يذكِّرنا بحقائق معينة لايمكن تجنبها. وهذه

الآيات تتضمن قائمة جدية تستخدم نفس السمات التي وجدناها سابقاً (الزنا، والنجاسة ، والطمع) لوصف الأشخاص الذين لن يكون لهم "ميراث في ملكوت المسيح". هناك حسم نهائي في هذا التصريح يجعلني أرتجف كلما قرأته.

فإنني أدرك أنه من الصعب أن نواجه ماضينا. من الصعب بالنسبة لي ولك أن نعلن مسئوليتنا عن خطايانا. من الصعب أن نعترف بما قد صنعناه عمداً للآخرين. فإننا نتردد في الاعتراف بتورطنا في أنشطة سابقة. نحن نعرف أننا لو روينا قصصنا الحقيقية، فسوف نسمع الآخرين يقولون أشياء مثل، "فكِّر في الأشخاص الذين جرحتهم! فكِّر في العائلات التي تدمرت. فكِّر في الأطفال الذين تعرضوا للانتقال مراراً وتكراراً إلى منازل مختلفة". نحن نعرف أننا اقترفنا أخطاءاً لا يمكن إصلاحها، حتى لو كنا قد نلنا الغفران. عندما نقرأ آيات مثل تلك المذكورة بأعلى، فإن الذنب يرفع وجهه القبيح ويشير إلينا بإصبع الاتهام.

لكن استمع جيداً لما يقوله الكتاب المقدس في الواقع. لاحظ أن الآيات لا تخاطب أي شخص قد ارتكب فعلاً طماعاً أو زانياً أو نجساً. فإن التهمة تُوجَّه ضد الشخص الزاني، والشخص النجس، والشخص الطماع – إنها فكرة الشخص الذي يتميز سلوكه بهذه الاتجاهات. لو قلنا أنا وأنت، "يا رب، أنا أعرف أن لديك خطة كما أعرف أنك وضعت بعض الحدود، لكنني لا أريدك أنت ولا خطتك في حياتي لأني سوف أعيش الحياة بطريقتي"، عندئذ تنطبق علينا هذه الآيات. نحن جميعاً نتعثر، حتى عندما نتعلم السلوك في المحبة، وكلمة الله تحذرنا. غير أن هذه الآيات تواجه أولئك الذين يصرون على السلوك وفقاً لطريقتهم الخاصة.يوجد رجاء لهؤلاء الذين يتعثرون طالما أننا نثق في الله. لهذا السبب يضيف بولس، في الآيات السابقة، شرحاً بسيطاً بعد الطماع، مشيراً إلى أن مثل هؤلاء الأشخاص هم متورطون فعلياً في عبادة الأوثان. فقد أصبحت رغباتهم هي إلههم.

العبادة والجنس

إن الطريقة التي نستخدم بها الجنس ونفكر فيه تُختصر في النهاية إلى النظر إليه إما باعتباره أحد عطايا الله أو باعتباره وسيلة لإشباع الغايات الأنانية. إن الجنس خارج هدف

الله من الزواج – الاشتهاء، والأخذ. واستغلال الأشخاص بطريقة "ينبغي أن أحصل عليه" – يتجاهل الله بوضوح تام. من المثير للاهتمام بما فيه الكفاية أن القدماء كان لديهم شيء صحيح – فقد كان هناك ارتباط بين الجنس والعبادة. غير أنهم اقترفوا خطأً هائلاً عندما قاموا بتطبيق الحق. فقد عبدوا الجنس بدلاً من الله. وبدلاً من تمييز الجنس باعتباره أحد الأشياء الرائعة في الخليقة التي تشير إلى الخالق، حوَّلوا جزءاً من الخليقة إلى وثن يعبدونه عن طريق إساءة استخدام العطية. وقد اقترفت ثقافتنا نفس الخطأ. ففي قلب الفساد الجنسي يكمن اتجاه من العبادة، لكنها عبادة من نوع خاطئ بشدة. ففي الفساد الجنسي نحن نعبد أنفسنا على حساب الآخرين. وفي النهاية يكون الفساد الجنسي عبادة لاحتياجاتي، وحقوقي، وشهوتي، ونفسي. إنه ليس حباً.

كيف يتصل الجنس بالعبادة في وصفة الله؟ تكمن الإجابة في الآيات التي فحصناها بالفصل السابق. فإن الكتاب المقدس يستخدم اتجاهاً من الشكر يتناقض مع الشخص الزاني، والنجس، والطماع. فالعبادة الأصيلة تتعلق كثيراً بالامتنان. عندما يصف الله أعمق مشاكل الحالة الإنسانية، يقول بالتأكيد أننا جميعاً اخطأنا (رومية ٣: ٢٣). كما أنه يشير إلى أننا نسينا أن نقدم الشكر (رومية ١: ٢١). لو كان الله قد أعطانا عطية مثل الدافع الجنسي، عندئذ سوف يظهر أصدق شكل لامتناننا بالطريقة التي نتعامل بها مع هذه العطية. إن علاقة الزواج تقدم الشكل الوحيد المُصمم من قِبل الله الذي يمكن فيه للرجل والمرأة أن يعبرا عن امتنانهما العميق لخالقهما عندما يشاركان عطية الجنس مع أحدهما الآخر مدى الحياة. إن كان هذا غريباً على آذاننا فإنه يشير ببساطة إلى أي مدى أصبح نموذج هوليوود المتمركز حول الذات مترسخاً بعمق في تفكيرنا. إن النظرة للحب التي لا تفسح مجالاً لله لن تنتج حباً ولا امتناناً لله من أجل سخائه.

خطر الكلام الباطل

لاحظ أن ما تقوله الآيات أيضا، "لا يغركم أحد بكلام باطل" (أفسس ٥: ٦). وتقول ترجمة أخرى، "لا تجعلوا الذين يحاولون أن يبرروا هذه الخطايا يخدعونكم". فعندما يتعلق الأمر بالنشاط الجنسي، يمتلئ العالم بالكلام الباطل، مثلما يحدث عندما نقدم للأطفال

شعارات زائفة مثل "الجنس الآمن" أو "الجنس الترفيهي" أو عندما نغير الألفاظ أو نستبدل التعبيرات حتى نتجنب الحقيقة كما يُقال "إنها مجرد علاقة" أو "نزوة". غير أن الزنا تحت أي اسم باطل لا زال زنا. إن تغيير الألفاظ قد يكتم الحق بشكل مؤقت، لكنه لا يغيره. لا يزال الزنا خيانة متعددة للنفس وللآخرين. فلو كنا قد صنعنا نذراً (أعطينا كلمتنا) أمام الله، وأمام شريكنا، وأمام شهود آخرين، ثم نكثنا بوعودنا، نكون قد ارتكبنا زنا. إنها ليست مجرد "علاقة" عادية؛ إنها خطية، وهي تجر وراءها سلسلة من الآثار المدمرة.

ترون إذن أن الفساد الجنسي (داخل وخارج الزواج) يدمِّر العلاقات. العلاقة الأولى التي نعلم أنه يحطمها هي علاقتنا مع الله. فإن الأشخاص الذين يزدادون تدريجياً في الفساد الجنسي هم في الواقع يقولون، "سوف أعبد نفسي". وذلك يعني أننا لا نعبد الله. أجد أن الناس يُصدمون فعلياً عند اكتشاف تلك الحقيقة. فعندما ننفي الله إلى ركن صغير من حياتنا ونأمره أن ينتظر بهدوء حتى نتجنب الانتباه إليه، لانندهش أنه عندما نلتفت إليه، نجده بعيداً عنا. العبادة تقتصر على شخص واحد. ذلك يعني أننا لا نستطيع أن نعبد أو نخدم أكثر من إله واحد. لا يمكننا أن نجعل الحياة تقتصر علينا ثم نتوقع أن يوافق الله على ذلك. فإن الخطية تكسر حياة الشركة.

هل تتذكر آخر مرة انتهكت بمعرفة مسبقة جزءاً من وصفة الله ؟ ربما لم يحدث أمر سيئ على الفور. وربما تكون قد استنتجت أنك حظيت بالكثير من المرح. لكن كيف كانت حياتك في الصلاة بعد ذلك؟ هل وجدت أنه من الممكن أن تحظى بحميمية عميقة مع الله في حياة الصلاة بعد أن تورطت في خطية جنسية؟ هل شعرت بالقرب من الله؟ هل رأيته يستجيب للصلوات بشكل منتظم؟ أم شعرت بأنك مُدان، وقذر، وخجلان؟ هل وجدت نفسك تأكل، وتتسوق، أم تعود إلى نفس الخطية لتجنب هذه الأحاسيس؟ هل وجدت نفسك تشعر بالقلق، وتعلِّي صوت الموسيقى، وتحس فجأة بعدم الراحة للتواجد بمفردك؟ إن الحدود الموجودة في وصفة الله ليست لأن الله متزمت بل لأنه يحبك جداً. فإن الله يعلم أن الفساد الجنسي يدمر علاقتك معه.

لكن أرجوك أن تسمع هذه الملحوظة الإضافية. إن الإله الذي خلقنا يدرك أننا سوف نصارع. فعندما مات يسوع على الصليب، دفع ثمن خطاياك وخطاياي – جميعها. إن

الشخص الزاني، والنجس، والطماع يظل هكذا لأنه يرفض علاج الله. فنحن لا يمكننا أن نتمنى أو نعمل للتخلص من مشكلتنا. لكن الله قد سبق ودبَّر لكي يُرفع ثقل، وذنب ماضيك. لقد تعامل يسوع مع الأمر بالفعل. بغض النظر عن ماضيك، يمكنك أن تتوقف اليوم وتقول، "يا ربي يسوع، لقد سلكت في الحياة الجنسية بطريقتي، وكانت النتيجة أنها دمرت علاقتي معك ومع الآخرين. هلا غفرت لي؟" هل تعلم ماذا ستجد؟ ما أن تفتح قلبك وتصبح صادقاً مع الله، لن تجد إلهاً مكتوف الذراعين، ويشير بأصبعه إليك، وينقر بأصبع قدمه، قائلاً، حسناً، كنت أتساءل متى كنت ستأتي لأنني غاضب جداً منك". بدلاً من ذلك، سوف تقابل إلهاً قلبه مكسور، وسوف ينظر إليك وسط دموع التحنن ويقول، "كنت تدمر نفسك. كنت أعلم أن هذا سيحدث؛ وقد أرسلت ابني لكي يحل ذلك. أرسلت ابني لكي يدفع دينك ويكسر قوة الخطية في حياتك. يمكنك أن تبدأ من جديد. يمكنك أن تقيم العلاقات بطريقتي. يمكنك أن تحصل على الحميمية، يمكنك أن تكون محبوباً، يمكنك أن تكون عزيزاً، يمكنك أن تدرك أن زوجتك أو زوجِك ليس شيئاً بل شريكاً للحياة. باستطاعتك اليوم أن ترسم خطاً على الرمال؛ باستطاعتك أن تحصل على الغفران لماضيك، ثم تبدأ رحلة جديدة نحو المستقبل". نحن نحتاج إلى هذه الكلمات للرجاء.

إن الفساد الجنسي لا يدمر فقط علاقتنا مع الله، بل يدمر أيضاً علاقاتنا مع الآخرين. فقد رأينا بالفعل وجع القلب، والحيرة، والخيانة الناتجين عن الفساد الجنسي في القصص التي قرأناها. فإن الذين يحاولون أن يمارسوا الجنس والحب بهذه الطرق يؤسسون حياتهم على هذا الكلام الباطل. وهم في طريقهم نحو الدمار، لأن بعض العواقب لا يمكن تجنبها.

العبارة الأخيرة في الآيات التي قرأناها سابقاً هي "لأنه بسبب هذه الأمور يأتي غضب الله على أبناء المعصية" (أفسس ٥: ٦). إن غضب الله يصف عواقب المعصية وتجاهل وصفة الله. نحن لا نفكر كثيراً أو بوضوح كافٍ بشأن غضب الله. فإن الله يكره الشر. إذ يشعر بغضب مقدس وعادل. نحن البشر نقترب أكثر من هذا النوع من الغضب عندما نشهد معاناة طفل صغير. فإن مشاهدة طفل صغير يُضرب أو يُنتهك تُطلِق على الفور موجة من الغضب البار فينا. ونكون منساقين للتدخل – بشكل عنيف في حالة الضرورة. عندما يحدث شر بصورة واضحة، فإن حقيقة أنك مخلوق على صورة الله تجعلك أيضاً قادراً على الغضب البار. لماذا؟ لأن هناك شيئاً تحبه قد تعرض للأذى أو الدمار.

لقد صنع الله هذا الكوكب، وصنعك، وصنع النشاط الجنسي، وصنع الزواج. وكل مرة نصنع فيها شيئاً ينتهك ما صنعه، فإنه يغضب جداً جداً. لماذا؟ لأن الخطية تدمر علاقته معك. وهي تدمر علاقتك مع الآخرين. الخطية ليست مُحبة، وهي تدمرك وتدمرني. الخطية تجعل الله ثائراً. لقد امتص يسوع غضب الله العادل عندما مات على الصليب، لذلك فإن الغفران الأصيل متاح لنا الآن. لكن في هذا العالم الساقط تُعتبر العواقب طريقة يذكّرنا الله بها بعمق وحقيقة الشر. يمكن للعواقب أن تجعلنا نقول بعد فترة، "ربما تكون كلمة الله صحيحة. ربما يتوجب عليَّ أن أفعل الأمر بطريقته". أعلم أن بعضاً منا عنيدون جداً، لذلك فإن العواقب تؤثر علينا ببطء. ربما يتوجب علينا أن نضرب رأسنا في الحائط ثلاث أو أربع مرات قبل أن نمر بعلاقات متعددة دون أن ننتبه، وندخل في زيجات قبل أن نتوقف للتفكير جدياً. ربما يتطلب الأمر الإصابة بمرض جنسي ينتقل إلينا أو الشعور بالوحدة الذي يؤدي إلى اليأس حتى يأتي بنا إلى الموضع الذي نقول فيه، "أنا آسف يا رب. إن طريقتك صحيحة".

الحصول على انتباهنا

أتذكر إنني نميّت علاقة مع لاعب زميل في فريق كرة سلة كرازي منذ بضع سنوات. كنا نسافر ونلعب معاً في كل أنحاء أمريكا الجنوبية. وكان معظم اللاعبين كباراً من مدارس مشهورة. وكنا نتنافس مع فرق محترفة وهاوية، ونشارك إيماننا أثناء وقت الاستراحة الممتد بين المباريات. وسريعاً ما اكتشفت أن صديقي الجديد يقضي إجازاته الصيفية في احتراف البيسبول بالفرق الصغيرة. وفي أثناء العام كان يدرس بجامعة كبيرة، حيث كان لاعب كرة سلة بها.

أثناء السفر مع هذا الفريق المسيحي، انتهى بنا الأمر إلى مشاركة نفس غرفة السكن معاً. وقد تأقلمنا معاً بشكل رائع. فقد كان، إلى جانب مهاراته الرياضية، شاباً هادئاً، بهي الطلعة وكان على ما يبدو يتمتع بالخبرة. عندما بدأنا نشارك مشوارنا الروحي، فاجأني بسرعة تأثره. فقد قال، "أتعلم، من الجيد أن نكون جزءاً من هذا. أنا مشغول معظم الإجازات الصيفية بلعب كرة السلة للمحترفين". ثم أضاف بعد تفكير، "وأخيراً، حصل الله على انتباهي". فسألته، "ماذا تقصد؟"

قال، "حسناً، أظن أن أفضل طريقة لوصف الأمر هي القول إنني كنت وثنياً. فقد قضيت كل حياتي حتى الآن في عبادة نفسي. لم أنظر إلى الأمر بتلك الصورة من قبل، لكني أدركت منذ بضعة أشهر أن ذلك ما كنت عليه". لم أدرِ بماذا أجيب. وبعد بضع ثواني أدرك أن مزيداً من الإيضاح سوف يكون على الأرجح مفيداً.

فواصل، "عندما بدأت ألعب على الطريق، حظيت بإعجاب من الجمهور واكتشفت أنني كنت جذاباً بالنسبة للسيدات". ثم هز رأسه كما لو كان يتذكر شيئاً مؤلماً. "أتعلم، بينما كنا ننتقل من بلدة إلى أخرى في كل أنحاء أمريكا، كانت هناك أوقات مارست فيها الجنس مرات متعددة في اليوم مع سيدات مختلفات. فقد كن يلقين بأنفسهن علينا بعد المباريات. وبعد ذلك في المدرسة، وباعتباري نجماً كبيراً لكرة السلة، كان الجنس يُعتبر فائدة. ففي البداية، كان هو اللعبة خارج اللعبة – كم مرة ومع كم طالبة كان يمكنني أن أمارس الجنس؟ لم أستطع العد. فقد كانت حياتي تدور حول الجنس". لم تكن هناك نبرة التفاخر في صوته. فقد كانت الكلمات تخرج ببطء وخزي، كما لو كانت أحمالاً ثقيلة أراد أن يُسقطها عن كاهله.

إستمريت في ذلك ثلاث سنوات. ثم استيقظت يوماً ما وكنت أشعر أنني مخدَّر. توقف للحظة حتى يسمح لي باستيعاب مغزى اعترافه. "لم أكن أشعر بأي شيء. لم أعد أدري من أنا. لم أكن أدري كيف أقيم علاقة. كنت أشبه شخصاً قد ثبَّت يديه في النار مرات ومرات. في المرات الأولى القليلة، كانت الهزات عنيفة. لكن ما أن احترقت اليد بشكل كافٍ وماتت الأعصاب تحت الندبات القبيحة حتى توقفت اليد عن الإحساس. لقد وصل جسدي فعلياً إلى حد عدم الاستجابة. كنت مُجهداً جنسياً. وأصبح قلبي متبلداً، ولم يكن مخي يستجيب". لن أنسَ أبداً نغمة الحزن العميق والضياع في صوته وهو يتمتم، "هناك قطعة صغيرة ممزقة مني تركتها مع كل واحدة من تلك السيدات لن أتكمن من استرجاعها أبداً". ثم وصف سنوات انغماسه في الجنس الأناني بمقارنته بقطعة من الكرتون. كل مرة مارس فيها الجنس كان يلتصق بقطعة كرتون أخرى لمدة كافية فحسب حتى يجف الصمغ. وعندما أُبعدت القطع عن بعضها، لم تخرج أي منها كاملة.

قال، **"**توجد قطع مني مع تلك السيدات في كل مكان. لم أكن أعرف من أنا، ولا أعلم كيف أقيم علاقة**"**. ثم ختم حديثه بتنهيدة، **"**لقد وصلت إلى مرحلة لم أعد أستمتع فيها بالجنس ولا أن أحب نفسي. كنت بعيداً جداً عن الله حتى أدركت أنني تائه. إن دعوتي إلى هذه الرحلة كانت استجابة الله الجليلة لصرختي طلباً للمساعدة. فعندما ننتقل من بلد إلى آخر، أجد نفسي أيضاً في رحلة روحية. فأنا أطلب من الله أن يشفيني تدريجياً**"**.

ليس هناك على الأرجح رجل واحد قد قرأ الجزء الأول من القصة السابقة لم يفكر ولو مرة على الأقل في لحظة ضعف معينة، **"**والآن لابد أن هذه هي الحياة**!** الحصول على النساء بشكل غير محدود**"**. غير أن العواقب في هذه الرواية تكتسح الإثارة والحافز السابقين. فإن عبادة الأوثان، كما وصفها صديقي، تصنع حملاً ثقيلاً جداً. وفي حالته، فإن بضع سنوات من الانغماس في الجنس سوف تقود إلى عمر من الندم. لكن لو كانت خبرتك قد تطابقت مع تجربته بشكل مؤلم، فلا تحوِّل نظرك عن نعمة الله في حياته. فقد كان يجد شفاءاً. كان يكتشف، شيئاً فشيئاً، مقاصد الله الصالحة حتى في غضبه. إن الله يحبك ويحبني جداً حتى أنه يريدنا أن نعرف أننا عندما نتجاهل وصفته وننقل نشاطنا الجنسي خارج حدود امرأة واحدة أو رجل واحد طوال الوقت، فإن ذلك سوف يدمر في النهاية علاقاتنا مع الآخرين، ويدمر علاقتنا مع الله، وأخيراً كما في حالة صديقي، فإنه سوف يدمر علاقتنا مع أنفسنا.

أين نتجه من هنا؟

دعوني أردد موضوع الرجاء المتكرر الذي يريدكم الله أن تتذكروه. لقد ذكرت لكم القصة السابقة لأنها مثال قوي جداً على الكيفية التي تبتلع بها العواقب كل لذّات الفساد الجنسي وأيضاً كيف يستر الرجاء والنعمة كثرة من الخطايا. أينما تجد نفسك اليوم، يوجد رجاء لك ضمن رحمة الله ونعمته.

أود أن أعالج في الفصل القادم موضوعاً هاماً لنا جميعاً. فسواء كنت شاباً أعزب تناضل لاستيضاح وصفة الله للحب، والجنس، والعلاقات الدائمة حتى تتمكن من متابعة الحياة بثقة أو كنت رجلاً مجروحاً لديه مجموعة من العواقب قد جئت من خلالها لتلتمس

معونة الله، فإننا جميعاً نحتاج أن نحصل على فهم لكيفية الحفاظ على النقاوة الجنسية في مجتمع مُشبَّع بالجنس. لو كنا سنتجنب الأخطاء العلاقاتية في المرة الأولى أو نتجنب اقتراف نفس الأخطاء مرة أخرى، فإننا نحتاج إلى الحصول على صورة واضحة لتدبير الله وقوته من أجل النقاوة الجنسية.

وخلاصة القول إن ما قلناه في هذا الفصل هو أن الله يريدك أن تسلك في المحبة. إن العلاقات، ومحبة الآخرين، وهذه الشركة الحميمة التي تنبع من تربة المحبة تتطلب وقتاً، وطاقة، والتزاماً. هناك حدود واضحة. لهذا السبب قصد لنا الله العلاقة الزوجية مع شخص واحد. فإن الله يتوق إلى أن تكون لديك علاقة غنية ورائعة للغاية مع الجنس الآخر حتى أنه عندما تحتفل بالجنس، تكون تلك اللحظة مقدسة، وسرّية، ومهيبة في نظر الله وفي تجربتك.

قبل أن ننتقل إلى كيفية الحفاظ على النقاوة الجنسية، سوف أطلب منك أن تتخذ قراراً بشأن نشاطك الجنسي وعلاقاتك. أسألك أن تقبل محبة الله غير المحدودة لك. إن قرار قبول قصد الله للحب الأصيل يعني أنه يجب أن تُخضع نفسك (أو تعيد إخضاع نفسك) إلى مقياسه في النقاوة وذلك بتطبيق وصفته للحب، والجنس، والعلاقات الدائمة. فذلك يُعتبر التزاماً منك بأن تكون نقياً جنسياً في الفكر، والكلام، والفعل.

أولاً، دعوة محددة للعُزاب غير المتورطين، وأقصد بغير المتورطين أنك لست في علاقة الآن. أريدكم أن تتخذوا قراراً بأنكم سوف تطوِّرون قناعات شخصية بشأن النقاوة الجنسية. ارسم خطاً على الرمال، واعلن، "سوف أقيم العلاقات بهذه الطريقة. لن أمارس الجنس قبل الزواج. لن أتورط جسدياً وراء هذا الحد قبل الزواج. لن أقبل بأفضل ثاني اختيار". اتِخِذْ قراراً اليوم قبل أن تقرأ الفصل التالي. ثم اطلب من الله نعمة لكي تعيش هذا الالتزام يومياً.

ثانياً، كلمة للمتورطين، وأعني بذلك أنك في علاقة تعرف أنها تحتاج إلى فهم أوضح لوصفة الله. أريدكم أن تتخذوا قراراً بشأن إجراء محادثة صادقة في الأيام القليلة

التالية لتقييم علاقتك فيما يختص بالنقاوة الجنسية. لو كنت قد تعديت الحدود جنسياً، فأوقف هذا السلوك وضَع حدوداً جديدة. (سوف يساعدك الفصل التالي). لو كنتما تعيشان معاً، قرِّر أن تنتقل إلى منزل آخر حتى تقيم العلاقة بطريقة الله. فإنك لن تندم على ذلك أبداً.

ثالثاً، كلمة لهؤلاء الذين يعيشون في أزمة. ربما يصف أحد التصريحات التالية حالة علاقتك:

لو عرفت الحقيقة، لما كان زواجك قد تعرَّض للانهيار.

لديك مشكلة إدمان للجنس والصور الإباحية.

لقد أصبحت معتاداً على زيارة المواقع الجنسية على الإنترنت.

لقد فكرت في الخيانة أو كنت خائناً.

تجد نفسك تمرح في خيالات شاذة جنسياً أو أنك متورط في علاقة شاذة جنسياً.

تجد نفسك منجذباً للأطفال أو تجد نفسك في حالة انحراف أخرى.

هذه المشاكل تشمل كل مستويات وكل أركان المجتمع. وهي متواجدة في الكنيسة بمثل تواجدها في الأحياء الرديئة. لو كان هذا الفصل قد كشف لك أنك تعاني من جروح مؤلمة ومفتوحة، فربما تكون بحاجة إلى عون فوري متخصص. لا تتردد. فإن العون متاح لمن يرغب فيه. يمكنني أن أخبركم هذا: إن الثغرة التي تخبئها بداخلك ليست عميقة جداً بحيث أن الله لا يستطيع أن يصل إليها ويجذبك خارجها. اذهب إلى أحد الرعاة، أو المشيرين المتخصصين، أو مجموعة معينة تهتم بالذين يعانون من إدمانات جنسية.

أخيراً دعوني أضيف كلمة رجاء لنا جميعاً. أتصوَّر أنه عندما قرأت هذا الفصل، ربما تكون بعض الصور قد وردت على ذهنك عن أشخاص جرحتهم أو أوقات جُرحت أنت فيها، لذلك فإنك تتساءل حقاً، "هل يمكن لله أن يغفر كل تلك النفايات، كل تلك الأشياء؟" سوف أسمح لله أن يتحدث عن نفسه:

هَلُمَّ نَتَحَاجَجْ يَقُولُ الرَّبُّ.
إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقِرْمِزِ تَبْيَضُّ كَالثَّلْجِ.
إِنْ كَانَتْ حَمْرَاءَ كَالدُّودِيِّ تَصِيرُ كَالصُّوفِ.

(إشعياء ١: ١٨)

هل تحب ذلك؟ هل تحب أن تعرف أن كل ماضيك الجنسي، وكل الأشخاص الذين جرحتهم، وكل الأمور التي تورطت فيها، وكل الأشياء التي فعلتها، وقلتها، وفكرت فيها – كل ذلك يمكن أن يُمحى؟ يمكنك اليوم أن تحني رأسك وتصلي الكلمات التالية: "يا رب، إن هذه القصص وأيضاً كلمتك تكشف أشياءاً عني قد تكون مجرد رأس جبل الجليد. باستطاعتي بالفعل أن أرى أخطاءاً وخطايا محددة قد ارتكبتها. أنت تعلم كل هذا، لكني أريد أن أسميها في محضرك كفعل اعتراف محدد من جهتي. يا رب، يوجد لديّ .. [اضفِ طابع الشخصية على ما قد أظهره لك روح الله]. إنني أميِّز الآن هذه الأشياء باعتبارها خطايا متعمدة أو غير متعمدة قد ارتكبتها ضدك، حتى وإن كنت قد آذيت نفسي والآخرين. تفضل واغفر لي على أساس ما فعله الرب يسوع على الصليب، طهِّرني، و ساعدني على أن أعيش لك منذ الآن فصاعداً؟"

سوف يفعل. سوف يعيد الله ترسيخ وصفته للعلاقات في حياتك، بدءاً من علاقته معك. يمكنك أن تؤجل، أو ترفض قبول الأمر، لكن التكلفة سوف تكون ثقيلة. إن الله لديه شيء في ذهنه أفضل بكثير لك حتى أنك بالكاد تستطيع أن تتخيله. إن خطة الله لك، سواء كنت متزوجاً، أو أعزب، أو على وشك الزواج، ما لم يكن قد أعطاك هبة البتولية، هي أن تكون في علاقة زواج مُحبة ودافئة تتميز بالتواصل المنفتح، والكثير من الاجتهاد، والالتزام العميق، ووضع الحدود، والقيام بالأمر وفقاً لطريقة الله. سوف تأتي أوقات ترجع فيها إلى غرفة النوم، وكاحتفال وشكر لعطايا الله التي تشارك فيها، سوف تستمتع بأفضل جنس عرفته على هذا الكوكب – بلا ذنب، بلا ثقل، مُلهم من الروح القدس، كفعل عبادة ممتنة لأبيك السماوي. تلك هي الطريقة التي يفكر الله بها في الجنس والحب. فهي تنبع من النقاوة والحدود الوقائية التي منحنا إياها.

لو ظننت أنه من المستحيل أن تعيش حياة نقية جنسياً في عالم مُشبَّع بالجنس أو أنك لا تعرف ببساطة كيف تفعل ذلك، فابق معي إلى الفصل التالي.

التقييم الشخصي

١. كيف يكشف أمر الله بالزواج الأحادي (من امرأة واحدة) محبته لنا؟

٢. ما هو الارتباط بين العبادة والجنس؟

٣. لماذا، في اعتقادك، لا يزال الناس متحيرين اليوم بشأن الارتباط بين العبادة والجنس؟

٤. بأية طرق تجد القصة الختامية بشأن لاعب كرة السلة مصدراً للرجاء لك ولعلاقاتك؟

٥. ما هي الخطوات المحددة التي تحتاج أن تتخذها كاستجابة لما تعلمته من هذا الفصل:

أ. الالتزام بالنقاوة الجنسية؟

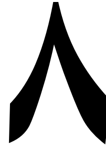
ب. إجراء حديث لوضع حدود مع صديقك / صديقتك؟

ج .طلب الحصول على مساعدة في صراعاتك مع الإدمان الجنسي؟

د. خطوات أخرى ______________________________

الفصل الثامن 

كيف تقول نعم للحب ولا للجنس الرخيص



كيف تقول نعم للحب ولا للجنس الرخيص



طار السؤال في الهواء وعبر نحوي مثل ثمرة كبيرة من الفاكهة الطازجة، وأما الذين كانوا يراقبون فقد توقعوا أن يتلطخ وجهي بعصارة الفاكهة . كنت جالساً على الأرض في غرفة السكن بالمدينة الجامعية محاطاً بستة أو سبعة شباب. كان الموضوع الذي يُناقش هو النقاوة الجنسية، وكان جو من التوتر يسود على الغرفة. وعلى الرغم من أن اثنين من هؤلاء الزملاء كانا مؤمنين ويناصرانني بشكل واضح، إلا أن المناخ كان عدائياً بالتأكيد عندما كان الأمر يتعلق بأي شيء يقوله الكتاب المقدس عن الجنس.

طرح أحدهم أخيراً سؤالاً كان في كل الأذهان وقد اعتقد معظمهم أنه بلا جواب. كان أحد تلك الأسئلة التي أربكتني في أغلب الأحيان باعتباري شاباً مؤمناً. غير أنني كنت مستعداً له في هذه المناسبة الخاصة. انحنى الشاب، الذي كان واضحاً أنه قائد المجموعة، وقال، "أنتم المسيحيون تستخدمون دائماً الكتاب المقدس للإجابة عن الأسئلة. لست متأكداً ما إذا كان يمكنني أن أثق به. هل تستطيع إذن أن تعطيني سبباً مقنعاً بدون الاقتباس من الكتاب المقدس لماذا يجب عليَّ أن أدَّخر الجنس للزواج؟"

سادت لحظة من الصمت الصعب. وبدا أن المجموعة قد ابتهجت عندما جاهر أحدهم

بإحباطهم. كان الشابان المؤمنان يأملان بالتأكيد أن آتي بشيء جيد؛ بينما اعتقد الآخرون على ما يبدو أنني قد وُضعت في مأزق. وبعد صلاة قصيرة ممتنة لله لأجل ما علّمني إياه في الماضي، قلت، "سوف أعقد اتفاقاً معكم جميعاً. هل ستستمعون لما يقوله الكتاب المقدس عن ادخار الجنس للزواج لو أنني قدمت لكم ليس سبباً واحداً بل خمسة أسباب جيدة ليست في الكتاب المقدس لادخار الجنس للزواج؟"

فاجأهم ردي بالتأكيد. فنظروا لبعضهم بعضاً بمزيج من الحيرة والفضول. وعندما نظروا إليَّ مرة أخرى باتفاق حذر، علمت أنني لو قدمت لهم خمسة أسباب جيدة لعدم ممارسة الجنس حتى وقت الزواج، سوف يسمحون لي على الأقل أن أعرض ما يقوله الكتاب المقدس فيما يتعلق بالحب، والجنس، والعلاقات الدائمة.

هذا السيناريو الذي وصفته قبلاً يمثل نتائج محادثات أجريتها على مدى العشرين عاماً الماضية مع طلاب الجامعة. وعلى الرغم من أنني لا أستطيع أن أتذكر تفاصيل كل المواقف، إلا أن المزاج، والأسئلة، والقضايا ظلت هي نفسها. فعندما يتعلق الأمر بالحب، يظل الجوع للتوجيه والحق مختبئاً فحسب تحت السطح في حياة معظم الناس. هناك مختصر بأسفل للأسباب الخمسة التي قدمتها في عدد لا حصر له من المجموعات. وهي لا تستند إلى مقاطع كتابية بل إلى البحث العلمي.

خمس حقائق عن الجنس

ها هي خمس حقائق هامة بشأن النقاوة الجنسية جمعتها من بعض التقارير المنشورة:

١- إن الذين يمتنعون عن الاتصال الجنسي قبل الزواج يبلغون أعلى مستويات الإشباع الجنسي في الزواج. ففي الواقع، إن الذين يذكرون أنهم قد وصلوا إلى أعلى مستويات الإشباع الجنسي في حياتهم لم يتورطوا في علاقات متعددة مع الجنس الآخر بحثاً عن الشريك المناسب في الوقت المناسب. إن البحث الذي أُجري بواسطة مجموعة بثيسدا

البحثية المذكور في الواشنطن بوست عام ١٩٩٤ قد خلص إلى هذه النتيجة، "إن الأشخاص الذين يؤمنون بقوة أن الجنس خارج إطار الزواج خاطئ هم أكثر إشباعاً في حياتهم الجنسية بنسبة ٣١٪".

٢- إن الذين يعيشون معاً قبل الزواج لديهم إمكانية أعلى بنسبة ٥٠٪ للطلاق من هؤلاء الذين لا يفعلون ذلك". وقد اكتشف الباحثون في UCLA أن الذين يعيشون معاً قبل الزواج لا يعانون فقط من مستوى أعلى للطلاق لكن، هناك احتمال أكثر أن يتورطوا في الزنا ما أن يتزوجوا.

٣- وفي المقابل، ذكرت جامعة ساوث كارولينا في بحث لها أن الذين يمتنعون عن الاتصال الجنسي قبل الزواج لديهم أعلى معدلات الوفاء الزوجي.

٤- "يُعتبر التورط الجنسي في علاقة مواعدة دائماً دلالة على انهيار تلك العلاقة". فقد صرح الطبيبان ليس وليسلي باروت بهذا البيان بعد التقابل مع آلاف العُزَّاب في الجامعات. وقد ناقشنا ذلك في وقت سابق.

٥- "الأمراض التي تنتقل جنسياً، بما فيها الإيدز، يمكنها أن تظل خامدة، بدون أعراض (أي لا تعرف أنك تعاني منها)، لمدة عقد أو ما يزيد، لكنها تنتقل إلى الآخرين أثناء ذلك الوقت". كما أن الانتشار المتفشي للأمراض التي تنتقل جنسياً يكذِّب بشكل قاطع أولئك الذين يحاولون الادعاء بأن الاتصال الجنسي هو مجرد نشاط ترفيهي غير مؤذٍ ينبغي ممارسته مع أكبر عدد ممكن من الشركاء. غير أن الأشخاص يدفعون حياتهم وصحتهم من أجل قبول تلك الكذبة.

كما ترون فيما سبق، كلما كانت محاولاتنا في تنفيذ نموذج هوليوود بطريقة متكررة كلما توافرت الأدلة على أن تلك الخطة لاتجدي نفعاً. فإن البحث العلمي على مدى العقود الماضية قد أظهر بشكل كبير أن وصفة الله تدِّخر لنا في الواقع أفضل الفوائد. علاوة على ذلك، فإن نتائج البحث تدِّعم التعليم الكتابي في كل اتجاه. ومع ذلك فعلى الرغم من أن هذه البيانات منشورة في الإعلام الأكثر توزيعاً، إلا أن تأثيرها على ما يبدو قليل. لماذا؟ لأن

صوت رسائل هوليوود يحجب الفطرة السليمة. إن ما يحزنني عندما أنظر إلى الحقائق المذكورة بأعلى هو أنها تعرض مثل هذا البرهان المدمر عن الحطام الموجود في حياة الناس. ففي الوقت الذي تحولت فيه هذه الحقائق إلى إحصائيات، نجد أن الكثيرين يعانون من أخطاء كان من الممكن تفاديها. لهذا السبب تتمتع وصفة الله بمثل تلك القيمة؛ فإنها تعرض طريقة للحياة تتوقع حدوث الصراعات والإغراءات لكنها تقدم لنا طريقاً عبر حقول ألغام المشاكل والأخطاء التي سنتعثر فيها، لو أننا حاولنا استكشاف الحياة ونحن نمضي. أتمنى أن تكون مستعداً، على مثال شباب المجموعة الذين ذكرتهم فيما سبق، لكي تفكر جدياً فيما يقوله الكتاب المقدس بشأن العلاقات. هناك حقيقتان هامتان يجب أن تفهمهما بشأن الجنس في وصفة الله.

الحقيقة الأولى. العلاقات المُحبة تتطلب النقاوة الجنسية

لم أذكر هذه الحقيقة بهذا الوضوح من قبل، لكن العلاقات المُحبة تتطلب النقاوة الجنسية. إنني أتعجب للسهولة التي يمكننا أن نسقط بها في العقلية التي تفترض أننا نستطيع أن نزرع بذور الفساد الجنسي ثم نتوقع أن نجني حصاداً من العلاقات المُحبة. وقد برهنت قصة صديقي الرياضي في نهاية الفصل الماضي كيف يمكن أن يكون مُدمِراً أن نجني حصاداً من الموت العاطفي بعد بضع سنوات من السلوك المتساهل مع الذات. فلو أن كل النماذج الموجودة في الخليقة أخبرتنا أننا نحصد ما نزرعه، عندئذ يجب أن نستنتج على الأرجح أننا لو أردنا حقاً أن نحصد علاقات مُحبة، فلابد لنا أن نزرع بذوراً تُنتج تلك النتائج – وتلك البذور هي النقاوة الجنسية.

السلوك في المحبة

كل الأبحاث التي اقتبستها للتو تثبت نوع الحصاد الذي نراه في حياة الناس كل يوم نتيجة للعلاقات. فلو أننا زرعنا بذور الشهوة الطائشة، أو بذور استغلال الناس وإساءة معاملتهم، أو بذور الجنس العشوائي والمتعة المتمركزة حول الذات، لا ينبغي علينا أن نتعجب من حقول الأعشاب السامة التي تغطي حياتنا. لكن لو أردنا أن نحصد العلاقة الحميمة،

العميقة، المُحبة، فإننا نحتاج إلى فهم أن العلاقة المُحبة تتطلب النقاوة الجنسية. وهذا الأمر ليس اختيارياً. هذه الحقيقة تشكِّل أساس كل ما قلناه حتى الآن.

عندما فحصنا أفسس ٥: ٢-٤ وما الذي يعنيه "السلوك في المحبة"، كان بإمكاننا أن نُدرج النقاوة الجنسية باعتبارها أحد الإيضاحات البارزة للكيفية التي نحقق بها تلك النوعية من الحياة. عندما نسلك في المحبة، فإننا نحب الناس حقاً. وذلك يتضمن أفعالاً تقوم بها وأفعالاً تدخرها للوقت المناسب. عندما تحب الأشخاص حقاً، ولا تشتهيهم فحسب، فإنك تفعل ما هو الأفضل بالنسبة لهم. فتقدم تضحيات. وتكون ناكراً للذات. وتكون معطاءاً. وتهتم بشأنهم وبما يحصلون عليه بدلاً مما تريده أنت. عندما تقوم بذلك، فإنك بذلك تتبع مثال المسيح.

في المقابل، فإن الحب ليس مجرد فعل إيجابي. لو كنت تحب شخصاً ما حقاً، فإنك تختار ألا تقوم ببعض الأمور، لأن القيام بها سوف يكون مدمراً كما أنه قد يهدم العلاقة. إن مناقشتنا عن الزنا، والنجاسة، والطمع (أفسس ٥: ٣-٤) قد حفرت بعمق في الطرق الكثيرة التي تعزز بها ثقافتنا تلك الأنواع عينها من السلوك العلاقاتي التي تُعتبر مدمرة للذات، كما أنها تنتج علاقات مختلة وظيفياً.

باختصار، إن الله يؤيد الجنس تماماً، في سياق النقاوة الجنسية. لقد تقابلت مع أشخاص كثيرين (وكنت واحداً منهم) وهم يسألون، "أين يقول الكتاب المقدس إن الجنس خارج الزواج أمر خاطئ؟" هذا السؤال لا يُظهر أنه من الصعب إيجاد ما يقوله الكتاب المقدس عن الجنس؛ إنه يوضح أن هذا الشخص لم يقرأ الكتاب المقدس. فإن وصفة الله موجودة وواضحة في كل المواضع بالكتاب المقدس. لا يمكن للأمر أن يكون أكثر وضوحاً. فالجنس خارج إطار الزواج خاطئ. وهو ليس خاطئاً لأن الله متزمت. وليس خاطئاً لأن الجنس سيء. إنه خاطئ لأن العلاقة المُحبة تتطلب النقاوة الجنسية. فالحب الأصيل معطاء، غير أن الجنس المحظور يتعلق بالاشتهاء والتملك. الجنس الرائع هو في الواقع نتيجة للنقاوة الجنسية – راجع الأبحاث!

إن اللّٰه يصون الحميمية والجنس داخل مظلة عهد الزواج باعتباره انعكاساً لقداسته ومحبته. فقد جعل في الحياة بعض العواقب التي تنبع كنتيجة للسلوك غير المُحب، والأناني، والمدمر، وذلك حتى يجذب انتباه الناس ويقدم لهم طريقاً للعودة. لهذا السبب توجد أمراض. ولهذا السبب ينفصل الناس. ولهذا السبب عندما تعيشون معاً قبل الزواج، فإن إشباعكم الجنسي يقل، ويرتفع معدل الطلاق. إن اللّٰه يحبك جداً حتى أنه توجد عواقب عندما تقوم بأشياء خارج إرادته – من أجل منفعتك المطلقة.

يقول بعض الناس، "سوف ألوي ذراع اللّٰه. لست أريد علاقات مُحبة لو كان ثمنها النقاوة الجنسية. فإنني أريد ما أريده. كما أنني أريد أن أكون مُشبعاً مهما كلف الأمر أو بغض النظر عمن سيُجرح!" حسناً، إن كلمة اللّٰه تَعِد بعواقب، وآخرها هو تلك الدينونة الرهيبة التي نقرأ عنها في أفسس ٥: ٥: "حسناً، ليس هناك إرث في ملكوت اللّٰه" (هذه هي إعادتي للصياغة). على قدر ما تتعلق دعوة "السلوك في المحبة" بعلاقاتنا مع الآخرين، فإنها تتعلق أكثر بعلاقتنا مع اللّٰه. فإلى جانب وصية "السلوك في المحبة" (أفسس ٥: ٢)، نجد أيضاً وصية "السلوك في النور" (أفسس ٥: ٨).

السلوك في النور

بعد أن أخبر بولس الرسول الأفسسين عن أهمية "السلوك في المحبة" وعواقب عدم القيام بذلك، عاد إلى السؤال العملي عن وصفة اللّٰه للحياة في محبة في أفسس ٥: ٧-١٠

"فلا تكونوا شركاءهم. لأنكم كنتم قبلاً ظلمة وأما الآن فنور في الرب. اسلكوا كأولاد نور. لأن ثمر الروح هو في كل صلاح وبر وحق. مختبرين ما هو مرضي عند الرب."

يقول بولس، "ما أن تروا العالم لا يسلك في المحبة، لا تشتركوا في طريقة عيشهم". بكلمات أخرى، لا تكونوا شركاءهم. لا تشتركوا. لا ترتبطوا بهم. لا تعيشوا بعد الآن وفقاً للطريقة التي كنتم تعيشون بها قبلاً. لا تفكروا كما يفكرون ولا تشاهدوا ما يشاهدونه. لا تنظروا إلى الجنس بنفس الطريقة التي ينظرونه بها. لا تغازلوا خيالات بشأن الجنس كما يفعلون. لماذا؟ الجملة التالية تجيب عن هذا السؤال الحتمي. "لأنكم كنتم قبلاً ظلمة وأما

الآن فنور في الرب". هذا لا يتعلق بالقوانين والأحكام – لكنه يتعلق بالحياة الجديدة. يصف الكتاب المقدس بشكل ثابت نظرة العالم باعتبارها ظلمة. ما أن نكون قد رحَّبنا بالنور، لا يمكننا أن نعيش في الظلمة فيما بعد.

إنني أتذكر الظلمة. أتذكر اليأس والقنوط من جراء العيش لنفسي. وأعرف ما فعله ذلك لعلاقاتي. أعلم أنكم تعرفون ما الذي فعله ذلك لعلاقاتكم. فقد كنا ظلمة. لكن ما أن بدأنا أنا وأنت نعرف المسيح، وُضع ماضينا خلفنا إلى الأبد. فقد غُفر لي وغُفر لك (أو يمكنك أن تحصل على الغفران، لو لم تكن قد اعترفت بشخص المسيح بعد). فعندما نقبل المسيح، ونتوب عن خطايانا، ونستقبل الغفران، يأتي روح الله لحياتنا. وننال التبني في عائلة الله. نحن "أولاد النور". لقد تغيرنا. ونحن مُرغمون بواسطة هذه الحياة الجديدة فينا أن نعيش بطريقة جديدة وأفضل – وهي طريقة الله.

قد تسأل، "كيف يُشبَّه السلوك في النور؟" أظن أن الله كان يعرف أننا كنا سنطرح هذا السؤال، لهذا السبب أعطانا إجابة واضحة في أفسس ٥: ٩. هناك ثلاثة أنواع من الثمار أو البراهين على السلوك في النور – الصلاح، والبر، والحق. دعوني أُعرِّف تلك الكلمات لكي أساعدكم على تخيُّل أنفسكم كأبناء لله يسلكون في النور بالرغم من العيش في ثقافة مُشبَّعة بالجنس.

إن كلمة **صلاح** تتعلق بالطبيعة الشخصية. فالصلاح هو المحبة في حالة فعل. إنه تحقيق التفوق الأخلاقي المتحد مع الروح السخي. فإنك تصبح ذلك النوع من الأشخاص الذي لا يحاول أن يأخذ، أو يكسب، أو يحتال. فتكون، بدلاً من ذلك، ذلك النوع الذي يريد أن يعطي، ويبارك، ويشجع.

كانت تُستخدم كلمة **بر** في الثقافة اليونانية القديمة لوصف شخص يعطي لكل ذي حق حقه بعدل، وذلك سواء في علاقته مع الله أو مع الإنسان. يتجلى البر بحياتنا في الإنصاف، والعدل، ورعاية الآخرين. فإننا نعرف ما يصح فعله ونفعله. ولا توجد لدينا برامج خفية.

الحق هي كلمة جميلة تستحق منا أن نتأملها باستمرار. فهي تتضمن فكرة ممارسة النزاهة وإعادة الجمال إلى العلاقات. الحق يتضمن الأمانة، والنقاوة، والبهجة، والكمال. فقد كان الرسول يقول، "كأولاد النور، باشروا العلاقات بحيث تُخرجون الصلاح بدلاً من محاولة الاحتيال والكسب. اعرفوا ما يصح القيام به وافعلوه! وأقيموا علاقات فيها حق وجمال وحميمية – علاقات لا تستند على الألاعيب بل على الله ووصفته للحب".

هاتان العبارتان تصوران حلم الله لك – السلوك في المحبة والسلوك في النور. إن حقيقة أن هذه العبارات غريبة بالنسبة لمفرداتنا العلاقاتية هي برهان على الظلمة التي لا تزال تخترق ثقافتنا وحياتنا فنحن لا نزال نبيح تعدد العلاقات ونحاول العثور على شخص من خلال جاذبيته الجنسية. إن هذا الأمر خاص بأن نقوم بألاعيب نكتشف بها مدى ما نستطيع أن نذهب إلية وأن يكون لدينا زواج روتيني وفي نفس الوقت تكون لدينا علاقة سرية بالصور الإباحية، أو قول الفكاهات البذيئة، أو البراعة في التلميح. هذه السُحُب من الظلمة تلوث وتحجب روعة، وهيبة، وجمال ما قصده الله لي ولك. فإنه يريد لك شيئاً أفضل جداً. وحلمه يُبرز العلاقات المحِبة التي تتطلب النقاوة الجنسية.

قد تبدو النقاوة الجنسية في هذا العالم المُشبَّع بالجنس مستحيلة بالنسبة لك. حسناً، إنني على وشك ان أقول لك إنها ليست ممكنة فحسب؛ بل إن المكافآت هائلة. ما الذي يتطلبه الأمر إذن للهروب من الأنماط المُشبّعة جنسياً لدى ثقافتنا؟ إنه يتطلب خطة لعب مدروسة بدقة. هذا يأتي بنا إلى الحقيقة الثانية بشأن الجنس في وصفة الله.

الحقيقة الثانية . النقاوة الجنسية تتطلب خطة لعب

مازال نظرنا حتى الآن مركزاً على خمسة أسباب قوية بعيدة عن البرهان الكتابي لأجلها يُعتبر ممارسة الجنس قبل الزواج، قراراً سيئاً. وكما لاحظنا، فإن خطة الله تبرهن على حكمتها عن طريق التنبؤ بما يؤكده البحث العلمي. بكلمات أخرى، يمكنك أن تتوقع بعض النتائج لو أنك اتبعت وصفة الله:

• لو بقيت نقياً جنسياً، يمكنك أن تتوقع عندئذ أن تحصل على جنس أفضل في زواجك.

• لو بقيت نقياً جنسياً، يمكنك أن تتوقع عندئذ انخفاض احتمالية الطلاق بنسبة ٥٠٪.

• لو بقيت نقياً جنسياً، يمكنك أن تتوقع إذن دوام علاقتك.

• لو بقيت نقياً جنسياً، يمكنك أن تتوقع إذن تجنب الأمراض التي تنتقل جنسياً وتدمر حياة الكثيرين جداً.

• لو بقيت نقياً جنسياً وقبلت شخصاً باعتباره شريك حياة يعيش وفقاً لنفس القيم، يمكنك أن تتوقع إذن أن يظل كل منكما وفياً للآخر عندما تتزوجان.

لكنك ستُمنى بالفشل لو أنك سلكت في العالم متسلحاً فقط بالحقائق الفكرية. ذلك لأنك ستوَاجه بمشكلة ضخمة عندما تعتبر وصفة الله للحب، والجنس، والعلاقات الدائمة موقفاً أكثر منطقية فإننا، للأسف، لا نتخذ قرارات استناداً على معرفتنا الفكرية أو العمليات المنطقية فقط، خاصة عندما يتعلق الأمر بهرموناتنا. نحتاج ما هو أكثر جداً من الحقائق.

نحن البشر كائنات عاطفية تتخذ بعض أهم قراراتها وفقاً للاندفاعات والضغوط. فكروا للحظة في آلاف الأشخاص الذين يدركون المخاطر المثبتة للتدخين، وتعاطي الخمور أثناء القيادة، والتخمة غير أن أفعالهم تناقض تماماً معرفتهم بالحقائق. نفس هذا المبدأ ينطبق على الطريقة التي نتعامل بها مع الجنس. وهكذا لن تكون الحقائق كافية لضبط أفعالنا.

بإمكاني أن أقدم تخميناً بارعاً وهو أنكم لو أغلقتم هذا الكتاب الآن، فسوف تعانون في الأربع وعشرين ساعة القادمة من بعض النكسات البالغة في محاولة تطبيق وصفة الله في حياتكم، حتى لو كنتم عازمين تماماً على القيام بذلك. سوف تكون هدفاً سهلاً. ما بين عاداتك وفخاخ ثقافتنا، وقبل أن ينتهي اليوم، ربما تشاهدون مباراة كرة قدم أو حدثاً

رياضياً آخر يتضمن ما يكفي من الإعلانات مع بعض التلميحات والرسائل التي ستُرسِّخ أفكاراً لا شعورية في ذهنك مثل هذه: **"**لو أنني حصلت فقط على هذا النوع من البيرة، أو هذا النوع من السيارات، أو ذلك النوع من مزيل رائحة العرق، لسقطت السيدات الرائعات عند أقدامي**"**. أو، لو كانت الإشارة إلى الجنس أكثر وضوحاً، فستقدم هذه الرسالة اللاواعية، **"**لو بدأت أستخدم نفس ذلك النوع من الزبد النباتي، أو ارتديت تلك الملابس الداخلية، سوف يظهر شاب وسيم ذو شعر مموج وعضلات مفتولة في غرفة معيشتي ويعلن، **"**حبيبتي**!** لا أصدق أنه زبد، ولا أصدق أنني معكِ**!"**

أنا أمزح، لكن النقطة هي أننا، أنا وأنت، أصبحنا محاطين بشدة بترويجات نموذج هوليوود الجنسي. فالحياة تمتلئ بالفخاخ القاتلة التي نتعثر فيها بسبب الأشياء التي نسمعها ونراها طوال الوقت. نعم، تحتاج أن تمتلك أسباباً جيدة وقوية لأن نحيا وفقاً لوصفة الله. تحتاج أن تثق في عونه. لكنك تحتاج أيضاً إلى شيء أكثر من ذلك**:** تحتاج إلى خطة لعب**!**

فبدون خطة لعب، يكون الحفاظ على النقاوة الجنسية أملاً كاذباً. لو كانت رغبتك الصادقة هي أن تحيا حياة نقية جنسياً من أجل كل الأسباب المذكورة بأعلى وأهمها إرضاء الله وإعداد نفسك لأفضل حب، وجنس، وعلاقة دائمة، يوجد رجاء. توجد بأسفل أربع خطوات محددة يمكنك أن تتخذها لتطوير خطة لعب (أو معركة) تساعدك على أن تحيا الحياة وفقاً لطريقة الله في مجال النشاط الجنسي.

الخطوة ١. طوِّر قناعات

الخطوة الأولى هي تطوير قناعاتك. فالنقاوة تتطلب التزاماً شخصياً للحق. والحق الخاص الذي أتحدث عنه هو الآيات ٢-٤ من أفسس ٥. فالحق الكتابي يحرِّم الجنس من أي نوع خارج قصد الله القانوني لرجل واحد وامرأة واحدة داخل التزام الزواج. قل بقلبك وذهنك، **"**لن أذهب إلى هناك. لن أذهب إلى هناك ذهنياً، لن أذهب إلى هناك في كلامي. لن أذهب إلى هناك في أسلوب حياتي**"**. هذا يجعل الأمر التزاماً شخصياً، أي قناعة سوف تؤثر على اختياراتك. لا أقصد الموافقة فكرياً على ما يقوله الكتاب المقدس أو ما أعلنه البحث. ولا

أقصد تبني معتقدات الآخرين الذين تحترمهم. أنا أتحدث عن قناعة شخصية تقر بمقياس معين. فتقول من قلبك، "سوف أصنع بملء إرادتي التزاماً شخصياً لكي أحيا حياة يكون فيها ذهني نقياً جنسياً، وكلامي نقياً جنسياً، وأفعالي نقية جنسياً. سوف أفعل الأمر وفقاً لطريقة الله سواء كنت متزوجاً أو أعزب".

أدرك أن كثيرين منكم ربما لا زالوا يتساءلون، "ما هو الفرق بين الاعتقاد في شيء ما فكرياً وامتلاك قناعة؟" دعوني أقدم لكم صورة. عندما كنت حديث العهد بالمسيحية في أيامي الأولى بالجامعة، وُجِّهت إلى قراءة الكتاب المقدس. وقد قرأت العهد الجديد بالكامل بضع مرات لكنني كنت أتوه عادةً في العهد القديم. وقد اشتركت في مجموعات لدرس الكتاب، لكن مناقشاتنا كانت خفيفة إلى حد كبير – بالقدر الذي أستطيع أن أتعامل معه فحسب.

كنت في مدرسة قدمت لي بعض المساعدة المالية مقابل مساهمتي الرياضية وواجبات أخرى كانت تفرض عليّ. وكجزء من نفقة غرفتي وطعامي، عُيِّنت نزيلاً معاوناً وأوكلت إليَّ مسئولية طابق في مبنى النوم. وكان جزء من التدريب لهذا الدور يتضمن حلقات دراسية كانت شائعة في السبعينات عن توضيح القيم. وكانت معظمها عبارة عن تفاصيل دنيوية وبديهية. غير أن أحد التمرينات الجماعية بدَّل حياتي إلى الأبد. فقد جمعنا قادتنا معاً في وسط غرفة واسعة، مرسوماً على أرضيتها خط من الطرف إلى الطرف الآخر: وقد قال أحدهم إننا سنجيب على بعض الأسئلة الهامة - جسدياً. كان الخط على الأرض سلسلة متصلة، فقد كان طرفه يمثل موافقة تامة على تصريح ما والطرف الآخر اختلافاً تاماً مع تصريح ما. بعد قراءة التصريح، كان علينا أن نمشي إلى الموضع الذي يمثل بأكثر وضوح ما كنا نؤمن به.

كنت أعرف معظم الطلبة الآخرين في المجموعة وكان اثنان منهم، دانا وجانا، جزءاً من درس كتابي كنت أحضره. قال القائد، " ها هو التصريح الأول: الجنس قبل الزواج أمر خاطئ. الذين يوافقون، يتحركون نحو اليمين؛ والذين يختلفون، يتحركون لليسار". من

ضمن السبعين طالباً الذين كانوا في الغرفة، تّحرك سبعة وستون منهم إلى أقصى اليسار، مُعلنين بتصرفهم (والعديد من التعليقات المسموعة)، "نحن نختلف مع ذلك تماماً". واتجهت دانا وجانا إلى أقصى اليمين، وهما متفقتان بلا قيد ولا شرط مع التصريح. هناك شاب واحد سار في اتجاه دانا وجانا، ووقف على بعد خطوتين إلى يمين خط الوسط. ذلك الشاب كان أنا.

كانت لديّ مشكلة، فقد كنت أرغب في التحرك قليلاً في الاتجاه الصحيح، غير أنني لم أكن ملتزماً ولم أكن ثابتاً. كان لديّ اعتقاد فكري بأن الجنس قبل الزواج أمر خاطئ، لكن قناعتي لم تكن قد تطورت بشكل كامل. لم أكن أؤمن إلى درجة التصرف بشكل منفتح وفقاً لذلك الإيمان مائة بالمائة طوال الوقت. ليس هناك ما يماثل الضغط الاجتماعي أو ضغط الأنداد لإثبات قوة قناعاتنا (أو قلّتها).

لقد دخل الإيمان قلبي منذ عامين مع أنني نشأت في بيت لديه قيم جيدة إلى حد كبير. واعتقدت أنني أعرف أين كنت أقف – حتى حان الوقت للوقوف هناك! نظرت عبر الأرضية إلى السبعة وستين شخصاً الذين كانوا يقولون، "هل جُننتم؟ تمتعوا بحياتكم! غرف النوم المختلطة هي الطريقة التي يجب أن نطبقها. والحب الحر هو الإجابة". كان بإمكاني أن أرى من خلال نظراتهم، "هل تؤمنون بذلك حقاً؟" كان عدد الفتيات يفوق نصف العدد – وكنت مُعجباً بثلاثة أو أربعة منهم. أترون الفرق؟ لقد بيّنت بشكل حزين منظومة معتقداتي الجزئية. بينما برهنت دانا وجانا على قناعتهما.

ما الذي تمتلكه فيما يتعلق بالنقاوة الجنسية – منظومة معتقدات اختيارية أم قناعات صلبة كالصخر؟ عندما تغلق هذا الكتاب وتفتح التليفزيون أو تذهب إلى موعدك التالي، كيف ستُثبت أفعالك ما تؤمن به حقاً؟ كيف يؤثر ما تقول أنك تؤمن به على ما تفعله برغباتك الجنسية المُلحّة؟ بأية طرق تبيّن قناعاتك عندما تدخل على الإنترنت أو تمر بمحل يعرض كل ما يختص بالجنس وتلاحظ كل تلك المجلات؟ ماذا يحدث لقناعاتك عندما تبدل قنوات التليفزيون وتجد مشهداً شهوانياً في مسلسل يعالج مشاكل الحياة المنزلية وأنت تعلم أن هذا نقيض كل ما تؤمن به بشأن الحب التقي؟ هل ستندمج فيه أم تعبّر عن

قناعاتك بواسطة جهاز التحكم عن بعد؟ هل توجد لديك قناعة أمام الله تقول، "سوف أحوِّل القناة فوراً، ليس لأن شخصاً آخر يشاهد بل لأني مقتنع أن الله يحبني جداً حتى أنه سمح ليسوع بأن يموت على الصليب لأجلي لكي يعتقني من السلوك المدمر للذات. إنه يهتم بي جداً لذلك فسوف أعيش حياتي وفقاً لطريقته. ليس بسبب أي شخص أو أي شيء آخر. هذا الأمر هو بيني وبين الله – بغض النظر عن ردود الأفعال التي تصلني من الآخرين. سوف أعيش حياتي وفقاً لطريقة الله". تلك هي القناعة.

الخطوة ٢. فكِّر ملياً في العواقب

الخطوة الثانية من خطة العمل الخاصة بالله هي التفكير ملياً في عواقب الخطية الجنسية. تُعدِّد أفسس ٥: ٥-٦ بعض العواقب الثقيلة. فإن الذين يعيشون الحياة، والعلاقات، والنشاط الجنسي خارج حدود طريقة الله سوف يختبرون في نهاية الأمر غضب الله. إن التفكير في العواقب يمكن أن يثير قدراً من الخوف، وذلك لا بأس به. إذ يمكن للخوف أن يكون حافزاً شرعياً وصحياً للرضا في المستقبل.

نحتاج أن نفكر ملياً وبحذر في الثمن الروحي لعدم عيش الحياة وفقاً لطريقة الله عندما يكون لدينا إغراء للانغماس في الخيالات الجنسية أو السلوك الجنسي. نحتاج أن نتذكر مشاعر الذنب والخزي التي تتبع دائماً الخطية الجنسية وما الذي تفعله لعلاقتنا مع الله. لابد أن نجبر أنفسنا على حساب تكلفة هذه العلاقة لما سيفعله ذلك بالشخص الذي نتورط معه أو بشريك حياتنا أو بأطفالنا. سوف ترتدع بشدة عندما تتخيل أنك ستقضي عمراً بأكمله مع الإيدز أو مع مرض جلدي تناسلي في مقابل بضع لحظات من اللذة. أو تأمل الثمن المالي الذي ستدفعه عندما تكتشف أن صديقتك حامل، أو عندما يتسبب شغفك غير المكبوح في هدم منزل وتجد نفسك تدفع مصاريف الطلاق، ورعاية الطفل، والنفقة.

إنني أجد التفكير في العواقب صحياً جداً. فعندما أواجه أنواع الإغراءات التي أعرف أنك تواجهها أيضاً، فإنني أتصور في ذهني أنني أدعو إلى جلسة عائلية وأضع أطفالنا الأربعة صفاً على الأريكة، وزوجتي جالسة تبكي في الركن البعيد من الغرفة. أتخيل محاولتي إخبارهم أنني قد أفسدت الأمر بعد كل الأشياء التي وعظت عنها في الخمس وعشرين سنة

الماضية. أنكمش في نفسي كلما فكرت في النظرة التي أراها في عيون ابنتي وأنا أقول لها إنني خنتها وخنت والدتها، أو النظرة التي أراها في عيني أبنائي لو أخبرتهم أنني قد تورطت في مشاهدة الصور الإباحية بعد كل تلك المحادثات التي خضنا فيها بشأن مخاطرها. ثم، بعد السماح لذهني بتمثيل هذه المشاهد المؤلمة للعواقب، أتخيل نفسي وأنا أقف أمام مجموعة من الأشخاص الذين وثقوا فيَّ وشاركوا حياتهم معي، وأسمع نفسي وأنا أعترف بإخفاقي. فأرى الخيبة، والغضب، والحزن، والضياع في وجوههم. وأسمع الهمسات، "أترى، إن الأمر برمته عار. لقد وعظ بهذا الكلام، لكنه لم يعشه".

هذا التفكير بشأن العواقب يجب أن يكون شديد الوضوح وصادقاً. يجب أن ينزع كل إحساس بالثقة في أنفسنا وفي قدرتنا على البقاء مخلصين لخطة الله اعتماداً على أنفسنا. فالكتاب المقدس يحذر، "إذاً من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط" (كورنثوس الأولى ١٠: ١٢). إن التفكير ملياً في العواقب سوف يخلق إحساساً صحياً من الخوف ويقودك إلى الله – وينبغي عليه أن يفعل ذلك.

لو بدا ذلك كله مأساوياً للغاية، ادرس شهادة الكتاب المقدس. فإن القراءة عن الملك داود، وهو "رجل بحسب قلب الله" قد أخفق أخلاقياً، يذكِّرني بأننا جميعاً ضعفاء. أتذكر أنني درست المقطع الذي يتحدث عن زنا داود مع بتشبع فكتبت في هامش كتابي المقدس، "إنه ليس رجلاً سيئاً، لكنه رجل صالح في لحظة ضعف". إن كلمة الله واضحة: أي رجل صالح، أو امرأة صالحة، في لحظة ضعف، في مواقف معينة، يمكن أن يصلا إلى الحافة أخلاقياً. إن ما يكشفه لي ذلك هو أن هناك احتياج لجرعة جيدة، وصحية من الخوف لتعضيد مقاصدي. يخبرنا كاتب الأمثال، "بدء الحكمة مخافة الرب" (٩: ١٠أ). فالحكمة ليست مجرد فطنة عقلية. الحكمة هي مهارة وفهم لكيفية عيش الحياة وفقاً لطريقة الله – لاختبار بركة الله وإحسانه.

الخطوة ٣. قرر أفعالك مُسبقاً

الخطوة الثالثة من خطة العمل هي صنع قرارات مُسبقة. يُعتبر صنع القرارات مقدماً

أمراً ضرورياً على الإطلاق للنقاوة الجنسية. تخبرنا أفسس ٥: ٧-٩ أن نسلك كأولاد النور. توجد نواحي معينة في حياتنا الروحية تتطلب منا أن "نثبت" ونحارب مع العدو (انظر أفسس ٦: ١٠-١٧). لكن توجد نواحي معينة في حياتنا الروحية تتطلب منا أن نهرب.

تصف تيموثاوس الثانية ٢: ٢٢ ما الذي يعنيه الهرب: "أما الشهوات الشبابية فاهرب منها واتبع البر والإيمان والمحبة والسلام مع الذين يدعون الرب من قلب نقي". الفكرة هنا هي الابتعاد عن الشهوة الشبابية. إن الأمر لا يتعلق بكونك قوياً؛ بل يتعلق بمعرفة متى تنسحب. تخيَّل أنك متواجد مع صديقتك أو صديقِك في الساعة الثانية والنصف صباحاً، في الطابق السفلي متمددين على الأريكة. فإنك تبرر الأمر، نحن نشاهد فيلماً. غير أن لديكما نزوات وهرمونات لا تستجيب للتفكير العقلاني. فإنكما تهتمان بأمر أحدكما الآخر الآن بعمق، وتظنان أنكما لن تنتقلا أبداً أبعد مما تفعلانه الآن. لكن طالما بقيتما في هذا الوضع المغري، فسيكون من السهل سقوطكما – ليس لأنكما ضعفاء، وليس لأنكما أغبياء، وليس لأنكما تفتقدان للالتزام، لكن لأنكما في وضع غواية وليست لديكما القوة على مقاومته.

تنطبق هذه المقارنات سواء كنا نتحدث عن غذاء "بريء" مع زميلة عمل فاتنة أو زيارات عادية لموقع شبهِ إباحي على الإنترنت. إن وضع أنفسنا في هذه المواقف يشبه احتضان النار ثم نتسائل لماذا أُصبنا بحروق بالغة. أنا وأنت لسنا أقوياء بما فيه الكفاية في وجه العديد من الإغراءات. لا يوجد أحد قوي. إن مفتاح رد فعلنا هو القرارات المسبقة. دعوني أقدم لكم بضعة أمثلة.

عندما تبدأ الفكاهات البذيئة في العمل أو المدرسة. أتذكر أنني كنت في غرفة المدرسين عندما كنت أعلِّم بالمدرسة. كانوا يبدأون بالأشياء البذيئة، وكنت أقول لهم إنني يجب أن أنصرف. في أوقات أخرى كنت أقول لهم، "يا جماعة، لا أعتقد أن ذلك لائق". إنه صنع القرارات مسبقاً.

عندما يُعرض شيء في التليفزيون منافٍ للأخلاق أو إيحائي، لو كان هناك عرض يبدأ

فيه الأشخاص بخلع ثيابهم وشعرت أنك مُنجذب، استخدم جهاز التحكم عن بعد في يدك وحوِّل القناة. لا تقل، "ياه. هذا الأمر معيب. لا أصدق أن ذلك يظهر أثناء البث الأساسي. لا ينبغي أن يشاهد الأطفال ذلك. أتمنى ألا تأتي زوجتي وأبنائي .."، أغلقه بمجرد أن يبدأ. قرار مسبق.

عندما يبدأ أحدهم في مغازلتك أو اللحاق بك في السوق، أو الكنيسة، أو عند إشارة السير الضوئية ويقدم لكِ غمزه أو تعليقاً غير لائق، وعندئذ تستطيعين أن تشعري باللحن الهادئ لبداية الرقصة. قد تفكرين، "آه، هذا يجعلني أشعر أنني شابة مرة أخرى. من المؤكد أنني لا زلت جذابة!" أو لو كنت رجلاً، فإنك تُبرز صدرك، وتشفط بطنك، وتفكر، "نعم، لا أستطيع أن أحتمل ذلك لمدة طويلة، لكنني لا زلت أملكه!" اتخذ قراراً مسبقاً قبل أن يصبح التورط قريباً. عندما يغازلك أحدهم، كن جدياً وقل، "عذراً سيدتي أو سيدي، هلا تقدمت في الصف". ولا تتواصل بعينيك مرة أخرى.

نفس المبادئ تنطبق على مجلات، ومحلات، وأفلام معينة. إن اتخاذ قرار مسبق لا يتعلق بالتقيد الحرفي بالقانون؛ إنه يتعلق بكونك صادقاً وواقعياً بشأن نفسك ووصفة الله في حياتك. إن اتخاذ قرار مسبق هو علامة الشخص الذي يفهم أن ما يدخل إلى ذهنه سوف يظهر دائماً في حياته. كثيرون منا يلعبون لعبة "الحب الخفيف" أوالضوء الخافت" متوقعين أن بإمكاننا أن نفلت بمجرد السير على أطراف أصابعنا في الحب بدلاً من السلوك في الحب، أو إن كان بإمكاننا أن نسير على الضوء الخافت بدلاً من التقدم إلى منتصف ضوء الله. ها هي اللعبة التي نلعبها، "دعونا نرى، ها هو الخط، ها هي الخطية الصارخة. إلى أي مدى يمكنني أن أقترب دون أن أسقط فيها؟" إن الله لا يضع حواجز ولا يرفع علامات تحذير حتى نحاول أن نعيش إلى جانبها. لكنه بالأحرى يعطينا إياها حتى نهرب إلى الناحية الأخرى!

لا تسأل ما الذي يفعله المسيحيون الآخرون لكي تحدد ماذا ستفعل. بالحُكم وفقاً لمعدل طلاقنا والعائلات المختلة وظيفياً، نجد أن مسيحيين كثيرين جداً يقعون في نفس الأخطاء التي يقع العالم فيها. نحن نقول إننا نعيش في النور، لكننا في أغلب الأحيان نعيش في الظلمة. لقد قمنا باستطلاع بين طلبة الصف السادس في إحدى الكنائس

فاكتشفنا أن ثمانين بالمائة منهم كانوا يشاهدون أفلاماً للكبار فقط بشكل منتظم. فهل سنندهش لو عرفنا أن بعضاً من إخوتهم وأخواتهم الأكبر سناً قد جاءوا إلى المشورة بسبب الاتصال الجنسي غير الشرعي، والحمل، والأمراض التي تنتقل جنسياً؟

وكما قلنا، فإننا دائماً نحصد ما نزرعه. ويُعتبر زرع القناعات قراراً مسبقاً بالغاً. لا تتوقع قمحاً لو أنك زرعت قرعاً. غير أن قناعاتنا سوف تتعرض للتحدي. فعندما نقول، "لن أذهب إلى هناك، وكذلك عائلتي"، سوف يقول أبناؤنا، "هذا ليس عدلاً – إن كل أصدقائي يذهبون إلى هناك". عندئذ لابد لنا أن نتخذ قراراً مسبقاً ونلتزم به. "لا بأس بذلك. أظن أنني أحبكم أكثر مما يحبهم آباؤهم". لقد نجحت تلك الإجابة معي أنا وتريزا في تربية أربعة أطفال نشيطين.

اتخذ قراراً مسبقاً بشأن المدى الذي ستذهب إليه مع الجنس الآخر عندما تتواعد. اتخذ قراراً مسبقاً عن المكان الذي ستذهب إليه في المواعدة وأي وقت سوف تأخذ فيه الفتاة التي تواعدها إلى المنزل. اتخذ قراراً مسبقاً بشأن الحفلات التي ستذهبان إليها ومتى ستغادرانها. اتخذ قراراً مسبقاً بشأن ما ستفعله عندما ترى مجلات أو أفلاماً معينة. اتخذ قراراً مسبقاً للكيفية التي ستستجيب بها عندما يبدأ زوج أو زوجة شخص آخر في تفريغ مشاكله واستيائه من المنزل، والمشاركة بأشياء لا تحتاج إلى سماعها. في موقف مثل هذا يمكنك أن تقول: من الواضح أنكِ تحتاجين أن تتحدثي مع مشير أو مع شخص يمكنه أن يساعدك حقاً في موقفك". أو، "هل ترغبين في التحدث مع زوجتي؟" نعم، يبدو الأمر وقحاً عندما توقِف شخصاً يبحث عن مساعدة، لكننا في الواقع نساعدهم أكثر عندما نُخرج أنفسنا من ذلك الموقف. يمكن للمقاصد الرائعة أن تنحرف بسهولة إلى أخطاء رهيبة.

الخطوة ٤. عيِّن أشخاصاً لمحاسبتك

طوِّر قناعات، فكر ملياً في العواقب، اتخذ قرارات مسبقة، وبعد ذلك خذ أخيراً الخطوة المتعمدة الرابعة لتلقي المحاسبة. فعندما تطلب من الآخرين أن يساعدوك على الإيفاء بالتزاماتك نحو الله فإن ذلك سوف يمكّنك من السلوك بشكل مُرضي مع الرب. حدّد

شخصين أو ثلاثة يراجعون معك بانتظام وبجرأة التزاماتك. فالكتاب المقدس لم يقل اسلك بمفردك كابن للنور؛ ينبغي علينا بالأحرى أن "نسلك كأولاد النور". إن وصفة الله للعيش والحب يجب أن تُنفذ بواسطة أفراد في المجتمع. فإن كل وصايا العهد الجديد التي استطعت أن أجدها هي في حالة الجمع. فإنهم يقولون في تكساس، "جميعكم"، وهذا التعبير ينسجم جداً هنا. "اسلكوا جميعاً كأولاد للنور". لا يمكنني أن أفعل ذلك بمفردي، كذلك هو الحال بالنسبة لك. لكننا نستطيع أن نختبر معاً قوة الله والشركة معه.

لقد أبقيت منذ سنوات وحتى الآن على مجموعة تقوم بمحاسبتي. وفي الحقيقة، فإن الشيوخ، والموظفين، وفرق الخدمة في كنيستنا لديها عنصر محاسبة كامن فيهم. فقد انقسمنا إلى مجموعات من ثلاثة في اجتماع حديث وسألنا، "كيف تبلون في حياتكم الفكرية؟ كيف تبلون في علاقتكم الجنسية ونقاوتكم؟ ما هي الخطوات المحددة التي تحتاجون أن تأخذوها لتدعيم تلك الناحية وجعلها أقوى أمام الرب؟" وطرحنا الموضوع مباشرةً مع بعضنا بعضاً. وقبلنا بعضنا بعضاً. نحن نعرف ونتوقع أنه سوف يكون هناك إخفاق عرضي وأننا سنحتاج إلى مساعدة وتقوية بعضنا بعضاً للرجوع مرة أخرى إلى الطريق السليم والسلوك بنقاوة.

هل لديك شخص يمكنك حقاً أن تثق فيه سوف يطرح عليك مثل تلك الأسئلة؟ لابد لك أن تقرر مسبقاً أن يكون لديك ذلك النوع من العلاقات وإلا ستخفق. لكن دعونا نتذكر، ليس هناك مجموعة محاسبة محصنة ضد الفشل. فإننا جميعاً نُخدع بسهولة، ولو تُركنا إلى أنفسنا فسوف نكذب أحدنا على الآخر، حتى في مجموعات المحاسبة التي أُسست من أجل الانفتاح والأمانة. لقد التزمت بأن أقول الحق حتى لو كان مزعجاً أو يغيّر انطباعات الآخرين عني. نحن جميعاً نحتاج للمحاسبة بشدة. لماذا؟ حتى نحقق الفكر الختامي في أفسس ٥: ٨-١٠، "مختبرين ما هو مرضي عند الرب". يمكن لمجموعة ملتزمة صغيرة من المؤمنين أن تصنع العجائب في حياة بعضها بعضاً عن طريق استخدام هذه العملية من المحاسبة الصادقة والكاشفة للذات.

إن الله يريدك كلك

دعوني أختتم هذا الفصل بهذه الأفكار. في إحدى الترجمات يقول الرسول بولس في رومية ١٢: ١، "لذا، أحثكم أيها الأخوة [والأخوات] نظراً لرحمة الله" – ها هو ما أريده، أحثكم – "أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية". إن الله لا يريد تديُّنك، ولا يريد مالك، ولا يريد أعمالك الحسنة. إنه يريدك أنت – جسدك وكلك. وكل الأشياء الأخرى تنبع من هذا الالتزام الأساسي.

ما هو نوع "الذبيحة الحية" التي يتحدث عنها؟ إنها ذبيحة "مقدسة ومرضية لله – التي هي عبادتكم العقلية". إن أفضل طريقة يمكننا أن نقول بها نعم للحب الأصيل ولا للجنس الرديء هي المجيء إلى خالقنا وتقديم أنفسنا بالكامل له مرة أخرى. إن التحول إلى "ذبيحة حية" هو اجتماع للفظتين متناقضتين وهي أفضل حياة يمكن للشخص أن يختبرها. فهو يعني الانطلاق في مغامرة يومية حيث يمكن اقتفاء أثر كل قرار، وفعل، وفكر، ونية فيها، إلى الرغبة في أن نحيا لله كذبيحة. وهو يعني التضحية بالعادات المريحة لكنها شريرة بهدف أن نقول نعم للحب. ويعني اتخاذ قرار مسبق في مجالات رئيسية من الحياة لأننا نعلم بالفعل أن قراراتنا لو تُركت إلى اللحظة الأخيرة، فإنها سوف تكون خاطئة. لكنه يعني أيضاً أن نكون أحياء بحق!

وتواصل رومية ١٢: ٢ "ولا تشاكلوا هذا الدهر. بل تغيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم". لقد كنا نتحدى طوال هذا الكتاب صيغة ونمطاً يسيطران على العالم. وهدفنا هو أن نكسر ذلك النمط – ذلك القالب – ونعيش بحرية وفقاً لوصفة الله، وخاصة في علاقتنا بكل ما يتعلق بالجنس. يُقال لنا هنا إن هذه العملية سوف تتطلب تغيير أذهاننا. كيف؟ عن طريق تجديد أذهاننا – بتدريبها على النظر للحياة بإطار عقلي مختلف.

إن السبب الذي اتخذت لأجله شخصياً قراراً مسبقاً بعدم مشاهدة أفلام للكبار فقط أو رؤية التعرِّي من أي نوع ليس لأنني متزمت. إنني أعرف فحسب أنها سوف تضع أفكاراً في ذهني وسوف تطاردني وتغويني. فلو زرعت هذه الصور في ذهني، سوف أحصد

نتائج لا أرغب في حصادها. لذلك فقد طوَّرت بعض القناعات المحددة المناسبة بالنسبة لي. وقد فكرت في عواقب الإخفاق واتخذت بعض القرارات المسبقة بشأن ما سوف أفكر فيه، وأشاهده، وأفعله. كما أن لدي أصدقاء مقرّبين يساعدونني على الإيفاء بالتزاماتي نحو اللّٰه. ولم يسفر ذلك عن حياةٍ من القيود والإحباطات بل عن حياة أفضل مما تخيَّلت. إنني أفكر كثيراً وبامتنان في كل ما سمح اللّٰه لي بمشاركته مع تريزا على مدى الخمسة وعشرين عاماً الماضية فيما يتعلق بالحب، والجنس، والعلاقة الآمنة، الدائمة. وهنا أتذكر الجزء الأخير من رومية ١٢: ٢، الذي يعد بأننا عندما نقول لا لنظام العالم ونعم لطريقة اللّٰه، فإننا عندئذ نتمكن من تذوق و"اختبار ما هي إرادة اللّٰه الصالحة المرضية الكاملة".

هل كان الصراع من أجل النقاوة الجنسية صعباً؟ نعم! مضاداً للثقافة؟ نعم! هل كان ينبغي عليَّ أن أتخذ بعض القرارات القاسية بشأن الرضا في المستقبل؟ أراهنكم على ذلك! هل كان يجب عليَّ أن أجعل من تجديد ذهني أولوية؟ بالطبع! لكني هنا لأخبركم أن عمق المحبة وغنى العلاقة اللذين تتوقون إليهما لن يُتاحا لكم سوى عندما تتعاونون مع قصد الخالق.

ماذا عنك إذن؟ كيف تصف حالة علاقاتك الحالية؟ هل تُعتبر النقاوة الجنسية نقطة قوة في حياتك أم مجالاً للصراع، والإحباط، والذنب؟ هل ترغب في التوقف، والتراجع، وإعادة تقييم اتجاهاتك وأفعالك فيما يختص بالنقاوة الجنسية؟ هل سترغب في النظر بروح الصلاة في تطوير بعض القناعات المحددة لنفسك في هذا المجال ثم وضع خطة عمل شخصية لحياتك؟

سوف تساعدك الأسئلة التالية على بدء الرحلة. بعد أن تكون قد قمت بالعمل الخاص، أرجو أن تبحث عن صديق أو راعي ناضج، وموثوق فيه وتتحدث معه عن كيفية تطبيق خطة العمل التي يعطيك اللّٰه إياها. لماذا؟ لأن العلاقة المُحِبة التي تريدها تتطلب النقاوة الجنسية، والنقاوة الجنسية تتطلب خطة للعمل!

التقييم الشخصي

١. عندما تقرأ الحقائق الإحصائية الخمس بشأن الجنس الموجود في بداية هذا الفصل، أي منها زوَّدتك بالحافز الأقوى لكي تكون نقياً جنسياً؟ لماذا؟

٢. بأية طرق أثبت تاريخك الجنسي الشخصي في العلاقات صحة هذا الفصل؟

٣. إلى أي مدى جعلتك دروس الماضي والألم الذي عانيت منه توافق على أن طريقة الله تحقق لك أفضل المنفعة؟

٤. أي من السمات الأربع "لخطة العمل الإلهية من أجل النقاوة الجنسية" تحتاج أن تضعها موضع تطبيق هذا الأسبوع؟

أ. طوِّر قناعاتك.

ب. فكِّر ملياً في العواقب.

ج . قرر أفعالك مسبقاً.

د. عيِّن أشخاصاً لمحاسبتك.

٥ـ اكتب اسمين أو ثلاثة لأشخاص سألتهم أو ستسألهم أن يساعدوك على الإيفاء بالتزاماتك وخطة لعبك.

رومانسية النقاوة

٩

رومانسية النقاوة



في أحد الأيام ابتعدت عن مضمار المشي في حرم جامعتي لكي أتأمل المشهد. كان هواء الخريف المنعش في تلال فرجينيا الغربية يهز أحاسيسي بينما كانت الخلفية الزرقاء للسماء تبرز كل الألوان الأخرى. كان يتنزه أمامي على الرصيف طابور طويل من السيدات الجميلات. شابات، نشيطات، حيَّات، ورائعات – كن مصدراً للإغراء المتواصل، الذي لا يُقاوم تقريباً بالنسبة لي. وعلى الرغم من أنهن كن يكوِّن تنوعاً بارزاً من الأشكال، والأحجام، وتدرجات ألوان البشرة، إلا أنني وجدت نفسي ألاحظ وأُعجب بشيء في كل واحدة منهن تقريباً. وفي أحيان كثيرة، كنت أتجاوز مجرد الإعجاب. كن يفقنني عدداً، لذلك وقعت في مشكلة. فقد كانت درجة تناسق قوامنا كطلبة تبدو مثل عنوان لحن الأربعين أغنية الأولى، **"أربع بنات لكل ولد!"**

على الرغم من أن هذه الذكريات ترجع إلى ما يزيد عن ثلاثين عاماً، إلا أنها لا تزال حية. لا أتذكر في الواقع وجوه الفتيات ولم أعرف إلا القليل من أسمائهن، لكنني أتذكر بوضوح المعركة الداخلية التي كانت تحتدم في قلبي وذهني خلال تلك الأيام وسط الكثير جداً من المناظر، والأصوات، والروائح الجميلة. كنت قد قبلت المسيح منذ أقل من سنتين وكنت قد بدأت فحسب في اختبار الصراع الحقيقي بين العادات المكتسبة من خلفيتي والرغبات الجديدة التي وضعها المسيح في قلبي. وعندما كان الأمر يتعلق بنيتي للنظر إلى النساء

باحترام ونقاوة، وجدت أنه كان لديّ فهم كامل جديد عما تتضمنه العبارة الكتابية "الروح نشيط أما الجسد فضعيف!" فقد بدت النظرات المختلطة بالشهوة كما لو كانت طبيعة ثانية بالنسبة لي. وجعلني الذنب المستمر مستميتاً للبحث عن حلول – كان بعضها عملياً. كان جزء مني يريد أن يتمشى بعينين مغلقتين تماماً طوال الوقت، بينما جزء آخر مني يسخر من الفكرة باعتبارها عديمة الجدوى لأنني كنت بالفعل أمتلك الكثير من الصور المسجَّلة لإعادتها داخل جفوني.

فقد عَلِمتُ أن الله قد أطلقني في رحلة جديدة عندما غفر خطاياي. كنتُ بالتأكيد مسافراً مع المسيح، لكني كنت لا أزال أحمل الكثير من أثقال الماضي. إذ لم تكن الدروس التي تعلمتها من العالم بشأن كيفية إقامة علاقات قد تعرضت للتحدي بعد. في الحقيقة، لقد بدا أن حالات إخفاقي المستمرة في العلاقات وانتكاساتي في الشهوة تضيف المزيد من الأثقال على كاهلي كل يوم. وفي النهاية، تكلمت عن إحباطي إلى الله. وسألته، "لماذا أعطيتني كل هذه الهرمونات وكل هذه الرغبات، وأرسلتني إلى كلية يوجد بها أربع بنات لكل ولد، ثم تذكِّرني بشكل ثابت بأن الطرق التي أريد أن أنظر بها والأشياء التي أريد أن أفعلها ممنوعة؟ هل هذه هي فكرتك عن السخرية؟ هل أنت مفسد للبهجة في الكون؟"

إن الغضب على الله لم يساعد بالطبع في تخفيف ثقل الذنب، لذلك كنت أحاول أن أوازن الثقل بصنع تعهدات جديدة للإبقاء على النقاوة من خلال قوة الإرادة. وقد قدمت وعوداً باكية لله بشأن تجنب الخطية، كنت أكسرها قبل أن تجف الدموع من على وجهي. لم أفهم حقاً خطة الله. لم تكن لديّ خلفية الفهم الكتابي العميق والأمثلة الحياتية لكي تعطيني رجاءاً. لم أكن أفهم شخصية الله، ولم أكن مقتنعاً بحق أنه كان يفكر في الأفضل لي، ليس فقط للأبدية بل أيضاً لحياتي اليومية. وقد تكدست إخفاقاتي المتواصلة فأصبحت مشاعر من العجز، والغباء، والاستياء.

الحب المُعاش

على الرغم من كل هذه الحيرة، استمر الله يعمل في حياتي. وفي خلال هذا الوقت من الاضطراب، أصبحت عضواً في كنيسة صغيرة ببلدة يقع فيها محل بقالة، ومحطة بنزين،

ومكتب بريد، وكنيسة صغيرة أخرى بالشارع الرئيسي. كان العدد في المدينة الجامعية يفوق عدد سكان البلدة ببضعة آلاف. لكني كنت أستمتع بقضاء وقت كل أسبوع مع أشخاص ليسوا من سني في الكنيسة. تقابلت في هذه الكنيسة مع زوجين، ديف ولاني، كانا قد قبلا المسيح معي في نفس الوقت. أعترف أنني أعتقدت أنهما كانا متقدمين في السن، ربما في بداية الثلاثينات، وكنت أنا قد بلغت العشرين فحسب. فقد كنت مُعجباً بنضوجهما.

بدأ ديف ولاني علاقتنا بدعوتي على العشاء في بيتهما. فاستقليت سيارتي الفولكس فاجن الصغيرة وقدتها مسافة أربعة أو خمسة أميال متعرجة في التلال لكي أجد منزلهما. لقد بدت لي تلك الوجبة المنزلية المجانية كوليمة لأذني ومعدتي. لم أظنهما على الإطلاق فقراء، غير أنهما كانا يعيشان في بيت ريفي قديم جداً. كانت الساحة نظيفة ولم يكن فيها سوي قليل من العشب، وكان يستخدمها طفلان صغيران نشيطان. كان البيت مُغطى بألواح يكسوها طلاء باهت، غير أن الأضواء في النوافذ كانت تتوهج بترحيب في ذلك المساء. رُحِّب بي في الداخل بروائح مسيلة للُعاب وابتسامات الأطفال. وبينما كان ديف يأخذ معطفي، لم أستطع أن أمنع نفسي من ملاحظة الأثاث المتناثر والأبواب المفقودة التي استُبدلت بملاءات معلقة على بعض المداخل. لم يكن أي من المقاعد المتنوعة في المطبخ ينسجم مع المائدة المبهرجة ذات القمة المزخرفة، ونمط الزهور الغريب، والأرجل المعدنية المستديرة غريبة الشكل. وكان هناك مفرش بسيط يغطي معظم المائدة، وقد حققت الأرفف البسيطة الموجودة في المكان هدفها الأساسي – وهو حمل أكوام من البطاطس المهروسة، والمرقة الشهية، واللحم المشوي إلى حد إشباع جوعي.

إن الصور التي في ذاكرتي عن هذه الأمسية تنم عن إسراف ليس بسبب الأشياء المحيطة بل بسبب وفرة الحب الذي كان يملأ ذلك المطبخ. فقد شعرت بأنني مُحاط، ومملوء به. لقد كان أكثر إشباعاً من الوجبة الشهية ومع ذلك كان بسيطاً للغاية حتى أنني لم ألاحظه على الأرجح عند النظر من الخارج. لقد أفسح ديف، ولاني، وطفلاهما البالغان من العمر خمس وثلاث سنوات، مجالاً في دائرة عائلتهما لطالب جامعي مكافح وأعطياني هدية أعتز بها منذ ذلك الحين. كان التأثير رقيقاً. لقد جلسنا وأكلنا، وضحكنا، كعائلة.

وقد استوعبوني في هذا الجو العائلي المتكامل. لقد تعرضت كل صراعاتي الهرمونية ومحاولتي لفعل الصواب لتأثير جديد في تلك الليلة. وقد لاحظت بضع مرات أثناء تناول الطعام الطريقة التي كان ينظر بها ديف إلى زوجته. وفي بعض الأحيان كانت أصابعهما تتلامس عند تمرير الطاسات لأحدهما الآخر. ولمحت ابتسامة لاني له. كان بإمكاني القول إن تلك كانت أكثر من مجرد صداقة مقربة. فقد كانا متلهفين جداً لأحدهما الآخر. كان هناك دفء في ذلك المنزل، وكان يبدو أن الأطفال يستمتعون في وهج حب أبويهم. وقبل أن تُقدم الحلوى بوقت طويل، وجدتني أفكر في نفسي، "لا أعرف ما الذي يحمله لي المستقبل، لكني أريد أن أمتلك يوماً ما ما أراه يحدث حول هذه المائدة".

عند انتهاء العشاء، أعلنت العيون الناعسة والتثاؤبات عن موعد النوم للأطفال. فالتفت ديف إليَّ وقال، "اعذرنا لبضع دقائق. فنحن حديثا العهد بالمسيحية لذلك لا زلنا نكتشف بعض الأمور، لكن لدينا روتين صغير نقوم به في الليل".

فأجبت، "آه، تفضلا. لا تقلقا بشأني".

اختفوا خلف ملاءة كانت تستر مدخل غرفة أطفالهما، في حين أنني جلست على المائدة مفتوناً بما سمعته. ومن خلال ما بلغني من التعليمات المتمتمة والأصوات الناعمة أدركت أن تلك العائلة الصغيرة تركع إلى جانب السرير. وقد ساعدت الأم الأطفال الصغار على طي أيديهم، بينما شارك الأب قليلاً عن من هو يسوع وكم كان يهتم بهم وبتشيب صديقهم الجديد. وبعد ذلك صلى ديف، وتبعته لاني، ثم سمعت أصوات هؤلاء الأطفال الصغار يتحدثون بشكل بسيط وواثق إلى أبيهم السماوي. وتبع ذلك أصوات اندساس في الفراش، وقهقهات، ومعانقات ليلية، وقبلات. ثم عاد ديف ولاني فتكلمنا بهدوء وشاركنا القهوة والحلوى لمدة أطول. ثم انتهت الأمسية، لكني لم أكن أريد الرحيل.

أتذكر بوضوح قيادة سيارتي نزولاً من التلال ورجوعاً إلى المدينة الجامعية. ففي طريق العودة العاصف بغرب فيرجينيا أجريت حديثاً جدياً مع الله. "هذا هو ما أريده يا رب. أكثر من مجرد مرح، أكثر من مجرد بعض اللذة، أكثر من مجرد الاحتيال على فتاة ما، يوجد جوع

عميق جداً بداخلي لما يمتلكونه – ذلك هو ما أريده. أبتغي علاقة مثل علاقتهم. أود أن تكون لديّ عائلة مثل عائلتهم. كيف يمكن أن يحدث ذلك يا رب؟"

وكما لو كان روح الله تحدث إليّ بصوت مسموع تقريباً، "تشيب، هل تعرف تلك الحدود التي لا زلت تغضب بشأنها؟ هل تعرف تلك الوصايا التي أعطيتك إياها التي لا تفهمها؟ هل تعرف تلك المفاهيم الخاصة بالنقاوة؟ إن السبب الذي لأجله أعطيت كل ذلك ليس لأنني أرغب في تقليل لذتك. أنا أريد أن أزيد لذتك. أريدك أن تؤخر الإرضاء ليس لأني لا أريدك أن تحصل على الأفضل، بل لأني أريدك أن تحصل على الأفضل جداً".

عندما وصلت إلى المدينة الجامعية، قفزت إلى ذهني رومية ٨: ٣٢ بمثل وضوح اللافتة النيون: "الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين - كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء؟" نفس اللحظة التي قلت فيها هذه الكلمات بصوت عالٍ عرفت أنها كانت تنطبق عليَّ بطريقة فورية ومغيِّرة للحياة. لا يمكنني أن أصف لكم ماذا حدث لي في تلك الليلة غير أن ذهني قد تحول مائة وثمانين درجةً. فقد أدركت أن القصد وراء كل وصايا الله هو محبة الله – كان الله في صِّفي! لقد أعطى كل تلك التعليمات وجعلني أشعر بالأسى والذنب عندما انتهكت أو شككت في توجيهاته لأنه أرادني أن أمتلك ما كان لدى هذه العائلة الصغيرة. وعَلِمتُ أن أي موقف آخر من العلاقات سوف ينتهي به الأمر إلى أن يكون الاختيار الأفضل الثاني. فإن كل شيء آخر يمتلئ بوجع القلب، والدمار، واستغلال الأشخاص، وكل أنواع الاختيارات الأخرى التي تأتي بالأسف. لقد كانت تلك التجربة البسيطة تشبه الحصول على لقطة واضحة لا تُنسى عما يعنيه السلوك في النور.

ومنذ تلك الليلة، اتخَذَت حياتي مساراً جديداً فيما يختص بقضية النقاوة الجنسية. هل لا زلت أعاني من الصراعات؟ نعم. هل لازالت لديَّ بعض الأشياء التي أخجل منها؟ نعم. هل لا زالت لديَّ بعض السقطات؟ آه، نعم! لكن بدلاً من تخيُّل الله على الجهة المقابلة يصدر أوامر قاسية تقضي على كل متعة في الحياة، فإنني أدرك الآن أن الله كان في صفي، وكان يساعدني للحصول على الأفضل جداً، وذلك لأنني ابنه.

يشير الكتاب المقدس إلى أنه بلا رؤيا – بلا إعلان بمعنى أنه ليس هناك حق من كلمة الله – عندئذ يجمح الشعب، بدون سيطرة، وبلا اتجاه. "أما حافظ [أو حافظة] الشريعة [كلمة الله] فطوباه [ما أسعده]" (أمثال ٢٩: ١٨). اتخذت قراراً في تلك الليلة لأنني رأيت الحق في كلمة الله ولأني شهدت حق الله مُعاشاً. فقلت في قلبي، "يا رب إنني أرغب في القيام بذلك وفقاً لطريقتك لأنه مهما كلفني الأمر أو مهما أصبحت تلك الطريقة صعبة بالنسبة لي، فإن ما رأيته وشعرت به الليلة هو ما أريده في حياتي". وكان الله أميناً بشكل مطلق في كل جزء من دروسه لي خلال السنوات التي مرت منذ تلك الليلة!

قوة النور

إن ترنيمة الحب الواضح التي كنا نستمع إليها طوال أفسس ٥ قد بدأت بتمهيد بسيط، وهو نغمة متكررة عن "السلوك في المحبة". نحن نميِّز هذه النغمة في كل موضع بالحياة لكننا نتساءل ما إذا كنا سنتمكن من الغناء معها باستمرار. ففي الآيات الأولى، يتناوب النغم بين أصوات الإنذار الثقيلة والتحذير (تجنب الزنا والنجاسة والطمع) والأصوات المبهجة لأغنية محبة المسيح التي تتحدث عن المدى الذي ذهب إليه في التعبير عن محبته وأيضاً الدعوة إلى محاكاته في الطريقة التي نحب بها. وترتفع الموسيقى في الصوت والوضوح، بما يتضمنه ذلك من قصائد غنائية بشأن "السلوك في النور" والتركيز على طبيعة حياة التقوى التي تُظهِر الصلاح، والبر، والحق. والآن نحن مستعدون للوصول إلى النغمة الأخيرة للحق.

فإن المقطع الأخير الذي سننظره في أفسس ٥ يبدأ بنغم أكثر نعومة وحزناً من التحذير والأسى على ظروف العالم والمسافات التي يجب أن نقطعها للامتناع عن الالتفات مرة أخرى إلى طريقة حياة لم نعد نرغب فيها. وسوف تقودنا إلى لمعان الحق الذي سيأتي بنا إلى مرحلة اتخاذ القرار. تخبرنا أفسس ٥: ١١-١٤ لماذا يُعتبر الجنس شأناً جدياً هكذا بالنسبة لله:

ولا تشتركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحري وبخوها. لأن الأمور الحادثة منهم سراً ذكرها أيضاً قبيح. ولكن الكل إذا توبخ يُظهر بالنور. لأن كل ما أُظهر فهو نور. لذلك يقول،

"استيقظ أيها النائم،

وقم من الأموات،

فيضيء لك المسيح".

إن مادة موضوع هذه الآيات يتعلق بالسلوك الجنسي بشكل واضح. فإن هذا الأمر العنيف يمنعنا من "الاشتراك" في هذه الأنشطة، مما يعني ألا نرتبط أو نشارك في طريقة الحياة هذه. لاحظوا أننا لابد أن نتجنب "أعمال الظلمة"، وليس الأشخاص. فقد كان يسوع يجلس مع أشخاص كثيرين متورطين في الفساد الجنسي، لكنه لم يشارك فيه. بل إن حضوره كان، في الواقع، يحقق ما تصفه العبارة التالية – لقد فضح يسوع الفساد. إن كلمة فضح لها قصة مثيرة. فهي تعني "يوبِّخ أو يؤِّنب". وهي تُستخدم طوال العهد الجديد للتعبير عن إحضار شيء إلى النور حتى نتمكن من رؤية الشيء، أو الاتجاه، أو الشخص بوضوح. لماذا يُعتبر الفضح ضرورياً؟ تقدم لنا الآية التالية السبب – لأن الأمور الحادثة منهم سراً ذكرها أيضاً قبيح. إن الله ينظر للجنس باعتباره أمراً مقدساً وخاصاً حتى أن مجرد مناقشة الانحراف الجنسي بين شعب الله محظور.

لو كنت تتبع هذا الخط من التفكير، باستطاعتك أن ترى أن لدينا مشكلة. فكيف سنفضح ما هو مُخزي جداً لدرجة أنه لا ينبغي أن نتحدث بشأنه؟ كيف سنأتي بنور الحق لكي يُسلَّط على الأسرار المخزية في حياة الناس لو أننا لم نتكلم عن هذه الأمور؟ تقدم أفسس ٥: ١٣ الإجابة.

فالفكرة هنا هي أن طريقة توبيخ العالم ليست هي الاجتماع معاً للتحدث حول كل السمات المنحرفة للجنس خارج الزواج. فإن تلك المناقشات تصبح بسهولة تلصصاً لفظياً. وهو يقول لا تذهبوا إلى هناك. لا تفضحوا الفساد بالحديث؛ بل افضحوه بواسطة

النور. تلك هي رسالة الآية ١٣. فإن المجاز القوي للنور يقترن بكل هذه الآيات. هؤلاء الذين "يسلكون في النور" سوف يفضحون الأعمال التي تُعمل في الظلمة بواسطة نور حياتهم. علينا أن نفضح اتجاه العالم المختل وظيفياً حيال الجنس، ليس بما نقوله، بل بالكيفية التي نعيش بها. فإن التحدث في هذا الضرب يشبه لعن الظلام عندما نكون أبعد ما يكون عن إضاءة شمعة.

يأتي النور بقوة تغيير مدهشة تصمد في أي موقف. وكان يسوع لديه هدف مُتعمد في ذهنه عندما أخبرنا أننا نور العالم (متى ٥: ١٤-١٦). النور ليس صاخباً؛ بل صامتاً. فإن يسوع لم يأمرنا بأن يعلو صياحنا على صياح العالم بل أن ننشر نوره. ففي الظلام تتوه أصواتنا في وسط أصوات أخرى. لكن الظلمة تنحسر أمام النور. هناك بعض الأنواع من البكتيريا تتكاثر بسرعة شديدة في الظلمة، لكنها تموت فوراً في اللحظة التي تأتي بها إلى ضوء الشمس. إنها لا تستطيع أن تتعامل مع التعرية. ما يصح في العالم الطبيعي يصح أيضاً في العالم الروحي. إذ يصف يوحنا ٣: ١٩-٢١ التأثير الذي صنعه يسوع في العالم: "وهذه هي الدينونة أن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة. لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور ولا يأتي إلى النور لئلا تُوبخ أعماله. وأما من يفعل الحق فيقبل إلى النور لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة".

دعوة الله للاستيقاظ

ونحن نقترب من الأجزاء الأخيرة لهذا الكتاب، أدرك بشدة أن القارئ المتوسط لن يكون بالضرورة شخصاً يشعر أنه بارع وواثق في فن العلاقات. فإنني أعلم أن عدد المثقلين سوف يفوق كثيراً عدد الذين يبدأون الرحلة وهم يأملون القيام بالأمر وفقاً لطريقة الله منذ البداية. ربما تكون قد شعرت بموجة من العجز حتى وأنت تقرأ قصتي لأن الوقت قد فات بالنسبة لك على ما يبدو. كل مرة ذكرت فيها موضوع الرجاء في هذه الصفحات، فعلت ذلك وأنا أسمع أسئلة الكثيرين جداً الذين يسألون بتخوف، "هل يستطيع الله حقاً أن يفعل شيئاً بحياتي بعد كل ما فعلته؟ بعد كل أخطائي غير المقصودة وحتى اختياراتي المتعمدة، العنيدة للسلوك ضد الله، هل لا زال بإمكاني اختبار رحمته وشفائه؟ ماذا يستطيع الله أن يفعل بحياة مملوءة بالكثير جداً مما يبدو أنه غير قابل للتخلص منه؟"

إجابتي على كل هذه الأسئلة هي نفسها. إن نعمة الله، المُقدمة من خلال يسوع المسيح، هي أعظم مما يمكنك أن تتخيل. عندما تقرأ هذه الكلمات اليوم، فإن ما يهم حقاً ليس هو ما فعلته من قبل بل ما الذي ستفعله فيما بعد. لقد آن الأوان لكي تسمع دعوة الله للاستيقاظ.

استيقظ! عندما يتعلق الأمر بالحب، والجنس، والعلاقات الدائمة، فقد ظلت ثقافتنا نائمة لسنوات. حتى أن المسيحيين نكّسوا رؤوسهم في الوقت الذي كان يجب عليهم أن ينتبهوا. استيقظ! توجد طريقة أفضل لإقامة العلاقات – وهي طريقة الله! إن آيات الكتاب المقدس التي نظرنا إليها بشكل متكرر في هذا الكتاب تتضمن تزايداً في أصوات الحق من أجل الذين يريدون أن يختبروا كل ما قصده الله لهم.

وكما اكتشفنا من قبل، فإننا نجد في كل أجزاء الكتاب المقدس أن الجنس والعبادة يتقاطعان. فقد أعطاني الله وأعطاك زراً للعاطفة في قلوبنا. فإن الإله الذي يستمتع جداً بفعل الخلق والذي صنعنا على صورته أعطانا حساً متوازياً للذة في فعل الخلق. يوجد سر إلهي في النشاط الجنسي. وهذا يفسر لماذا تتضمن كل الديانات الزائفة تقريباً نوعاً ما من التعبير الجنسي. كما أنه يفسر لماذا لم أقابل أبداً رجلاً أو امرأة لديهما علاقة حميمة ومنتصرة مع الله لم يتعاملا مع القضايا الجنسية في حياتهما. لأنك سوف تظل دائماً متورطاً بوعي أو بغير وعي في عبادة زائفة إلى أن تصبح نقياً، إلى أن تفكر، وتتحدث، وتعيش وصايا الله فيما يختص بالناحية الجنسية. سوف تكون عبادتك موجهة نحو رغباتك وشهواتك، وسوف تتضمن استغلال الناس من أجل تحقيق هدف عبادتك، ألا وهو إرضاء نفسك. لقد صرّح يسوع بشكل قاطع أنه لا يقدر أحد أن يخدم سيدين (متى ٦: ٢٤). لو لم نكن نخدم الله بشكل واعي، فإننا نخدم أنفسنا بطريقة ما. لقد آن الأوان للتصريح عمن سنعبده بحياتنا وأيضاً بشفاهنا.

الحب، والجنس، والإنجيل

في تلك الليلة منذ زمن بعيد بفيرجينيا الغربية، كنت أزور عائلة صديقة، لكنني في الحقيقة سلكت نحو النور. وقد فضح نور ديف ولاني والثمار الحية لذلك الحب – طفلان

جميلان – حياتي. فقد نعمت تحت سقفهم بوهج النقاوة الجنسية والعلاقات المُحبة الدائمة. وذلك النور فضح نظرتي المُضَللة عن الجنس ونظرتي الملتوية عن العلاقات. لم يكن هناك مجال للاختباء، كما أنني لم أرغب في ذلك. فإن ديف ولاني لم يفحصا ماضيّ ولم يوجها تهماً بشأن "الطريقة التي يتصرف بها طلبة الجامعة". غير أنني رأيت نفسي على حقيقتها في مجال النقاوة على ضوء ما أعطاه الله لهما.

هذا الضوء لم يجبرني فحسب على القيام بالاختيار (أن أظل في الظلمة أو أسلك في النور)، بل إنه تدفق إليَّ على ما يبدو، مما أعطاني القوة لأن أقول، "سوف أعيش حياتي وفقاً لطريقة الله". فبدأت أتعلم في تلك الليلة لماذا يُعتبر الجنس شأناً جدياً بالنسبة لله. فإن الجنس والعلاقة التي صممها لحمايته وتغذيته أثبتت في النهاية أنه أقوى أداة كرازية يمتلكها المسيحيون. إن الحب، والجنس، والعلاقة الدائمة المعمولة وفقاً لطريقة الله يمثلون حجة غير قابلة للدحض لإنجيل يسوع المسيح.

لاحظوا، في الحقيقة، السطور الأخيرة في الآيات التي اقتبسناها من أفسس من قبل: "لذلك يقول، استيقظ أيها النائم، وقم من الأموات، فيضيء لك المسيح". فعندما يرانا العالم غير المؤمن نعيش حياة نقية جنسياً وعلاقات أصيلة، ومُحبة، وعميقة، سوف ينتهي إلى نفس القرار الذي واجهته في طريق العودة من منزل ديف ولاني. إن النور الذي يضيء عندما تتدفق وصفة الله للعيش من خلال حياتنا سوف يساعد الناس على أن يروا إحتياجاتهم الجنسية "على ضوء جديد تماماً" ويُظهر لهم احتياجهم للمسيح.

تقول لنا الآية أن نستيقظ ونقوم. فهناك عالم يمشي وهو نائم في الحياة، وهو يتبع كابوساً بدلاً من الحقيقية. فهم يحاولون إقامة علاقات. ويريدون أن يُحَبوا. ويتوقون إلى الارتباط. غير أن لديهم هرمونات، لا يعلمون كيف ينجح الأمر، لذلك فهم يجربون الصيغة التي يهمسون بها في آذانهم. وهم يرونها مُمثلة على الشاشة الفضية بواسطة أشخاص تعرض حياتهم الواقعية أنهم لا يستطيعون أن يحيوا وفقاً للطريقة التي تعيش بها الشخصيات التي يمثلونها. الأشخاص الذين يمشون وهم نائمون يكتشفون أن نموذج هوليوود لا ينجح مع أحد الأشخاص، فيجربونها مع شخص آخر، ثم آخر، وهم على بُعد خطوة واحدة من اليأس.

وبعض من الأشخاص الذين يمشون وهم نائمون يقرون بعجزهم مع الأشخاص الواقعيين وبدلاً من ذلك ينغمسون في ظلمة الصور الإباحية فيجلسون أمام شاشات الكمبيوتر ويقيمون على الإنترنت علاقات متعددة كاملة في حميميتها الزائفة. ويملأون رؤوسهم بصور تؤدي في نهاية الأمر إلى تشويه الواقع أكثر. فكروا في الأمر بهذه الطريقة. كم هو عدد الأجهزة التي نستطيع أن نحددها والتي تُتاح بسهولة لكل منا والتي يُعتبر هدفها الأول هو الإبقاء على الشخص النموذجي في حالة سير وهو نائم خلال الحياة، وهو مُغلق العينين بإحكام في مقابل نور الحق؟ أليس هناك احتمال أن يكون معظم ما ندعوه تسلية هو في الواقع منوماً يمنعنا من الاستيقاظ فنبصر النور؟

إن أكبر مشكلة في حالة المشي أثناء النوم خلال الحياة هي أنها ليست عيشاً حقيقياً. فهي في النهاية تتسبب في الفوضى: اليأس، والدمار، والألم، والمرض الجنسي، والبيوت المحطمة، وتحطيم العلاقات. وقد أخبرنا يسوع أنه جاء لكي تكون لنا حياة – أي الشيء الحقيقي! (انظر يوحنا ١٠: ١٠). وفي عالم الظلمة هذا يدعونا الله لأن نعيش بطريقة مُحبة، وجذابة حتى يضيء المسيح على الذين يستيقظون ويعطيهم حياة وافرة. فكما أن النور يكشف في هدوء كل الأشياء على حقيقتها، هكذا أيضاً يكون الأمر عندما "يعرض" شعب الله النقاوة والحب في العلاقات. فإنهم يفضحون الفساد الجنسي على حقيقته التي هي: عبادة للذات مدمرة وشهوانية.

إن مكافأة النقاوة الجنسية رائعة جداً!

عند هذه النقطة، قد تجد نفسك تترنح في الداخل منحصراً في وسط موقف فظيع، أو مُثقَّلاً بإخفاقات الماضي، أو مملوءاً بالشكوك تجاه المستقبل. ربما تفكر قائلاً، "ليس باستطاعتي حتى البدء في تصّور أن حياتي يمكنها أن تكون نوراً لشخص آخر. إنني أعرف ماهية الظلمة. لكن كيف يمكنني أن أعكس نور الله للآخرين في حين أنني لا زلت أقضي الكثير جداً من الوقت في المشي أثناء النوم؟"

دعني أطمئنك أن الله يفهم كل ما تمر به وهو يريد أن يساعدك. فربما تعتقد أن الثمن المطلوب للنقاوة الجنسية قد يبدو مرتفعاً، غير أن المكافآت عظيمة.

بعد أن تكون قد قرأت هذه الفصول عدة مرات قد تقول "تشيب، إن الأخبار التي تأتي بها قد فات أوانها جداً بالنسبة لي. أنت لا تعلم خلفيتي. لقد بحثت عن الحميمية بكل الطرق الخاطئة. وبحثت عن الانتماء في كل الأماكن الخاطئة. وقد دخلت في عدد من العلاقات – لم يتبقَ لي منها سوى الجروح العاطفية".

أنت مُحِق – أنا لا أعرف قصتك، لكن الله يعرفها. وهو يعرف كل جزء من تفاصيلها الحميمة، والمخزية، والمؤسفة. غير أن محبته لك لم تهتز للحظة واحدة. لم يفت الأوان على الإطلاق. باستطاعتك أن ترسم خطاً على الرمال اليوم وتقول، "سوف آتي إلى يسوع بنعمة الله. وسوف أخبره أنني آسف بشأن ماضيَّ. وسوف أطلب منه أن يغفر لي. وسوف أصنع عهداً شخصياً بأنني سأكون نقياً بمساعدة قوته وقدرته منذ الآن فصاعداً في ذهني، وكلامي، وحياتي. واستناداً إلى نعمة المسيح وغفرانه، سوف أعتبر نفسي "عذراء متجددة"، ذهنياً، وروحياً، وحتى جسدياً. سوف أبدأ السلوك في المحبة والسير في النور!" هل يبدو ذلك طائشاً؟ نعم إنه كذلك. بل إنه معجزي. تلك هي رومانسية النقاوة، ويريد الله أن يشاركها معك.

هل ستكون هناك بعض العقاب التي يجب التعامل معها؟ بالتأكيد. بعض الأثقال التي يجب التخلص منها بعون الله؟ بالطبع. ليس باستطاعتك أن تتخيل عمق وروعة نعمة الله، لكن يمكنك أن تبدأ في اكتساب فكرة أفضل عن طريق الوثوق فيه. سوف يغفر لك. وسوف يطهرك ويستردك. لم أنشأ أنا ولا تريزا في بيوت مسيحية. وما شاركته معكم في هذا الكتاب كان غريباً تماماً بالنسبة لنا حتى بعد اختبار إيمان شخصي بالمسيح. لكن لحسن الحظ، أتى الله لحياتنا بمشيرين حكماء في وقت مبكر من مسيرتنا الروحية ليساعدونا على التعامل مع الذنب الماضي، وإفراغ القمامة، وتعلُّم وصفة الله لإقامة العلاقات.

وعند الوقت الذي تقابلنا فيه أنا وتريزا، كان كل منا قد صمم في قلبه أن يهجر نموذج هوليوود ويؤسس علاقته وفقاً لخطة الله ووصفته.

فبدأنا بتعلُّم التواصل بشكل منفتح وصادق كأصدقاء. وجعلنا السمات الروحية لعلاقتنا هي الأولوية الأولى. ورسمنا خطة لعب بسيطة لعلاقتنا وجعلنا أنفسنا مسئولين

عن أفعالنا. واعتبرنا المظاهر الرومانسية والجسدية في علاقتنا "خاضعة للرقابة" – وهكذا تقدمنا بحكمة وبطء وفقاً لقيادة اللّٰه. وتعلمنا عن شغف أحدنا الآخر باللّٰه عن طريق ملاحظة أحدنا الآخر في محيطات أخرى غير رومانسية سمحت لنا وتطلبت منا أن نكون أنفسنا بدلاً من "القيام بالرقصة" وأداء اللعبة.

هل كانت لدينا صراعات وأوقات صعبة؟ نعم. هل كان علينا أن نتعامل مع أثقال الماضي ونتعلم طريقة جديدة تماماً لإقامة العلاقات بدون وجود الكثير من الأمثلة لكي ترشدنا؟ بالتأكيد. هل فعلنا ذلك بشكل مثالي؟ لا. لكن بالنظر إلى الخلف، أرى كيف قاد اللّٰه شخصين لديهما "ماضي" حافل يجب التغلب عليه لتطوير علاقتهما بطريقة ثورية. إن إتباع وصفة اللّٰه قد أنتج نوع الحب، والجنس، والعلاقة الدائمة (ما يقرب من خمسة وعشرين عاماً) التي لم يكن ليحلم بها أي منا. النقطة التي أتحدث عنها بسيطة. فإن اللّٰه يستطيع وسوف يفعل ذلك لك كما فعله لنا، مهما كانت كمية الأثقال التي قد تكون لديك.

كلمة للبتوليين

خشية أن نفترض أو نعطي الانطباع بأن "الجميع يفعلونها"، لديّ كلمة تشجيع هامة لهؤلاء العذارى. جاء شاب وسيم في الثالثة والثلاثين من عمره ليتحدث إليَّ بعد أن تابع عرضاً لهذه الأفكار قدمته مؤخراً. وقد نظر حوله ليتأكد من أنه ليس من يسمعنا ثم اعترف لي هامساً، "أنا بتول. لكني أشعر أنني غريب الأطوار في يومنا لكوني بتولاً".

لم أعرف ما إذا كان يجب عليَّ أن أبكي أم أتهلل: فقلت له، "أتعلم؟ أنت لست غريب الأطوار – أنت حكيم. كما أنك لست وحدك. فابقَ كذلك. إن الأمر يستحق العناء". أليس مدهشاً إلى أي مدى يبتهج الأشخاص المتورطون في الانحرافات الجنسية ويُدعَّمون عندما "يخرجون من القمقم"؟ في حين أنه عندما يكشف العذارى موقفهم، يُشهَّر بهم ويُعامَلوا كغرباء وشاذين.

لو كان باستطاعتي أن أخبركم كيفية تجنب الأمراض التي تُنقل جنسياً؛ وكيف تعطون لزواجكم فرصة أفضل بنسبة خمسين بالمائة للاستمرار؛ وكيف تعيشون حياة

مُشبعة، وصحية، وبلا ذنب، فهل ستهتمون؟ سيقول كل شخص تقريباً في ثقافتنا ، "بالتأكيد، اخبرني كيف؟" لكنهم سيُصدمون وربما يفزعون من الإجابة. فإن الأمر يبدأ بالنقاوة الجنسية – أي العذرية. هؤلاء الذين لا يزالون يمتلكونها لديهم فرصة ممتازة لتجنب معظم الثقل المؤلم الذي يأتي مع نموذج هوليوود. كونك بتولاً ليس غريباً؛ لكنك حكيم بشكل كبير.

استيقظ للثورة

حيث أنني خدمت في كنيسة محلية لعدة سنوات، فقد اشتركت في خدمات زفاف متعددة وأجريت محادثات مُطوَّلة مع أشخاص كثيرين يستعدون للزواج. وقد اكتشفت من هذه الخبرة أن هناك سنوات ضوئية من الاختلافات بين الذين يُخطبون ويتزوجون بطريقة العالم وبين الذين يفعلون ذلك وفقاً لطريقة الله. باستطاعتي أن أخبركم أيضاً أنه عند الوقت الذي يتقابل فيه الاثنان مع راعيهما، فإنهما عادةً ما يكونان قد اختارا الطريق التي سيسلكان بموجبها. تُعتبر مشورة ما قبل الزواج نافعة للغاية لكن غالباً ما تُلغى معظم قيمتها بواسطة الاختيارات التي قام بها الاثنان بالفعل قبل أن يبدأا المشورة.

هناك ملاحظة تاريخية مثيرة للاهتمام وهي أن حركة مشورة ما قبل الزواج قد بدأت حقاً في نهاية الستينات كرد فعل "للثورة الجنسية". غير أن مشورة ما قبل الزواج لا تستطيع أن تُبطِل في ست أو ثماني جلسات ما استوعبه الأشخاص من الثقافة لمدة عشرين عاماً. إن ما نحتاجه هو حركة مضادة للثقافة فيما بين المسيحيين لكي نسمح لنور الله بأن يسطع. نحتاج إلى ثورة روحية يقودها بشكل هادئ المؤمنون الذين قرروا أن يضعوا زيجاتهم وعائلاتهم تحت الضوء ويبدأون في التخلص من الظلمة. فلو كان القضاء يبدأ في بيت الله (١ بطرس ٤: ١٧)، كما يقول الكتاب المقدس، دعونا إذن نسمح لتأثيرات وصفة الله المُطهرة أن تقوم بتغيير ثوري وكاسح في حياتنا كمؤمنين. سوف يلاحظ العالم الاختلاف. قد يضحكون في البداية، لكن كثيرين من هؤلاء الذين يمشون أثناء النوم سوف يستيقظون وينجذبون إلى النور عندما يرون الحب الأصيل، والعمق، والعاطفة المُعاشة في حياتنا.

إنني أدعوكم في الفصل الأخير أن تنضموا إليَّ في الاستجابة إلى دعوة الله لثورة جنسية ثانية. هناك طريقة ثورية لإقامة علاقات مع الجنس الآخر – طريقة تتسبب في الحميمية، وليس الذنب، طريقة تستند على الحب، وليس الشهوة، طريقة تتسبب في الجنس المُشبع والالتزام طويل المدى.

التقييم الشخصي

١. ترك ديف ولاني انطباعاً دائماً على حياتي وشكّلا مثالياً لامعاً لما يمكن أن يكونه الزواج. من هم أفضل الأمثلة بالنسبة لك فيما يتعلق بالعلاقات الصحية والزواج؟ لماذا؟

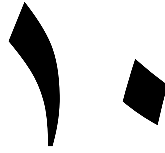
٢.بعد قراءة هذا الفصل، كيف تشرح الآن لماذا يُعتبر الجنس شأناً جدياً إلى هذه الدرجة بالنسبة لله؟

٣.كيف اختبرت حقيقة العبارة، **"أنت لا تفضح الفساد بالكلام؛ إنما تفضحه بالنور؟"**

٤.لماذا يوجد مثل هذا الكره الثقافي للبتولية في أيامنا؟

٥.على مقياس من ١ إلى ١٠، كيف تقيّم نقاوتك الجنسية في الذهن، والكلام، والفعل؟ اكتب عبارة أو اثنيتن لشرح إجابتك؟

تلبية دعوة اللّٰه للاستيقاظ إلى "الثورة الجنسية الثانية"



تلبية دعوة الله للاستيقاظ إلى "الثورة الجنسية الثانية"



إن وصفة الله للحب، والجنس، والعلاقات الدائمة قد أثبتت في النهاية أنها دواء قوي. فعلى مثال الأدوية التي تحارب السرطان اليوم، ربما تبدو وصفة الله وكأنها تقتلك وهي في طريقها لإعطائك الحياة. فهي ستخلق مواجهات فورية ومؤلمة مع الوضع الراهن في حياتك، كما هو الحال مع الدواء الفعال. غير أن العالم قد أقنعنا أن وصفة الله لن يكون لها مذاق جيد وأنها لن تجدي نفعاً. وبدلاً من ذلك، أصبحنا معتادين على أن نتناول الجرعة الحلوة المقرفة التي يقدمها العالم ورفضنا التعرف على أثارها الجانبية المميتة.

أما نموذج هوليوود فقد أثبت في النهاية أنه سم. أرجو أن تكونوا قد أدركتم الآن أن وصايا الله المختصة بالطهارة الجنسية ليست فقط من أجل منفعتنا الشخصية، لكنها تتحدى أيضاً سرطان الجهل، والزنا، والجحود التي لوّثت ثقافتنا.

العالم في احتياج شديد إلى ثورة. فإن حياتنا، وبيوتنا، وكنائسنا لابد أن تصبح خلايا من الأشخاص الذين يسلكون في المحبة ويعيشون في النور. لسنا نحتاج إلى التبجح

والهياج بشأن الطريقة التي تسير بها الأمور؛ بل نحتاج إلى تناول جرعات ثابتة ومنتظمة من وصفة الله. فالعالم لن يقتنع بالصياح؛ العالم سيقتنع بالنور. لسنا نحتاج إلى أن نعلِّي الصوت بل نحتاج أن نضيء الأنوار!

كيف سنفعل ذلك؟ كيف يمكننا حقاً أن نصنع الاختلاف في مقابل خصم يبدو أنه قد غزا بالفعل قلوب وعقول الناس من حولنا؟ كيف نقيم ثورة لاسترجاع روح ثقافتنا؟ بأن نجيب دعوة الله لثورة جنسية ثانية. أنا أعني ذلك حرفياً، وليس باعتباره شعاراً أو مبالغة للتحفيز. أدعوكم أن تنضموا إليَّ وإلى عشرات الآلاف من المسيحيين الآخرين من أجل ثورة ثانية فيما يتعلق بالجنس.

إرجع للحظة بفكرك إلى الستينات (لو كنت كبيراً بما فيه الكفاية) وتذكّر كيف اشتعلت ما تسمى بالثورة الجنسية الأولى. فقد أبدت مجموعة صغيرة من الأشخاص معادية للثقافة السائدة ارتيابها من الوضع الراهن. واعترضوا بشكل مفتوح على التفكير الحالي بشأن الوفاء الجنسي وبشّروا "بالحب الحر" والسلام باعتبارهما الأسلوب البديل للحياة. وقد عرضوا رسالتهم بحياتهم ونادوا بها من خلال موسيقاهم وفنهم. فحملوا بفخر علامة الثوار وقبلوا التحدي مع كل أشكال السلطة – الملخصة في "المؤسسة". وخلطوا الحيرة والفضول الطبيعيين للشباب بجرعة قوية من التمرد وابتكروا فلسفة للحياة. فكانت النتائج مريعة. وخلال جيل قصير (أربعين عاماً)، تغيرت أخلاق، وقِيَم، وعادات ثقافة بأكملها.

أين هو الرجاء إذن؟ إن ما تغير في اتجاه واحد يمكن أن يُعكس. والخطوات التي اتخذناها بعمق نحو الظلام يمكن أن تُستعاد في اتجاه النور لو أن أشخاصاً مثلي ومثلك تحمسوا لأن يكونوا ثوريين للحق كما كان هؤلاء ثواراً كذبة في الستينات. لقد اخلص هؤلاء المتمردون الشباب بإخلاص لوَهْم، غير أن ذلك قادهم إلى تغيير ثقافة. ربما كنت واحداً منهم وأصبحت تُدرك الآن أن الالتزام التام لأمرٍ ما ليس خطأ. إن المشاكل جاءت نتيجة الالتزام الكامل بأهداف

خاطئة. تخيل فحسب كم كان سيكون الأمر مثيراً عندما تعيش بنفس هذه الحيوية، من أجل الحقيقة. ماذا كان سيحدث لو تذكّر الناس العقد الأول من الألفية الجديدة باعتباره الوقت الذي أصبح فيه **"السلوك في المحبة والسلوك في النور"** مغيِّراً للثقافة السائدة وهي (مارسوا الجنس)، وابتعدوا عن الحرب**"**؟ كيف كان العالم سيستجيب للمسيحيين الذين عاشوا بالفعل ما بشَّروا به؟ أما كنت سترغب أن تكون ضمن هؤلاء الذي صنعوا اختلافاً لصالح الحق؟ نحن نستطيع ذلك**!**

كيف نبدأ في الثورة

ينبغي أن يبدأ التمرد ضد نظام العالم في تفكيرنا. إذ يمكن اقتفاء أثر جزء كبير من المشكلة بأن نقبل أن هناك فصلا بين طرق الله وطرق العالم. فإننا، كمؤمنين، قد خُدعنا وجعلونا نعتقد أننا نستطيع أن نفكر في كل شيء باستثناء الجنس من وجهة نظر الله. فنحن نعتقد أن الله إما غير مهتم أو أنه منزعج من الجنس. وتلك الافتراضات تشكل طريقة تفكير الظلمة. فقد رأي الله أن الجنس فكرة رائعة؛ ولهذا السبب خلقه**!** غير أن العالم لديه كل أنواع المشاكل مع الجنس لأنه لديه مشاكل مع الله.

إن أذهاننا ما هي إلا إحدى ساحات المعركة في هذه الثورة. ففي الواقع، يجب أن تتقدم الثورة الجنسية الثانية التي نتحدث عنها على ثلاث جبهات في وقت واحد. يجب علينا أن نتبنىّ:

١. طريقة جديدة للتفكير في النشاط الجنسي.

٢. طريقة جديدة لجذب الجنس الآخر.

٣. طريقة جديدة لإقامة علاقة مع الجنس الآخر.

لو تمكّنا من تحقيق هذه المهام الثلاث، فإن حياتنا الشخصية سوف تتغير جذرياً. وأكثر من ذلك نكون قد ساهمنا في تغيير ثقافة. سوف نستكشف في الصفحات القليلة

التالية ما الذي تحتاجه منا كل من هذه الجبهات.

الثورة الجنسية الثانية تتطلب طريقة جديدة للتفكير في النشاط الجنسي

عندما نفكر بطريقة ثورية وتقية بشأن الجنس، سوف تمتلئ أذهاننا بثلاث أفكار ثورية. تلك هي أساسيات الثورة. أنا وأنت لن نطيح بنظام مستحكم بدون بديل مركّز، ودائم، وغير قابل للتفاوض يتحدى بشكل مطلق تقريباً كل ما نراه ونسمعه في ثقافتنا. تبدأ الثورة بهذه الادعاءات الثورية الثلاثة: (١) الجنس شأن مقدس، (٢) الجنس شأن جدي، و(٣) الجنس مسئولية خطيرة.

الادعاء الثوري الأول – الجنس شأن مقدس

لن نكون قد انضممنا للثورة ما لم نعترف أنا وأنت بأن الجنس شأن مقدس بالنسبة لله. هل تريد أن تقف في صف الله؟ فالجنس إذن شأن مقدس. هل تريد أن تجد خطة للمعركة في ثقافتنا؟ حاول أن تقول "الجنس شأن مقدس" في المحادثة. استخدم تلك الجملة بشكل متعمد عندما يسألك أحدهم لماذا لا تشاهد أفلاماً معينة أو "تسلية" أخرى. سوف تتعرض للتحدي. وتكون عندئذ قد تمردت على الوضع القائم. فإن الادعاء بأن الجنس شأن مقدس يشبه حرق راية نموذج هوليوود. كن جاهزاً لردود الأفعال. استعد لشرح ما الذي تعنيه بالضبط عندما تقول إن الجنس شأن مقدس. ربما تشعر بالوحدة بعض الشيء، لكن لا تنسَ، ففي كل مرة تقول إن "الجنس شأن مقدس"، يجيب الله قائلاً "أنا أوافق".

وقدسية الجنس تعني أن الجنس مخصص. فهو مخصص باعتباره هدية قوية وذات مغزى تذكّرنا باستمرار بالله. فالجنس هو عطية خاصة وحميمة من الله. تذكر عبرانيين ١٣: ٤، "ليكن الزواج مكرماً عند كل واحد والمضجع غير نجس. أما العاهرون والزناة فسيدينهم الله". لن تصبح الحقيقة بشأن النشاط الجنسي أكثر وضوحاً من هذه الصورة الجميلة وهذا التحذير الصارم. إذ يجب أن يكون الجنس – فراش الزوجية – مكرماً وغير نجس. فإن

العلاقة المسماة بالزواج ينبغي أن تُخصَص وتُحفَظ غير دنسة. الجنس شأن مقدس لأنه يقدم لنا فرصة متفردة للتعبير عن امتناننا لله مع شخص آخر.

تصوَّر التفكير في الجنس بتلك الطريقة. إن فكراً من هذا النوع يعني أن الجنس لن يُعامَل أبداً باعتباره مشاعاً، بل يُعامل باحترام خاص. فهو يشبه في بعض الطرق أطقم الكريستال والصيني التي نحتفظ بها في بيوتنا من أجل المناسبات الخاصة. فإننا نقدِّر هذه الحاجات لأنها مقدسة بمعنى أنها مخصصة للاستعمال الخاص. غير أن قدسية الممتلكات الثمينة تبدو باهتة أمام قدسية الجنس. هكذا يريدنا الله أن نفكر في الجنس. ففي أكثر لحظاته الحميمية، يختص الجنس بالمعرفة، وليس بالإسترخاء أو النوم معاً. عندما بدأ آدم وحواء في استكشاف نشاطهما الجنسي، يصف الكتاب المقدس اتصالهما الجنسي بالقول، "وعرف آدم حواء" . كانت تلك اللحظة مقدسة. فقد كانا بحسب قصد الله يفتحان قدس أقداس حياتهما، ويتحدان معاً روحياً، وجسدياً، وعاطفياً.

وفي موضع آخر من الكتاب المقدس، عندما اخطأ داود الملك بالزنا مع بتشبع، استُخدمت كلمة أخرى لنفس الفعل الجسدي، "داود .. اضطجع معها" (انظر صموئيل الثاني ١١: ١-٥). فعلى الرغم من أن داود عرف أن بتشبع كانت زوجة رجل آخر، إلا أنه اشتهاها باعتبارها شيئاً جنسياً واعتبرها لعبة. وقد كانت العواقب مفزعة – فقد نبتت بذرة زنا في بيته أثمرت محصولاً من الحياة المدمِرة.

الجنس لا يختص فحسب بانسجام أعضاء الجسم معاً أو اللذة الوقتية – لكنه يختص بالقلب والكيان بأكمله. إنه يتعلق بالخصوصية. يختص بالقدسية. لم يُقصد للجنس أن يُستخدم للترويج للأشياء. ولم يُقصد به أبداً أن يكون طريقة للحصول على المتعة الرخيصة. ولا يجب النظر إليه إطلاقاً باعتباره أمراً وقتياً كما لو كان للتسلية. بل يجب أن يكون شيئاً مقدساً.

عندما تبدأ في التعامل مع الجنس باعتباره مقدساً والقول بأن للجنس قدسيته، سوف تعيش حياةً ثورية. وذلك الادعاء الثوري سوف يتردد في حياتك مثل الطلقة التي

سُمعت حول العالم والتي أحدثت ثورة مختلفة منذ فترة طويلة. وعندئذ تكون قد بدأت هجوماً في الجبهة الأولى للثورة الجنسية الثانية في حياتك. فهل أنت مستعد لذلك النوع من الالتزام؟

الادعاء الثوري الثاني – الجنس شأن جدي

هل تريد أن تسلك في النور وتُحسَب ضمن المتمردين في الثورة الجنسية الثانية؟ سوف يتوجب عليك أن تذكر الادعاء الثوري المضاد للحضارة المعاصرة وهو أن الجنس شأن جدي. هل تريد أن تقف في صف الله؟ إذن فالجنس شأن جدي. هل تتوق إلى أن تُعامل بجدية من قِبَل المحيطين بك؟ حسناً، ربما لن تحصل على ذلك لو أنك ادعيت أن الجنس شأن جدي، لكن مرة أخرى من الذي تحاول إرضاءه؟ وصدقني، عندما تجد شركاء متمردين آخرين، سوف تكتشف بعض الرفاق الرائعين في الثورة.

يلقي الكتاب المقدس ضوءاً ساطعاً على جدية النشاط الجنسي في مواضع مثل كورنثوس الأولى ٦: ١٥-٢٠:

"ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء للمسيح. أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاءً زانية. حاشا. أم لستم تعلمون أن من التصق بزانية هو جسد واحد لأنه يقول يكون الاثنان جسداً واحداً. وأما من التصق بالرب فهو روح واحد. اهربوا من الزنا. كل خطية يفعلها الإنسان هي خارجة عن الجسد. لكن الذي يزني يخطئ إلى جسده. أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم. لأنكم قد اشتُريتم بثمن. فمجِّدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله."

لا تفسح لنا الآيات السابقة أي مجال للتعامل مع الجنس باستهانة. عندما يمارس شخصان الجنس، سواء كانا متزوجين أم لا، حتى لو كانت علاقة مؤقتة، أو لمجرد اللذة، أو حتى لو كان مع داعرة، تقول كلمة الله إنهما يصبحان جسداً واحداً. إلى هذا الحد يُعتبر الجنس شأناً قوياً وجدياً. هل ترى التباين في هذه الآيات؟ باستطاعتنا أن نتوحد مع الله متّبِعين في ذلك وصفته للعلاقات أو باستطاعتنا أن نتوحد مع داعرة فنتورط في تشويه رديء آخر

للنشاط الجنسي. وكما اكتشفنا سابقاً، فإن الجنس والروحانية يدوران دائماً حول قضية العبادة. عندما يتلاقى الأشخاص معاً في الاتصال الجنسي، تحدث رابطة جسدية سواء اعترف بها المشاركون أم لا. إلى هذا الحد يُعتبر الجنس شأناً جدياً. إنه ليس مجرد التعلق بشخص آخر وليس لذة عرضية. إنه ليس مجرد إشباعٍ للذات. إن الفعل الجنسي فعل دمج للحياة. فهو ليس لعبة؛ لكنه قرار مغيِّر للحياة. إلى هذا الحد يُعتبر الجنس شأناً جدياً.

لقد خلق إله الكون الكائنات البشرية بحيث أنه عندما يتحد رجل وامرأة معاً في حدود الزواج، فإن ذلك يجلب السرور إلى الله. هذا النوع من الاتصال الجنسي المقدس يعكس رغبته في تقديم الحياة! لهذا السبب فهو الوسيلة التي تُخلق بها الحياة الجديدة. فإن اللذة والتناسل المحتمل اللذين يكمنان في الجنس فيما بين هؤلاء المخلوقين على صورة الله تجعله يستحق الإكرام والحماية. لا ينبغي أن يُعامل الجنس باستخفاف وذلك لأنه تعبير عن التزامنا البشري الأكثر عمقاً. بل يجب أن يكون فيه تلك الخصوصية والقداسة والرهبة.

لا تندهشوا عندما يشتد الصراع كلما بدأتم تدافعون عن ذلك الادعاء وهو أن الجنس شأن جدي. فإن جزءاً من العالم سوف يتحمل تصريحاتكم "الدينية" بشأن قدسية الجنس. لكن توقعوا زوبعة نارية من رد الفعل عندما تدّعون أن الجنس شأن جدي. هل أنتم مستعدون لذلك النوع من التفكير الثوري؟ فإن النتائج الجذرية تتطلب تفكيراً وحياة ثورية.

الادعاء الثوري الثالث – الجنس مسئولية خطيرة

لن نكون أنا وأنت جزءاً من الثورة الجنسية الثانية ما لم نتمكن من التفكير بطريقة ثورية خارج نطاق أنفسنا. ففي عالم يمتلك كل شيء لكنه نسى معنى كلمة المسئولية، يصر الله على أن الجنس مسئولية خطيرة. قد يحكم الآخرون قائلين إن إدعاءك بأن الجنس شأن مقدس وجدي هو "معتقداتك الخاصة والشخصية"، لكن ادعاء أن الجنس مسئولية خطيرة سوف يبدو لهم على أنه تدخل في حياتهم. سوف تُتهم بأنك تحاول أن تجعل الآخرين يشعرون بالذنب. تَذَكّر أن التفكير الثوري سوف يؤثر على الطريقة التي نرى ونعامل بها

الآخرين. لو أردنا أنا وأنت أن نقف في صف الله، فسوف نقول إن الجنس مسئولية خطيرة. تقول تسالونيكي الأولى ٤: ٣-٧ ،

"لأن هذه هي إرادة الله قداستكم. أن تمتنعوا عن الزنا أن يعرف كل واحد منكم أن يقتني إناءه بقداسة وكرامة. لا في هوى شهوة كالأمم الذين لا يعرفون الله. أن لا يتطاول أحد ويطمع على أخيه في هذا الأمر لأن الرب منتقم لهذه كلها كما قلنا لكم قبلاً وشهدنا. لأن الله لم يدعنا للنجاسة بل في القداسة."

في الموضع الذي تقول فيه الآية، "أن لا يتطاول أحد ويطمع على أخيه"، تستخدم الترجمات الأخرى لفظ "يسلب"، مما يجذب الانتباه إلى فكرة إثارة رغبات جنسية في شخص آخر لا يمكن أن تُشبع بشكل شرعي خارج إطار الزواج. نحن مسئولون عن الطريقة التي نقدم بها أنفسنا للآخرين. ولو عرفنا ضعف شخص ما وقمنا باستغلاله، فإننا بذلك نسلبه. لو تزينت المرأة بشكل مغرٍ أو احتال الرجل عن طريق التظاهر بالاهتمام، فكلاهما مذنب باستغلال ضعف شخص ما. والكتاب المقدس في غاية الوضوح: إن الجنس خارج السياج المحمي لرجل واحد وامرأة واحدة في الزواج هو رخيص ومدمر ورديء.

لماذا إذن، وخاصة بين المسيحيين، يبدو أن هناك مثل هذا الاتجاه المتساهل والجهل المتعمد بشأن وصفة الله للحب، والجنس، والعلاقات الدائمة؟ من الواضح أنه كان هناك انهيار. فإن الكنيسة التي تدّعي أنها تتبع يسوع غالباً ما لا تتصرف وفقاً لاعتقادها بأن الجنس شأن مقدس، أو جدي، أو مسئولية خطيرة. لقد أدلى يسوع بعدد من التصريحات إما نكون قد نسيناها أو أننا نظن أنها ليست هامة. فعلى سبيل المثال، كان الرب يتفاعل مع بعض القادة الدينيين عندما وجه التحذير التالي: "ومن أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بي فخير له أن يعلق في عنقه حجر الرحى ويغرق في لجة البحر" (متى ١٨: ٦). كان يتحدث عن "الأطفال" الروحيين، المؤمنين الصغار ذوي القلوب المفتوحة، الأشخاص الذين يريدون أن يتبعوه، الأشخاص الذين أبصروا النور. وكان يحذّر هؤلاء الذين لديهم معرفة أفضل لكي يكونوا حذرين لئلا يتسببوا في عثرة أولئك المؤمنين الجدد.

استمر يسوع في الحديث عن مخاطر الإغراء، جاعلاً تحذيره أكثر وضوحاً، "ويل للعالم من العثرات. فلابد أن تأتي العثرات ولكن ويل لذلك الإنسان الذي به تأتي العثرة" (متى ١٨: ٧). لم يتردد يسوع في جعل الناس مسئولين عما يساهمون به في حياة الآخرين. هل تدركون كم من المرات من خلال اتجاهاتنا فيما نضحك عليه، فيما نشاهده، فيما ننفق المال عليه، والطريقة التي نتزين بها، نساهم كمؤمنين بيسوع المسيح في جعل الآخرين يتعثرون؟ نحن نفعل ذلك كثيراً جداً حتى أنه لم يعد يُرى باعتباره مشكلة. هذا ليس افتخاراً طائشاً بالحرية في المسيح، كما فعل الكورنثوسيون عندما أكلوا لحماً مقدماً للأوثان (كورنثوس الأولى ٨). كلا، إنه تشويش جاهل لا يرى تعارضاً في رسالة إيمان بالمسيح تنطق بها الشفاه بينما تُنقل رسالة أخرى من القيم والفساد العالميين من خلال تصرفنا وملبسنا. إن كلا من الكلمات والأفعال له معنى، لكن عندما يعارض أحدهما الآخر بوضوح، فإن ما نفعله فعلياً يهم أكثر.

إن الموقف الثوري من المسئولية الجنسية يطرح أسئلة مختلفة جداً عندما يتعلق الأمر بما نرتديه، وكيف نبدو، وكيف نتصرف. أخاف أن نكون، كمسيحيين، قد انتحلنا في أحيان كثيرة عذر الحرية في المسيح لكي نتزين ونتصرف مثل العالم تماماً. ذلك يشبه ادعاء الحرية ونحن نعيش في عبودية. المسئولية الخطيرة تعني أننا مسئولون أمام شخص ما. إنها تعني أنه يجب أن نقدم جواباً لشخص ما عن حياتنا. فإن المسيحي الثوري يتحول من التساؤل عن الزي وتلك القوائم القانونية اللانهائية بشأن ما لا يمكن للمؤمنين ارتداءه، أو إلى أي مدى يمكنهم أن يطيلوا شعرهم إلى القضية الجوهرية: هل أنا أرضي الله؟ هل الأشياء التي أفعلها، وأرتديها، وأقولها ترضي الله ؟ هل هناك جزء في حياتي لا يكرم الله؟ هل أنا مستعد لتقديم حساب بلا خجل لأبي السماوي عن الكيفية التي استخدمت بها الجسد الذي أعطاني إياه؟

نحن لا نتوقع أن يطرح غير المؤمنين الأسئلة السابقة. ولن نندهش عندما يرفضون ادعاءاتنا الثورية بأن الجنس شأن مقدس، وجدي، ومسئولية خطيرة. لكن الفشل في تحمل المسئولية نحو بعضنا بعضاً ونحو الله وفي الطريقة التي نحيا بها، يهدم الرسالة الثورية التي أُعطيت لنا لكي نشاركها مع العالم. لاحظت ذلك بصفة خاصة في أولئك الذين

يهمسون في آذان الشباب. فإن المؤمنين الذين يصبحون مغنيين أو ممثلين مشهورين يحملون مسئولية واضحة لمراعاة الرسالة التي يقدمونها فيما يقولونه أو يغنونه وفيما يفعلونه.

هناك المزيد والمزيد من الأمور التي تشير إلى خيانتنا عندما يتعلق الأمر بمعايير الله للجنس. قم بزيارة مكتبة مسيحية والقِ نظرة على أغلفة الألبومات التي صممهِا فنانو طباعة مسيحيون. سوف تلاحظ أن هناكَ ميلاً للإيحاءات الجنسية في الصور. فقد أُختيرت الملابس والوقفات التي تُظهر جاذبية جنسية هدفها "جذب السوق". باعتبارنا مؤمنين ثوريين، لن نرجم أولئك الأشخاص أو ننعتهم بأسماء سيئة. سوف نقول ببساطة، "ليست هذه هي الطريقة التي سنحيا بها. أما أنا وبيتي، فنعبد الرب".

يظل الجنس شأناً جدياً في عيني الله، حتى لو تعامل أناس الله معه باعتباره أمراً تافهاً. لم يُقصد للجنس أن يروِّج لألبومات أو لأي منتج آخر. لو أننا أردنا أن نصنع ثورة جنسية بين شعب الله، فيجب أن تبدأ في أذهاننا. لن نُشبع ما لم نطلب من أنفسنا طريقة تفكير ثورية. إنني لا أجادل الآن من أجل عودة الجهات وتقاليد العصور الوسطى مثل الياقات العالية وأحزمة العفة. بل أقول إننا، ككنيسة، قد سقطنا في مستنقع ثقافتنا لأننا لا نفكر بشكل صائب في الجنس. غير أن التجديد في أفكارنا لن يكون كافياً. سوف يتحتم علينا أن نقاطع نموذج هوليوود لجذب الآخرين وتبني طريقة ثورية لتطوير علاقات مع الجنس الآخر.

الثورة الجنسية الثانية تتطلب طريقة جديدة لجذب الجنس الآخر

في بداية هذا الكتاب وضحنا أن نموذج هوليوود يستند تماماً تقريباً على الجاذبية العاطفية والجسدية. هذا المعتقد الثقافي المترسخ الذي يظن أن الحب ينشأ من المظاهر يجب أن يوقف بشكل جذري. إن الجبهة الثانية للثورة الجنسية الثانية سوف تتحدى مباشرةً الطريقة التي نبدأ بها العلاقات، وأقصد بذلك النظام الذي يستند على الجاذبية العاطفية والجسدية. فإنك ترتدي الملابس الضيقة جداً، وتحشر نفسك في بنطلونك، وهكذا يكون بإمكانك أن تحظى باهتمام الجنس الآخر. إن الشباب المسيحي يرون نماذجهم في الثقافة

السائدة حولهم لأننا لا نناقش أو نتحدث عن الجنس داخل الكنيسة. إن الأبحاث الحديثة وضّحت النتائج التي ذكرناها في بداية هذا الكتاب. وأصبحت آثار عبادة المظاهر واضحة جداً لدرجة لا نستطيع إهمالها. وللمرة الأولى نرى اضطرابات الأكل المتزايدة فيما بين المراهقين. والشباب يرفعون الأثقال بشكل محموم، ويتناولون المنشطات، ويشربون مشروبات غنية بالبروتينات لاقتناعهم بأنهم يجب أن يظهروا بصورة معينة. وهم يميلون إلى الجاذبية الجنسية باعتبارها أفضل طريقة لجذب الجنس الآخر. ولأول مرة في حياتي، أرى سيدات يأتين ويتحدثن إلى فريق المشورة الخاصة بنا عن إدمانهن للصور الجنسية الفاضحة.

لو ذكر العالم أن الطريقة المثلى لجذب الجنس الآخر هي الجاذبية الجنسية، عندئذ يقتصر الأمر أساساَ على الزي المغري، والتركيز على الأجساد، والنهود، والعضلات. كما أن الاحتيال، والألاعيب، والرومانسية المزيفة يعتبر جميعها جزءاً من سحر العالم المغري. وقد قبلنا في الكنيسة الأمر برمته بشكل مأساوي. وفجأة، وجدنا أن نفس القصص المأساوية التي نسمعها في العالم تُقال في الكنيسة. وهكذا نحتار عندما يتورط أطفالنا في علاقات مدمرة؛ ونرتبك بشأن السبب الذي لأجله يقع الطلاق بين المسيحيين. نحن نحيا وفقاً لصيغة العالم ثم نتساءل لماذا نحصل على نتائج العالم.

غير أن الله يقدم، بشكل مدهش، ثلاثة بدائل مثيرة للجاذبية الجسدية المجردة باعتبارها الأساس الذي يمكننا أن نؤسس عليه العلاقات مع الآخرين. إن تفعيل هذه البدائل سوف يشن الهجوم في جبهة ثانية بالثورة الجنسية الثانية. قد تبدو طريقة الله لجذب الجنس الآخر قديمة أول الأمر لكنها فعالة جداً. فهي في الواقع ثورية. تقول بطرس الأولى ٣: ٣-٤، "ولا تكن زينتكن الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلي بالذهب ولبس الثياب بل إنسان القلب الخفي في العديمة الفساد زينة الروح الوديع الهادئ الذي هو قدام الله كثير الثمن"

الطريقة الثورية الأولى للجاذبية – اكتسب شخصية داخلية

سوف ترى الطبيعة الثورية لموقف الله لأنه يمنح شخصية داخلية كبديل للجمال الخارجي المجرّد. هذا يعيدنا، بالطبع، إلى الخطوة الأولى في وصفة الله – فإن القضية لا

تتعلق بإيجاد الشخص المناسب، بل تتعلق بأن نكون نحن الشخص المناسب. نكون أشخاصاً أتقياء – ليسوا متزمتين، ولا نتبع الفكرة الشائعة عن القداسة بل نحن أتباع مؤثرون للمسيح. إن التفكير الثوري الذي ناقشناه في الفقرة السابقة سوف يغيِّر بالتأكيد شخصيتك الداخلية، وسوف يكون أكثر جاذبية على المدى الطويل من أي شيء يمكن أن تفعله بنفسك خارجياً.

الطريقة الثورية الثانية للجاذبية – اكتسب تواضعاً خارجياً

أعتقد أن الرب لديه حس رائع من الفكاهة، وذلك لأنه يهز قيم أمريكا بطرق غير متوقعة. فهو يستخدم طبيبة متدينة لعلم وظائف الأعضاء تحولت إلى مشيرة وتُدعى لورا. فقد اكتسبت شجاعة للوقوف والتصريح عبر الأثير، "هذا صواب؛ هذا خطأ!" لست أتفق بالضرورة مع كل ما تقوله، لكن في عالم الحقيقة النسبية هذا لدينا مشيرة يهودية تقدم إجابات أخلاقية لملايين من الأشخاص لا يعرفون ماذا يفعلون. وقد عانت من رد فعل عادةً ما يواجهه المؤمنون الذين يجرؤون على التعليم جهاراً بما يقوله الكتاب المقدس.

هناك مثال آخر على حس الفكاهة لدى اللّٰه يختبئ خلف الشعبية المذهلة لكتاب وندي شاليت وهي طالبة فنون حرة يهودية في العشرينات من العمر. وجعلت له عنواناً عودة إلى التواضع. وهي تعدِّد في ذلك الكتاب النتائج التي يحصدها جيل الشباب البالغين الذين يمارسون الجنس بنفس السهولة التي يتصافح بها أهاليهم. وتشرح شاليت أن الجنس في المدن الجامعية قد أصبح في الغالب شائعاً وشخصياً. هذا العُرف يُدعى، في الواقع، "التعليق". وهي تقدم حجة لامعة وشبابية للتذكير. وتتحدى ثقافتنا بالأسى على شيء جميل قد فُقد بين الممارسات الجنسية – وهو فقدان التواضع.

فكما أشرنا من قبل، فإن التغييرات الجذرية في نسيج التجربة قد حوَّلت البتولية، والخصوصية، إلى شيء شاذ أو مسألة مخزية، ليس إلى الحرية والتقدم، بل إلى القبح. إن فقدان الحشمة العامة الأساسية هو أمر لابد أن اللّٰه يحزن عليه. لقد أصبحت الخيوط الأخلاقية لثقافتنا متهرأة للغاية لدرجة أن شاليت تدعو هذه الحالة "مأساة أمريكية

مرعبة". وهكذا وجد جيل شاليت صوتاً من خلال اعترافاتها البليغة. فهي تشارك بأمانة عن الحسد غير المرئي في أغلب الأحيان الذي تشعر به نساء جيلها حيال النساء الأكبر سناً اللاتي يمتلكن زواجاً متواصلاً منذ زمن. وهي تعترف باشتياق الكثيرات جداً من نظيراتها للعلاقات الدائمة والعهود الباقية. وترجو أن تصمد كثيرات ممن هن في مثل سنها من أجل الاستقرار والحب الأصيل بدلاً من السكون إلى الجنس الرخيص والغشاش والمهانة الشخصية التي فُرضت، بطرق كثيرة، على أبناء ثقافتنا.

إن وندي تمتلك الجرأة لكي تدعو شابات هذه الألفية إلى العودة للاتضاع في زيهن، والاتضاع في سلوكهن، وخصوصية النشاط الجنسي، حيث تظل بعض الأشياء خاصة، وذات مغزى. وهي تتحسر على ثقافة تجد فيها الناس منفتحين بهمجية حتى أنه لم يعد هناك شيء متروك للتخمين أو الافتتان بشأنه – لم يعد هناك شيء للتركيز عليه سوى المظاهر الخارجية.

إنني أجد كتاب وندي شاليت قوياً ومدهشاً، وخاصة بالنسبة لفتاة في مثل سنها. ومع ذلك، يحزنني أن عملها الرائع والمفاهيم الكتابية نادراً ما يعُمَل بها وسط الثقافة المسيحية التي تعتنق فكرياً فضيلة التواضع. أتساءل في كثير من الأحيان ما الذي يفكر فيه آباؤنا المسيحيون عندما يسمحون لبناتهم بمغادرة المنزل وهن متزيّنات بطرق يعرفن أنها تثير الشباب. نعم، أعلم أن هناك شباباً مسيحياً يأخذ موقفاً، لكني أظن أننا، الكنيسة بأكملها، لا تساندهم.

التواضع الخارجي يتعلق كثيراً بالسلوك في المحبة والسلوك في النور. فإن كل الصفات المشرقة للشخصية التي وصفناها عندما تحدثنا عن هذين المفهومين، تخلق تواضعاً مبهجاً وجذاباً. فعندما نتقابل مع شخص ما يدخر شيئاً لمن سيتزوجه، نشعر أننا قد قابلنا شخصاً لديه نزاهة حقيقية وجوهر شخصي.

الطريقة الثورية الثالثة للجاذبية – اكتسب تكريساً متنامياً

الصفة الثورية الثالثة التي يصفها الكتاب المقدس يمكن أن تُلخّص باعتبارها

التكريس المتنامي. كم يكون منعشاً أن تقابل شخصاً يعيش بالفعل ما وصفناه سابقاً باعتباره الجزء الثالث من صيغة الله للحب، والجنس، والعلاقات الدائمة – "تثبيت رجائه على الله والسعي إلى إرضائه بكل قلبه". مثل هذا الشخص يعيش حياة ثورية!

أدرك أنك ربما تكون شخصاً يمكنه أن يقول بأمانة أنه لم يرَ إطلاقاً كيف يبدو ذلك. دعني أقول لك، عندما ترى تكريساً متنامياً أصيلاً في حياة شخص آخر، فإن النتائج تكون جذابة جداً. ففي الواقع، على الرغم من أن زوجتي تبدو جميلة ظاهرياً (وخاصة في عيني)، لم يكن ذلك هو أكثر ما جذبني إليها. فقد كان تكريس تريزا المتنامي سمة جذبتني إليها بقوة أكثر مما فعلت أي جاذبية ظاهرية.

لا زلت أتذكر المرة الأولى التي طلبت فيها أن أقابلها وقد أجابت بأنها لن تتمكن من المجيء لأنه كان لديها التزام مسبق. وقد تساءلت في عجرفة الشباب كيف يمكن أن يكون لديها التزام مسبق أهم من الفرصة لقضاء وقت معي. وحيث أنني كنت شاباً متطفلاً، فقد حدث أنني مررت بمنزلها في تلك الليلة، يملأني الفضول بشأن المنافسة المحتملة. كانت سيارتها واقفة في الممر، وكانت الأنوار مضاءة في غرفة المعيشة – من الواضح أنها كانت في المنزل. فشعرت ببعض الغضب الذي تبعه سريعاً ألم الرفض. ظننت أنها كانت امرأة مدهشة وأنها كانت مهتمة بي فعلياً. لكن كيف استطاعت أن تختار قضاء أمسية بمفردها في المنزل بدلاً من أن تكون معي؟

وبعد يومين تم تصحيح افتراضاتي الخاطئة بواسطة إحدى صديقاتها. فقد أخبرتني أن تريزا شاركت معها كيف كان صعباً بالنسبة لها أن تخذلني لكنها كانت قد قررت تخصيص تلك الليلة لقضاء وقت منفرد مع الرب. فتحوّل الرفض الذي كنت قد شعرت به فوراً إلى انجذاب. كيف لا أريد أن أكون مع شخص لديه هذا الالتزام بعلاقته مع الله بنفس الطريقة التي أتوق إليها؟ فقد اكتسبت تريزا، كنتيجة لوقت قاسي جداً مرت به في حياتها، عادة قضاء بضع ساعات لمدة يومين أسبوعياً في الصلاة والمشاركة الشخصية مع الله – قراءة الكتاب المقدس، والترنيم، والاستمتاع بحضوره باعتباره أباها السماوي الحاني. عندما أدركت أنني قد انبهرت لأن الله كان أكثر أهمية في حياتها، حدث شيء بداخلي لم أتمكن

من تفسيره تماماً. فكوني في المرتبة الثانية بعد الله سبَّب لي، بطريقة ما، راحة وانجذاباً كبيراً. فإننا على قدر ما نرغب في أن يريدنا الأشخاص، يكون هناك تأثير أكثر قوة وجاذبية على العلاقة عندما يطلب الشخص الآخر الله أولاً. عند هذا الوقت في حياتي، كنت قد تقابلت مع عدد من الفتيات الجميلات وكنت أبحث عن "الشخص المناسب". ولكن تكريس تريزا العلوي كان سبباً في أن تنتقل تروسي العاطفية إلى أقصى سرعة، فانتابتني رغبة مفاجأة في إقامة علاقة مع فتاة كان يمثِّل المسيح لها الأولوية الأولى في حياتها.

ترون إذن أنكم لو أردتم ان تؤسسوا علاقة دائمة، فإن الأمر يتطلب أكثر من مجرد تسريحة شعر جيدة، أو جسد فتّان، أو سمرة جيدة. تلك الأشياء تذبل سريعاً وهي بالأحرى سطحية. لكن عندما تتقابلون مع شخص لديه تكريس إلهي، سوف تدركون أن لديه جوهراً، وشخصية، وجمالاً لن يفنوا مع الوقت.

مقوّمات الثورة الجنسية الثانية

كلما فكرت في جذب الجنس الآخر كجزء من الثورة الجنسية الثانية، تذكر أنك تحمل هذه المقوّمات:

شخصية داخلية

تواضعاً خارجياً

تكريساً علوياً

من الناحية التاريخية، كانت المقوّمات تعتبر طريقة مختصرة للإشارة إلى الدَيْن. فإن الدين الذي نحتاج أن ندفعه في ضوء كل ما صنعه الله لنا هو إقامة العلاقات وفقاً لطريقته. سوف نفعل ذلك للترويج ليس لمجرد مصلحتنا الخاصة بل أيضاً لبرنامجه عندما نسلك في النور.

إن وجود هذه المقوّمات سوف تتضمن ترتيبات ثورية تُكرِم الله. فربما تحتاج إلى أن تستغني عن بعض الملابس، وتقيِّم مظهرك الخارجي، وتحلل بعضاً من عاداتك. لكن تذكَّر

أن الظواهر يجب أن تكون انعكاساً واضحاً ومقنعاً للدواخل التي هي رغبة عميقة لإرضاء الله. لا أظن أن القضية تتعلق بالموضة على قدر ما تتعلق بالقلب. فبغض النظر عن ذوق جيلك أو ذوقك في الملابس، سوف تكون القضية الجوهرية لهؤلاء المشتركين في الثورة الجنسية الثانية: ما الذي أسعى إلى نقله بالطريقة التي أتزين بها أو أبدو عليها؟ تحتاج أن تتمكن، في النهاية، من تفسير كيف تُعتبر أفعالك الخارجية وحتى زيّك تعبيراً عن تكريسك العلوي لله.

عندما ننظر، أنا وأنت، في المرآة، نحتاج أن نفكر في كولوسي ٣: ١٧، "وكل ما عملتم بقول أو فعل فاعملوا الكل باسم الرب يسوع شاكرين الله والآب به". يمكن لكل جزء من حياتنا أن يعبِّر عن امتناننا لله عندما نسعى إلى تطوير شخصية داخلية، وتواضع خارجي، وتكريس علوي تعكس انتماءنا إلى الإله الذي وهب هذه الحياة لنا. نحن لا ندين لثقافتنا، ولا لنظرائنا، ولا حتى لأنفسنا بأي شيء نظير الامتنان والحب الذي ندين به للرب يسوع المسيح. قد تكون محتاجاً إلى المساعدة في اكتشاف تفاصيل ذلك لنفسك. تخيّل ما كان سيحدث لو أنك جلست مع ثلاثة أو أربعة أصدقاء مقربين تحترم بعمق مسيرتهم مع الله وناقشت معهم ما الذي ترتديه ولماذا. ماذا لو أنك تكلمت في الواقع إلى أي مدى سترتدين ملابس قصيرة أو ضيقة، ولماذا؟ ماذا لو سأل بضعة رجال بعضهم بعضاً بشكل منفتح عن دوافعهم في رفع الأثقال أو قيادة سياراتهم بأقمصة بلا أكمام، ووضعوا أنفسهم في موضع مسئولية من أجل أن يحيوا حياة نقية؟ لا يتعلق الأمر بما يظنه الآخرون أو بشأن التحفظ أو حتى بشأن إرضاء البالغين ذوي الأهمية؛ لكنه يتعلق بأن تكون لدينا الجرأة على أن نحيا بشكل ثوري لأننا أنا وأنت نرغب في إرضاء الله وإقامة العلاقات وفقاً لطريقته.

هذه المقوّمات سوف تعني أنك لو كنت شخصاً أعزب يعيش حياة طائشة، فسوف تسأل نفسك، "ما هي الرسائل التي أبعثها؟" ها هي نشرة مرعبة: عندما تتزين أو تتصرف بشكل مغري، سوف تجذب شخصاً يشبه بالضبط الشخص الذي تكونه. فإن الإشارات التي ترسلها سوف تثير استجابة ما. لذلك لا تندهش لو أنه لم يفِ بالتزاماته. لا تتعجب إن كانت التفاحة الصغيرة المغرية التالية التي يريد أن يقطفها من الشجرة هي شخص آخر غيرك. ها هو مبدأ أساسي في العلاقات: فإنك سوف تجذب نفس نوعية الأشخاص التي

تُظهرها أو تعلن عنها.

إن استراتيجية العالم هي الإعلان بشكل خارجي ومفرط. عندما ترتدي امرأة سترة وتقول في نفسها، "إنني أتساءل كيف تبدو تلك في عيني رجل؟" أو عندما يلبس الرجل قميصاً ضيقاً بعد أن يكون قد رفع أثقالاً ويسأل نفسه، "هل ستلاحظ السيدات ما كنت أفعله؟" إنها رموز لنموذج هوليوود في حالة فعل. لكن هل توجد رسائل أخرى في مثل هذه التصرفات؟ هل توجد هناك بعض المشاعر بعدم الأمان بشأن قيمتنا نداريها أنا وأنت بواسطة الإعلان بشكل خارجي؟ هل أحاول أن أُظهر صورة مزيفة سوف تجذب الآخرين استناداً على الإشارات الخارجية، أم أنني ملتزم بنزاهة داخلية لا تعتمد على العوامل الخارجية الغاشة.

هل نقول إن المظهر الجيد، ورفع الأثقال، والاهتمام بأجسادنا أمر خاطئ؟ قطعاً لا! فإنني أؤمن بأن اللياقة البدنية تساهم في إحساسي بالوكالة على كل ما أعطاني الله إياه. فإنني أتمرن يومياً بانتظام وأبدو على أفضل صورة أستطيعها. ليست لدي مشكلة مع الأشخاص الذين يبدون بمظهر جيد أو حتى الأشخاص الذين يتمتعون بالوسامة. فإن المشاكل التي نتسبب فيها تنبع عندما نعتمد على الكيفية التي نبدو عليها أو الكيفية التي نجعل أنفسنا تبدو عليها باعتبارها أداتنا الأولية لجذب الآخرين وإثارة إعجابهم.

لقد أعطانا الله أجساداً رائعة وجميلة. غير أنه لم يُراد بها الاحتيال على الآخرين. عندما نجعل أسلوب حياتنا أن نطوِّر شخصية داخلية، وتواضعاً خارجياً، وتكريساً علوياً، فإننا في الواقع نسمح لأجسادنا بإتمام أفضل مقاصدها. فإن المقوّمات الخاصة بنا تستمر في الازدهار وتصبح أكثر جمالاً مع مرّ السنين، بعد أن تكون قشرتنا الخارجية قد عانت من آثار الزمن. عندما نؤسس علاقاتنا على ما هو عابر ومضمحل، فإننا بذلك نجعل هذه العلاقات حساسة للوقت. إن الله يعرض علينا، بدلاً من ذلك، طريقة ثورية في التفكير بشأن الجاذبية الدائمة بين الأشخاص – وهي الحق.

الثورة الجنسية الثانية تتطلب منا أن نتعلم طريقة جديدة لإقامة علاقات مع الجنس الآخر

تتضمن الثورة الجنسية الثانية طريقة جديدة للتفكير، وطريقة جديدة للجذب، وطريقة جذرية جديدة لإقامة علاقات مع الجنس الآخر. أما الآن ووفقاً للطريقة التي يقيم العالم بها علاقات، فإننا نعتبر الآخرين أشياءاً نستحوذ عليها، أو "حباً حقيقياً" نسعى إليه، أو مصادر لاستخدامها من أجل الترفيه الجنسي. فإن العالم يعامل الآخرين على أنهم أهداف أكثر من كونهم أشخاصاً مخلوقين على صورة الله. لقد ضللتنا نماذج هوليوود بأن جعلتنا نعتقد أننا مركز الكون. وكل الآخرين، موجودون من أجل خدمة احتياجاتنا. نحن لا نقولها بتلك الهمجية أو حتى نفكر فيها بهذا التحديد، لكننا نعامل الآخرين كما لو كانت تلك هي الحالة. وحدها الثورة سوف تكسر دورة التمركز حول الذات.

وفي المقابل، فإن الطريقة التي عاملنا الله بها تظهر لنا على الأقل ثلاث طرق ثورية لإقامة علاقات مع الجنس الآخر.

١. ابدأ العلاقة كأصدقاء

قبل أن نتكلم نحن الآباء مع أبنائنا عن الجنس بفترة طويلة، نحتاج في الواقع أن نتحدث معهم في أغلب الأحيان عن الصداقة. نحتاج أن نعلِّم أبناءنا أن يقيموا علاقات صداقة مع الجنس الآخر. يوحنا ١٥: ١٣ يقدم لنا تعريفاً عظيماً لكي نشاركه مع أطفالنا ونتبعه نحن أنفسنا: "ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه من أجل أحبائه" كان ذلك هو الوصف الشخصي الذي قدمه يسوع عن الصداقة التي عاشها بشكل مثالي. يجب أن تتأسس العلاقات مع الجنس الآخر على الصداقة أولاً، وليس الرومانسية، أو الهرمونات، أو الجاذبية.

لقد خطر في بالي أن كل ما تبقى من الفكرة القديمة عن المواعدة هو على الأرجح عتيق الطراز. هل هناك وقت مناسب للمواعدة؟ من المؤكد أنه يوجد، لكن عندما ينفرد طلاب الصف الخامس، والسادس، والسابع، والثامن أحدهم بالآخر من أجل علاقات غرامية مزيفة، فإننا في الواقع نسلب الشباب الصداقات الرائعة ونسجِّلهم بدلاً من ذلك في مدرسة نموذج هوليوود المحبِط الخاص بالحب. نحن لا نعتقد حقاً أن أطفالاً بهذا الصغر يحتاجون إلى

حضور تدريب للزواج. لكنني ألمّح إلى أننا نوقع أطفالنا في الغرور عن طريق السماح لهم بأن يدخلوا في الدوامة: ارتبط عاطفياً، اشعر بكل مشاعر الرومانسية شبه الترفيهية، احصل على قلب منكسر، أعطِ قلبك، استرجعه مكسوراً مرة أخرى، أعطِ قلبك مرة أخرى، استرجعه مكسوراً مرة أخرى، افقد الحس، تعلمي أن تحتالي على الرجال، تعلم أن تحتال على السيدات، اختبر دورة أخرى من الانفصال، مراراً وتكراراً.

هل تعرفون ما الذي يفعله هذا التكرار المسبب للدوار؟ إننا نساعد أبناءنا بغير قصد على تعلم أنهم ما أن يقدموا التزاماً حقيقياً في الزواج، يمكنهم أن يتوقعوا أنه على الأرجح سينهار أيضاً. فقد تدربوا على ذلك. نحن جميعاً نحتاج، بدلاً من ذلك، أن نتدرب على الصداقة. ماذا كان سيحدث لو أننا، بدلاً من التركيز على المواعدة المبكرة، نتحدث إلى أطفالنا ونشجعهم على أن يعقدوا صداقات مع أشخاص من الجنس الآخر كهدف ناضج وصحي؟

أرى أنكم قد تعلمتم غنى الصداقة بالطريقة الصعبة. أعلم أنني فعلت ذلك. هذا أيضاً هو الحال بالنسبة لمعظم الأشخاص الذين سمعتم رواياتهم في هذه الصفحات. لقد تقابلت مع تريزا. كنا أصدقاءاً لمدة عام ونصف قبل أن تظهر أي أضواء رومانسية، وأجمل ما في الأمر أن الظروف ساعدتني على إتباع وصفة الله. بالرغم من أنني لم أكن أدرك ذلك في وقتها. فقد تسبب إبناها ووضعها بصفة عامة في جعلها سهلة المصادقة. وأدركت أنها كانت رائعة، غير أنني افترضت أنها كانت مثل منطقة **"محظور الدخول إليها"** لكنها تحتاج حقاً إلى أخ في المسيح كصديق ومُشجّع مع الأولاد.

كنا جزءاً من دائرة أوسع من الأصدقاء المسيحيين. لم أكن أحاول أن أثير إعجابها أو أن أبدو دائماً على أفضل حال. لم نكن نمثل أحدنا على الآخر. كنا نصلي معاً، ونتشارك معاً، ونتعبد معاً، ونشارك في الخدمة معاً. وقد تعلمنا أموراً مدهشة عن أحدنا الآخر بدون التذكير المستمر أنها كانت امرأة وأنا كنت رجلاً. وحيث أننا كنا جزءاً من مجموعة أكبر، فقد كان قضاء وقت معاً نادراً ما يجعلنا ننفرد مع بعض. عند النظر إلى الماضي، أدرك أننا لم نكن حقاً نعي الطريقة التي نميّناها معاً وذلك لأن تركيزنا كان على المسيح وعلى مساعدة أحدنا الآخر على النمو فيه.

كنت في إرسالية بفنيزويلا عندما وقعت في حب تريزا. عند ذلك الوقت، كنت قد عرفتها لما يقرب من عام ونصف. فقد أتى الله بها إلى ذهني بطريقة غير متوقعة. كنت أصلي من أجل زوجة، وكان الأمر تقريباً كما لو أن الله همس، "ماذا عن تريزا؟" أتذكر بوضوح استجابتي الأولى: "لا أريد أن أكون أباً؛ أريد زوجة فحسب". لكن بعد فترة حصلت على إلهام مذهل آخر. فقد بدا كما لو أن الله يقول، "أنت كنت تصلي مؤخراً من أجل تريزا. ربما تكون أنت الاستجابة". فقد كنت أصلي مؤخراً لكي تجد تريزا شريك حياة مناسباً، حيث أنني شعرت أن ابنيها كانا حقاً يحتاجان إلى أب كما أن حياتها كأم وحيدة كانت قاسية بشكل لا يُصدق. وما أن استقر هذا الأمر في ذهني حتى شعرت فجأة براحة للسماح بانجذابي لتريزا أن ينمو بطرق كثيرة. فاكتشفت أن كل الأشياء تقريباً التي أقدّرها بعمق فيها كانت هي الصفات عينها التي كنت أتمناها في المرأة التي سأتزوجها. لكن صداقتنا التي تمت في أوانها قد سمحت لنا بأن نتحدث بأمانة عن تعقيدات القفز من حالة الرجل الأعزب إلى أب ناضج لتوأمين في ومضة عين.

إن الصداقة تمنح مساحة رائعة لاكتشاف وتطوير صفات هامة جداً في الأزواج والزوجات المرتقبين، بدون الضغط المستمر في بعض الأحيان الذي يشعر به الشخص عندما يكون "في حالة عرض" أو "تحت المجهر" في لعبة المواعدة. فالصداقة لا تقصر حقوقاً على علاقة ما. الصداقة تتيح علاقة جيدة جداً دون وجوب الانتقال إلى الرومانسية. فإن الرومانسية تخلق علاقة من غير المحتمل أن تنقلب إلى صداقة. في أثناء عملي مع طلبة الجامعات لما يزيد عن عشرة أعوام، رأيت ثمرة جميلة لما يمكن أن يحدث عندما يرغب أولاد الله أن يجعلوا الصداقة أولويتهم الأولى بدلاً من العلاقة الغرامية. كما أنني رأيت النتائج المأساوية لجعل العلاقة الغرامية هدفاً.

في الحقيقة، أعتقد أننا نحتاج أن نولي اهتماماً حذراً للطريقة التي ننتقل بها من الصداقة إلى العلاقة الغرامية. فإن التودد يعطينا شكلاً أفضل من المواعدة عندما يتعلق الأمر بوضع قاعدة للزواج. يشدد جوشوا هاريس بشكل متكرر في كتابه لقد قبّلت المواعدة قبلة الوداع، على فكرة أن الشخص ليس لديه حق في أن يطلب قلب وحب شخص آخر ما لم يكن هو أيضاً مستعداً لتقديم التزام دائم. هذا التصريح يجسّد المبادئ الأساسية

للتودد. هل هناك وقت للمواعدة؟ بالطبع! هل يصح أن "ينفرد" رجل بامرأة من أجل تمييز مشيئة الله في علاقة جدية؟ نعم. غير أن الأبحاث الخاصة بتوقيت المواعدة وما يحدث عندما تسبق العلاقة الغرامية الصداقة، مزعجة كما أنها تقدم تحذيراً هاماً ينبغي الانتباه إليه.

فقد كشفت دراسة قامت بها جامعة أوتا شملت ٢٤٠٠ مراهق عن الإحصائيات التالية:

- لو بدأ شاب ما في المواعدة عند سن الثانية عشر، هناك احتمال بنسبة ٩١٪ أن يمارس الجنس قبل أن يتخرج من المرحلة الثانوية.

- لو بدأ في المواعدة عند الثالثة عشر، فهناك احتمال بنسبة ٥٦٪ أن يمارس الجنس قبل أن ينهي المرحلة الثانوية.

- لو بدأ في المواعدة عند سن الرابعة عشر، فهناك احتمال بنسبة ٥٣٪

- في سن الخامسة عشر، يكون الاحتمال بنسبة ٤٠٪

- لو بدأ المواعدة في سن السادسة عشر، ينخفض الاحتمال إلى ٢٠٪

تلك الإحصائيات تصيبني بالرعب. أريد أن أخبر كل أم وأب أعرفهم أن يسيطروا على أرضهم. قل لذي الأربعة عشر عاماً، "لا مواعدة، يا ابني أو يا ابنتي، أنا آسف، لكننا نحبك جداً". سوف يتوجب عليك أن تتعلم أن تقولها بعدة طرق لكن لابد أن تقول لا على الدوام. كن مستعداً للرد العادي: "حسناً، لكن كل الآخرين يقومون بذلك!"عندما تسمع نبرة المبيعات تلك، ذكِّرهم بالفوضى والدمار اللذين يحدثان في تلك العلاقات. رُد على إحباطهم بشرح هادئ لوصفة الله للحب، والجنس، والعلاقات الدائمة. ادعُهم للانضمام إلى الثورة الجنسية الثانية. ولو فشل كل شيء آخر، يمكنك أن تستخدم السطر الذي ذكرته من قبل – السطر الذي كرهه أبنائي لكنهم تعلموا أن يصدقوه فيما بعد. "أظن أن اللا التي أقولها

تعني فحسب أني أحبك أكثر مما يحب كل الآباء الآخرين أبناءهم".

شجِّع المواقف التي يقيم فيها أبناؤك (أو أنت) علاقات مع آخرين بشكل جماعي بدلاً من الانفراد مع شخص آخر. إن متوسط سن الزواج الحالي للرجل في بلدنا هو سبعة وعشرون عاماً. منذ عشر سنوات كان يتزوج في الثالثة والعشرين، وقبل حوالي خمسة عشر عاماً كان تسعة عشر أو عشرين على الأرجح. كما أن متوسط سن الزواج الحالي للمرأة اليوم هو ثلاثة وعشرون. منذ عشر سنوات كان واحداً وعشرين؛ ومنذ ثلاثين عاماً كان حوالي سبعة عشر أو ثمانية عشر. ماذا سيحدث في اعتقادكم للأشخاص الذين يدخلون في علاقات تتضمن التعامل مع قضايا هرمونية في سن مبكرة كالثالثة عشر؟ إننا بذلك نسمح بتطوير نمط يكفل لأولادنا بالوقوع في الزنا مهما كانت دوافعهم. على قدر ما تؤخرون انفرادهم مع شخص آخر، سوف تزداد احتمالية أن يفكروا بأذهانهم بدلاً من قلوبهم أو هرموناتهم. وسوف يحتاجون إلى مساعدتك للقيام بذلك وفقاً لطريقة الله.

٢- اعتبر الآخرين إخوة أو أخوات في المسيح

كن ثورياً في طريقة معاملة الجنس الآخر باعتباره عضواً من عائلتك تُكِنّ له أعمق الاحترام. تسجل تيموثاوس الأولى ٥: ١-٢ نصيحة بولس لتيموثاوس بشأن العلاقات المتعددة: "لا تزجر شيخاً بل عظه كأب والأحداث كإخوة والعجائز كأمهات والحدثات كأخوات بكل طهارة".

لاحظ كيف يتعامل مع كل علاقة. ها هي كيفية إقامة علاقة مع الشيوخ – لا تزجر أبداً شيخاً بحدة لأنه يجب أن يحصل على نوع الإكرام والاحترام الذي تقدمه لأبيك. ها هي كيفية إقامة علاقة مع العجائز – كأمهات في الرب. ثم يقول بشكل أساسي في الآية ٢، "عامل الحدثات كأخوات بكل طهارة". ماذا كان سيحدث في كل العلاقات مع الجنس الآخر بين المسيحيين لو أننا عاملنا الناس كإخوة وأخوات في المسيح؟ ألن تكون هناك بعض الحدود التي تتكوَّن تلقائياً لو عامل أحدنا الآخر كأخ أو أخت؟ أعني، فكِّر كيف تتعامل مع أختك البيولوجية. هل تعانقها أبداً؟ بالطبع. هل تعانقها كما تعانق بعض الأشخاص الآخرين؟

بالطبع لا. هل تلمس أختك أو أخوك بطرق تُظهر الاهتمام والعلاقة الأصيلة؟ نعم. هل هناك بعض الطرق لن تلمس بها أبداً أخاك أو أختك؟ بالتأكيد.

إن تقدير وتبجيل الروابط العائلية التي لدينا في المسيح يمكنه أن يضع بعض الضوابط الوقائية الهامة في العلاقات. كما أن التشديد الإضافي على الصداقة وأيضاً الروابط العائلية في المسيح سوف يخلق نوعية العلاقات الصحية التي يمكن أن تُعاش فيها وصفة الله للحب، والجنس، والعلاقات الدائمة.

٣- اجعل مصلحة الآخرين ونموهم الروحي هما أولويتك الأولى

في الثورة الجنسية الثانية، فإن الذي يوجه كل علاقاتنا هو حقيقة أننا شركاء في تبعية المسيح. وبهذا، فإننا نتوق أن نرى ونساعد بعضنا بعضاً على النمو الروحي. تقول عبرانيين ١٠: ٢٤، "ولنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة". أي أن الرجال، والنساء، والجميع يلتمسون بشكل نشيط وواعٍ طرقاً للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة.

ها هو السؤال الأساسي الذي يمكنك أن تطرحه في كل علاقة: "في هذه العلاقة مع أخي أو أختي في المسيح، هل أساعده أو أساعدها على أن يصبحا أكثر فأكثر شبهاً بالمسيح؟ علاوة على ذلك، كيف أسعى بالضبط إلى دفعه بلطف أو تحديه نحو مسيرة أقرب مع الله؟" لو أننا، أنا وأنت، لم نستطع الإجابة على تلك الأسئلة بوضوح، لن تكون العلاقات التي نكوِّنها صحية. لكن لو كانت علاقاتنا عبارة عن مغامرات متحمسة تهدف إلى مساعدة أحدنا الآخر على السلوك في النور، حتى لو انفصلت حياتنا فيما بعد، فسوف نتمكن من التعبير عن الامتنان بسبب الفوائد التي شاركناها. سوف نتمكن من أن نقول، "أشكرك يا أخي أو يا أختي لقد كانت صداقتك سبباً في نموي مع المسيح، ونحن لدينا بعض الذكريات الرائعة لخدمة المسيح معاً".

والآن، عندما تبدأ في اقتفاء ذلك الأثر، سوف يرى الله أن الحب الرومانسي، الصحي يزدهر في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة. وسوف يُظهر لك روح الله شريك الحياة

المحتمل وبعد ذلك يمكنكما الانفراد معاً كأصدقاء واكتشاف كيفية وإمكانية التحرك نحو الزواج. وكما أُخبر الشباب طوال الوقت، هناك دروس مدهشة يجب أن نتعلمها عن الصداقة والحياة كإخوة وأخوات في جسد المسيح تحتاج عمراً بأكمله قبل أن ينتابك القلق بشأن الحب الرومانسي. فإن الحب الأصيل، والجنس المُشبع، والعلاقات الدائمة المنشِّطة سوف تكون مكافأة لهؤلاء الذين يختارون أن يعيشوا مع الآخرين وفقاً لوصفة الله. لا يمكنني التفكير في وصف أفضل لحفل زفاف من كونه احتفالاً لانتصار هام آخر في الثورة الجنسية الثانية .

هل ستوقِّع على الخط الثوري؟

ماذا عنك إذن؟ هل أنت مستعد للثورة الجنسية الثانية؟ هل ستنضم إليّ وإلى عشرات الآلاف من المؤمنين الآخرين الذي اختاروا ألا يتحدثوا فحسب عن إيمانهم بل أن يعيشوه فيما يختص بالناحية الأكثر إثارة للجدل في ثقافتنا – وهي الجنس؟ هل ستصبح حياتك نوراً ثورياً آخر في الظلمة؟

إن الانضمام إلى الثورة الجنسية الثانية لن يكون سهلاً. فسوف يتوجب عليك أن تسلك عكس التيار عبر طوفان هائج من القذارة الأخلاقية والتلوث الذي يأتي على ما يبدو من كل ناحية في ثقافتنا. هل أنت مستعد للتحرك ضد ذلك التيار، فتحتمل الضغط الذي سيأتي بكل تأكيد؟ هل أنت مستعد للتشكيك في الطريقة التي دُربت على أن تفكر بها بخصوص الجنس وتهجر الاتجاهات المختلة وظيفياً التي ستأتي بالفوضى إلى علاقاتك؟ هل أنت متحمس للتمرد على طريقة الحياة غير الصحية؟

علاوة على ذلك، هل أنت مستعد لتجديد ذهنك بشكل جذري وإعادة برمجته بواسطة كلمة الله نحو الإيمان بأن:

- الجنس شأن مقدس
- الجنس شأن جدي
- الجنس مسئولية مهيبة

تخيل ما يمكن أن يحدث عندما تقود طريقتنا الجديدة في التفكير إلى سلوكيات مغيرة للحياة تصبح ضوءاً لامعاً يتغلغل إلى ثقافتنا. تخيل ما يمكن أن يحدث عندما نطبق طريقة جذرية في جذب الجنس الآخر وإقامة علاقات أصيلة. تخيل ما يمكن أن يحدث لو أن عدداً كافياً من الزيجات بدأ، غير مثقل بأثقال الفساد بل مدعوماً بتوقع هدية ثمينة متكشِّفة قد حُفظت لشخص آخر. تخيل عودة صحية للتواضع خارج الزواج وجنساً مليئاً بالحيوية بداخله. تخيل الحب، والجنس، والعلاقات الدائمة كما قصدها الله، وعندئذ سوف تكون في حالة ذهنية ثورية!

التقييم الشخصي

١.كيف ستشرح لشخص ما حقيقة أن الجنس شأن جدي بالنسبة لله؟

٢. ما هي الطرق المحددة التي يجب عليك إتباعها حتى تغيِّر طريقة تفكيرك بشأن الجنس حتى تكون جزءاً من الثورة الجنسية الثانية؟

٣. لماذا تعتقد أن التقوى الأصيلة هي سمة جذابة جداً في شخص آخر؟

٤. إلى أي مدى كان هاماً في حياتك الخاصة وجود الأصدقاء الأتقياء من عدمه ؟

٥. ما هو القرار الذي اتخذته في صميم كيانك بشأن مساهمتك في الثورة الجنسية الثانية؟

الخاتمة
مرحباً بالثورة

في بداية هذه الرحلة طرحت بعض الأسئلة بشأن الحالة المذرية للعلاقات في ثقافتنا:

- هل قُدِّر لنا جميعاً أن نكون محبطين ونصبح مرتكبين للعلاقات المختلة وظيفياً ونتاجاً لها؟

- أم أن هناك طريقة أفضل؟ هل يوجد، في الواقع، سر، أو خطة، أو مثال مختلف للحب الأصيل، والجنس الرائع، والعلاقة الدائمة؟

لقد وعدتكم أيضاً أن أصف لكم تلك الوصفة والخطة. فهي ليست ملكاً لي كما أنني لم أبتكرها. إنما هي تأتي من كلمة الله. وقد مررتها إليكم، ليس لأني ذكي بصفة خاصة أو أن لدي بصيرة خاصة عن الحب، والجنس، والعلاقات الدائمة، بل لأني مقتنع أن الإله الذي خلقك لكي تُحب والذي صنع الجنس لأجل استمتاعك، لديه في الواقع خطة لعب قابلة للفهم، للكيفية التي يمكن أن تنجح بها العلاقات. أكرر الوعد بأنكم لو وثقتم وطبقتم هذه الطريقة في التفكير بشأن العلاقات والقيام بها، يمكن لعلاقاتكم أن تكون مشبعة بعمق ومستديمة. وكما ذكرت في المقدمة، فإن هذه المبادئ تنجح لأنها تأتي من الإله الذي صممك. فإن الحب، والجنس، والعلاقات الدائمة، كانوا جميعاً فكرة الله. فقد صنعني وصنعك من أجل العلاقة وخلق حنيناً لدينا للاتصال بالآخرين. وحيث أنك موضوع محبته وحنانه، فهو يريد أن يشبع هذه الاشتياقات بطرق تفوق أعظم تصوراتك.

توجد طريقتان لإقامة العلاقات: طريقة هوليوود وطريقة الله. باستطاعتنا أن نتبع صيغة العالم ونحصل على نتائج العالم، أو يمكننا أن نقبل وصفة الله ونختبر بركته في حياتنا. قد لا يكون الاختيار سهلاً، لكنه واضح جداً. وذلك الاختيار هو دائماً أمامك، سواء كنت صغيراً أو كبيراً، أعزب أو متزوجاً منذ عدة سنوات. يمكننا أن نستبدل طريقة لإقامة العلاقات بأخرى في أي وقت، لكن النتائج سوف تكون مرتبطة دائماً بالاختيارات التي نصنعها.

قصة ختامية

أود أن أختتم بقصة حقيقية. إن تجربة هذا الإنسان تذكِّرنا أنه بغض النظر عمن نكون أو أين كنا، فإن الله يريد أن يغفر، ويسترد، ويعيد بناء عالمنا العلاقاتي. كما أنها تذكرنا أن الاختيار الذي نتخذه سوف تكون له نتائج دائمة. اقرأ الرواية التالية على مهل واسمع كلاً من الإنذار والرجاء المتاحين لك.

لقد تلقيت على مدى سنين مئات من التأكيدات التي تفطر القلب عن جوع الناس لسماع هذه الرسالة بشأن الاحتياج إلى ثورة جنسية ثانية. غير أن المحادثات مع الأشخاص الذين يتعاملون مع التأثيرات اللاحقة المؤلمة لنموذج هوليوود كانت هي الأكثر إزعاجاً. أرجو أن تساعدكم قصة أخرى من الجانب الآخر للتجربة على الاستجابة لدعوة الله لثورة جنسية ثانية في حياتكم. عندما تقرأ هذا الاعتراف الذي أرسل إليّ بالبريد الإليكتروني، اسأل نفسك، ما الذي يتضمنه ذلك بالنسبة لي – كولي أمر، أو رفيق متزوج، أو شخص مُطلق، أو أعزب؟ ما هي تطبيقات ذلك بالنسبة لأسلوب حياتي؟ ما هي تطبيقات ذلك بالنسبة للكيفية التي سوف أصنع بها علاقات وأفكر بها في الجنس الآخر؟ دع الرواية التالية للقرارات العلاقاتية الخاصة بأحد الرجال تساعدك على تحليل حياتك مرة أخرى:

قَبِلت الرب في المرحلة الثانوية وكنت حاراً في الرب طوال الجامعة وحتى منتصف العشرينات من عمري، لكنني فيما بعد ابتعدت عن الله لوقت طويل. وقد تورطت في ثلاث علاقات متتالية مع نساء في العمل. وفي كل علاقة، كانت السيدات يحملن لكنهن كن

يجهضن أنفسهن بتشجيع مني. وهكذا فقد ساعدت على الحمل بثلاثة أطفال لكنهم لم ينالوا فرصة على الإطلاق لالتقاط أول أنفاسهم. هل تدرك هذا الأمر؟ كما أن العلاقات الثلاث جميعها قد انتهت سريعاً بعد الإجهاض. يدهشني الآن أنني لم أستطع أن أدرك النمط الذي كنت أعيشه.

هأنذا الآن، بعد عدة سنوات ، باركني الرب جداً في زواج من امرأة تتمركز حياتها حول المسيح، لكننا لم نتمكن من الحصول على أطفال. كان ذلك محطماً بالنسبة لي عندما كنت أتذكر أنه كان لابد لي أن أدفع من مالي الخاص لكي أقتل ثلاثة من أطفالي. هل كان الجنس لهواً؟ بلا شك. هل كانت المتعة تستحق الثمن الذي دفعته؟ لم يكن باستطاعتي أن أصرخ بكلمة "لا" عالياً بما فيه الكفاية.

لقد كانت أعمق رغبة في قلبي، كما قلت، هي أن تكون لدي علاقة دائمة ملتزمة. لكني لم أحظَ بشيء مماثل في أي من العلاقات المؤقتة التي أقمتها. وعلى قدر ما ساء الوضع، لم أكن قد تعلمت الدرس بعد. فقد جاءت خطوتي التالية بعيداً عن الله مع صديقة انتقلتُ للعيش معها. كان لديها طفلان بالفعل. وقد كانت العلاقة التي بدأناها معاً شريرة بحق. فهي لم تكن تريد أن تربطها أي علاقة بالأمور الروحية. أما أنا فقد ضحيت بكل نزاهة ربما أكون قد خلَّفتها، وفشلت في تأييد الحق في حياتي اليومية معها. كانت تلك العلاقة مُهينة وغير مشبعة، وصدقوني، إنها بالتأكيد أفسدت فكر هذين الطفلين. فما هو نوع المثال الذي كنت أضعه لهما؟

لكن شكراً للرب، فقد تشفع روح الله. فرجعت إلى نفسي وأدركت أنه يجب أن أتخذ قراراً. كنت عند مفترق طرق. شكراً للرب، فقد اكتشفت وصفة الله للحب، والجنس، والعلاقات الدائمة، وتخليت عن نموذج هوليوود الذي كان يقود حياتي الفوضوية. وقد صنع الله معجزة شفاء وإرشاد في حياتي. نعم، هناك بعض الندم، لكن توجد أيضاً نعمة الله. والآن، فإن السبب المحتمل الوحيد لذكر خطايا الماضي هو ربما لتشجيع آخرين على تجنب نفس الأخطاء أو الابتعاد عن الحياة التي يحيونها بالفعل بعيداً عن طريق الله. شكراً لله، فقد كنت الابن الضال للقرن العشرين الذي جرى إلى الله بدون النظر إلى الوراء، وقد عشت

في شركة مع الله ومع المؤمنين منذ ذلك الحين. وبنعمة الله، باركني الرب أنا وزوجتي بتبني طفل رضيع، إلا أنني لا زلت أحزن عندما أفكر في الأخطاء التي اقترفتها في تلك العلاقات الماضية. من فضلكم استمروا في مشاركة الأخبار السارة بأن الله لديه طريقة أفضل جداً لاختبار الحب، والجنس، والعلاقات الدائمة.

إن الرجل الذي كتب تلك المذكرة قد اتخذ قراراً حكيماً ومؤلماً. ونفس هذا الاختيار يُعرض أمامك اليوم. يمكنك أن تظل على نفس الطريق لمواصلة الدمار، أو تستطيع أن تصنع تحولاً جذرياً وتعود مباشرة إلى الله؛ والقرار هو لك. ربما قد تكونت لديك تدريجياً صورة ذهنية عن مفترق الطرق بعدما قرأت هذا الكتاب. أي جهة سوف تختار؟ في أي طريق سوف تذهب عائلتك؟ لو أردت الحب الحقيقي، والجنس الرائع، والعلاقات الدائمة، فسوف تجعل هدفك أن تتبع وصفة الله. ولن تندم أبداً على هذا الاختيار!

صلاتي لك

أبي، أشكرك على محبتك لنا. أشكرك على أن كلمتك في رسالة أفسس كُتبت لمجموعة من الأشخاص كانت تقاليدهم الجنسية وفوضاهم أسوأ جداً منا. أشكرك لأنك أظهرت لنا من خلال مثالهم أنه، على قدر ما يبدو الأمر مستحيلاً لآذاننا في القرن الحادي والعشرين، يمكننا نحن أيضاً أن نعيش هذه الحياة الثورية التي غيّرت العالم. أشكرك لأن نفس القوة التي أقامت المسيح من الأموات تحيا فينا وتمكننا من أن نكون أنقياء. نحن نقر بشكر أن الحياة المسيحية لا تختص بالجهاد ذاتياً بل بحقيقة أنك أعطيتنا النعمة والقوة في المسيح لكي نتبعك بكل قلوبنا.

ساعدنا لكي نفكر بشكل مختلف في الجنس، ساعدنا لكي نجذب الآخرين بالنزاهة والصدق، وساعدنا لكي نتواصل مع بعضنا بعضاً بشكل حقيقي ومفيد. أعطنا قوتك لكي نصبح النوع الصحيح من الأشخاص، ولكي ننمو ونسلك في المحبة، ولكي نثبّت رجاءنا عليك ونسلك في نورك. أعطنا الشجاعة الهادئة لكي نشارك في الثورة الجنسية الثانية في ثقافتنا. في اسم المسيح. آمين.